

(١٣٦٥)

ولذكر الله أكبر

مسائل وتفسير

من مصنفات العقيدة والتفاسير

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"ص -١٩٢- وقال شيخ الإسلام

فصل

[قاعدة] الحسنات تعلل بعلتين : إحداهما : ما تتضمنه من جلب المصلحة والمنفعة .

والثانية : ما تتضمنه من دفع المفسدة والمضرة . وكذلك السيئات تعلل بعلتين :

إحداهما : ما تتضمنه من المفسدة والمضرة .

والثانية : ما تتضمنه من الصد عن المنفعة والمصلحة . مثال ذلك قوله تعالى : ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، فبين الوجهين جميعا فقوله : ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ بيان لما تتضمنه من دفع المفاسد والمضار فإن النفس إذا قام بها ذكر الله ودعاؤه - لا سيما على وجه الخصو." (١)

"ص -١٩٣- اللذات المكروهة ويحصل له من الخشية والتعظيم لله والمهابة . وكل واحد من رجائه وخشيته ومحبته ناه ينهاه . وقوله : ﴿**ولذكر الله أكبر** ﴾ [العنكبوت : ٤٥] بيان لما فيها من المنفعة والمصلحة أي ذكر الله الذي فيها أكبر من كونها ناهية عن الفحشاء والمنكر فإن هذا هو المقصود لنفسه كما قال : ﴿إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله ﴾ [الجمعة : ٩] ، والأول تابع فهذه المنفعة والمصلحة أعظم من دفع تلك المفسدة، ولهذا كان المؤمن الفاسق يئول أمره إلى الرحمة والمنافق المتعبد أمره صائر إلى الشقاء فإن الإيمان بالله ورسوله هو جماع السعادة وأصلها . ومن ظن أن المعنى **ولذكر الله أكبر** من الصلاة فقد أخطأ، فإن الصلاة أفضل من الذكر المجرد بالنص والإجماع . والصلاة ذكر الله لكنها ذكر على أكمل الوجوه فكيف يفضل ذكر الله المطلق على أفضل أنواعه ؟ ومثال ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " عليكم بقيام الليل فإنه قربة إلى ربكم، ودأب الصالحين قبلكم ومنهاة عن الإثم، ومكفرة للسيئات ومطردة لداعي الحسد " فبين ما فيه من المصلحة بالقرب إلى الله وموافقة الصالحين ومن دفع المفسدة بالنهي عن المستقبل من السيئات، والتكفير للماضي منها وهو نظير الآية .." (٢)

"ص -٢٣٢- وقد قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [الذاريات : ٥٦] ، وعبادة الله تتضمن معرفته، ومحبته، والخضوع له، بل تتضمن كل ما يحبه ويرضاه . وأصل ذلك وأجله ما في القلوب : الإيمان، والمعرفة، والمحبة لله، والخشية له، والإنابة إليه، والتوكل عليه، والرضي بحكمه، مما

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢/

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤/

تضمنه الصلاة والذكر والدعاء وقراءة القرآن، وكل ذلك داخل في معني ذكر الله والصلاة، وإنما الصلاة وذكر الله من باب عطف الخاص على العام، كقوله تعالى : ﴿ وملآئكته ورسله وجبريل وميكال ﴾ [البقرة : ٩٨] ، وقوله تعالى : ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ﴾ [الأحزاب : ٧] ، كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ﴾ [الجمعة : ٩] ، فجعل السعي إلى الصلاة سعيا إلى ذكر الله .

ولما كانت الصلاة متضمنة لذكر الله تعالى الذي هو مطلوب لذاته، والنهي عن الشر الذي هو مطلوب لغيره، قال تعالى : ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، أي : ذكر الله الذي في الصلاة أكبر من كونها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وليس المراد أن ذكر الله خارج الصلاة أفضل من الصلاة وما فيها من ذكر الله، فإن هذا خلاف الإجماع، ولما كان ذكر الله هو مقصود الصلاة قال أبو الدرداء : ما دمت تذكر الله فأنت في صلاة، ولو كنت في السوق . ولما كان ذكر الله." (١)

"ص -٤٨٧- سببا أن الحكم يوجد إذا وجد فليس هنا حكم آخر، وإن أردتم معنى آخر فهو ممنوع .

وجوابهم : أن المراد أن الأسباب تضمنت صفات مناسبة للحكم، شرع الحكم لأجلها، وشرع لإفضائه إلى الحكمة، كما قال تعالى : ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، وقال تعالى : ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ﴾ الآية [المائدة : ٩١] .

وكذلك أيضا الذين قالوا لا تأثير لقدرة العبد في أفعاله هم هؤلاء أتباع جهم نفاة الأسباب، وإلا فالذي عليه السلف وأتباعهم وأئمة أهل السنة وجمهور أهل الإسلام المثبتون للقدر المخالفون للمعتزلة إثبات الأسباب، وإن قدرة العبد مع فعله لها تأثير كتأثير سائر الأسباب في مسبباتها، والله تعالى خلق الأسباب والمسببات . والأسباب ليست مستقلة بالمسببات، بل لابد لها من أسباب أخر تعاونها، ولها مع ذلك أضداد تمانعها، والمسبب لا يكون حتى يخلق الله جميع أسبابه، ويدفع عنه أضداده المعارضة له، وهو سبحانه يخلق جميع ذلك بمشيئته وقدرته كما يخلق سائر المخلوقات، فقدرة العبد سبب من الأسباب، وفعل العبد لا

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٨/

يكون بها وحدها بل لابد من الإرادة الجازمة مع القدرة .

وإذا أريد بالقدرة القوة القائمة بالإنسان فلابد من إزالة الموانع، كإزالة." [١]

"ص -١٨٨- قال تعالى في حق يوسف : ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾ [يوسف : ٤٢] . فالله يصرف عن عبده ما يسوؤه من الميل إلى الصور والتعلق بها، ويصرف عنه الفحشاء بإخلاصه لله .

ولهذا يكون قبل أن يذوق حلاوة العبودية لله والإخلاص له، تغلبه نفسه على اتباع هواها، فإذا ذاق طعم الإخلاص وقوى في قلبه انقهر له هواه بلا علاج . قال تعالى : ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، فإن الصلاة فيها دفع للمكروه، وهو الفحشاء والمنكر، وفيها تحصيل المحبوب، وهو ذكر الله، وحصول هذا المحبوب أكبر من دفع المكروه، فإن ذكر الله عبادة لله، وعبادة القلب لله مقصودة لذاتها . وأما اندفاع الشر عنه، فهو مقصود لغيره على سبيل التبع .

والقلب خلق يحب الحق، ويريده، ويطلبه . فلما عرضت له إرادة الشر طلب دفع ذلك، فإنه يفسد القلب، كما يفسد الزرع، بـما ينبت فيه من الدغل؛ ولهذا قال تعالى : ﴿قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها ﴾ [الشمس : ٩، ١٠] ، وقال تعالى : ﴿قد أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى ﴾ [الأعلى : ١٤، ١٥] ، وقال : ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ﴾ [النور : ٣٠] ، وقال تعالى : ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا ﴾ [النور : ٢١] ، فجعل سبحانه غض البصر، وحفظ الفرج هو أزكى للنفس، وبين أن ترك." [٢]

"ص -٧٥٣- والموادة من أعمال القلوب .

فإن الإيمان بالله يستلزم مودته ومودة رسوله، وذلك يناقض موادة من حاد الله ورسوله، وما ناقض الإيمان فإنه يستلزم الذم والعقاب؛ لأجل عدم الإيمان . فإن ما ناقض الإيمان كالشك والإعراض وردة القلب، وبغض الله ورسوله يستلزم الذم والعقاب لكونه تضمن ترك المأمور مما أمر الله به رسوله، فاستحق تاركه الذم والعقاب وأعظم الواجبات إيمان القلب، فما ناقضه استلزم الذم والعقاب لتركه هذا الواجب، بخلاف ما استحق الذم لكونه منهيا عنه كالفواحش والظلم، فإن هذا هو الذي يتكلم في الهم به وقصده، إذا كان هذا لا يناقض أصل الإيمان، وإن كان يناقض كماله، بل نفس فعل الطاعات يتضمن ترك المعاصي، ونفس

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٢/١٤٠

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٧/١٥٨

ترك المعاصي يتضمن فعل الطاعات، ولهذا كانت الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فالصلاة تضمنت شيئين :

أحدهما : نهيها عن الذنوب .

والثاني : تضمنها ذكر الله، وهو أكبر الأمرين، فما فيها من **ذكر الله أكبر** من كونها ناهية عن الفحشاء والمنكر، ولبسط هذا موضع آخر .." (١)

"ص -٣٤٤- فهذا ونحوه مما يكون باللسان من القول، وأما ما يكون من الفعل بالجوارح، فكل عمل يتضمن محبة أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا داخل في هذا، بل يكون عذابه أشد، فإن الله قد توعد بالعذاب على مجرد محبة أن تشيع الفاحشة بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، وهذه المحبة قد لا يقترن بها قول ولا فعل، فكيف إذا اقترن بها قول أو فعل ؟ بل على الإنسان أن يبغض ما أبغضه الله من فعل الفاحشة والقذف بها وإشاعتها في الذين آمنوا، ومن رضي عمل قوم حشر معهم، كما حشرت امرأة لوط معهم ولم تكن تعمل فاحشة اللواط، فإن ذلك لا يقع من المرأة؛ لكنها لما رضيت فعلهم عمها العذاب معهم

فمن هذا الباب، قيل : من أعان على الفاحشة وإشاعتها؛ مثل القواد الذي يقود النساء والصبيان إلى الفاحشة؛ لأجل ما يحصل له من رياسة أو سحت يأكله، وكذلك أهل الصناعات التي تنفق بذلك؛ مثل المغنين، وشربة الخمر، وضمان الجهات السلطانية وغيرها، فإنهم يحبون أن تشيع الفاحشة؛ ليتمكنوا من دفع من ينكرها من المؤمنين، بخلاف ما إذا كانت قليلة خفيفة خفية، ولا خلاف بين المسلمين أن ما يدعو إلى معصية الله وينهي عن طاعته منهي عنه محرم، بخلاف عكسه فإنه واجب، كما قال تعالى: ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، أي : إن ما فيها من طاعة الله وذكره وامتثال أمره أكبر من ذلك." (٢)

"٩٣٤ - ضربت عليك العنكبوت بنسجها ... وقضى عليك به الكتاب المنزل.

(**ولذكر الله أكبر**)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٥/١٧٤

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦٧/٢٥٤

أي: ذكر الله لكم بالرحمة، أكبر من ذكركم له بالطاعة.

(إلا بالتي هي أحسن)

أي: في إيراد الحجة من غير سباب واضطراب.

(إلا الذين ظلموا منهم)

أي: منع الجزية وقاتل.

وقيل: هم الذين أقاموا على الكفر بعد أن حجوا وألزموا.

(ومن هؤلاء من يؤمن)

أي: أهل مكة، أو العرب.." [١]

"[سورة العنكبوت (٢٩): آية ٤٥]

اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون (٤٥)

فيه أربع مسائل: الأولى- قوله تعالى: (اتل) أمر من التلاوة والدءوب عليها. وقد مضى في" طه" «١» الوعيد فيمن أعرض عنها، وفي مقدمة الكتاب «٢» الأمر بالحض عليها. والكتاب يراد به القرآن. الثانية- قوله تعالى: (وأقم الصلاة) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته. وإقامة الصلاة أداؤها في وقتها بقراءتها وركوعها وسجودها وقعودها وتشهدها وجميع شروطها. وقد تقدم بيان ذلك في" البقرة" «٣» فلا معنى للإعادة. الثالثة- قوله تعالى: (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) يريد إن الصلاة الخمس هي التي تكفر ما بينها من الذنوب، كما قال عليه السلام:" أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شي" قالوا: لا يبقى من درنه شي، قال:" فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا" خرجه الترمذي من حديث أبي هريرة، وقال فيه حديث حسن صحيح. وقال ابن عمر: الصلاة هنا القرآن. والمعنى: الذي يتلى في الصلاة ينهى عن الفحشاء والمنكر، وعن الزنى والمعاصي قلت: ومنه الحديث الصحيح:" قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين" يريد قراءة الفاتحة. وقال حماد بن أبي سليمان وابن جريج والكلبي: العبد ما دام في صلاته لا يأتي فحشاء ولا منكرا، أي إن الصلاة تنهى ما دمت فيها. قال ابن عطية: وهذه عجمة وأين هذا مما رواه أنس بن مالك قال: كان فتى من الأنصار يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا يدع شيئا من الفواحش والسرقة إلا ركبه، فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، النيسابوري، بيان الحق ١٠٩٩/٢

فقال:" إن الصلاة ستنهاه"

---

(١). راجع ج ١ ص ٢٥٨ وما بعدها طبعه أولى أو ثانية.

(٢). راجع ج ١ ص وما بعدها طبعه ثانية أو ثالثة.

(٣). راجع ج ١ ص ١٦٤ وما بعدها طبعه ثانية أو ثالثة.." [1]

"قلت: وعلى الجملة فالمعنى المقصود بالحديث:" لم تزده من الله إلا بعدا ولم يزدد بها من الله إلا مقتا" إشارة إلى أن مرتكب الفحشاء والمنكر لا قدر لصلاته، لغلبة المعاصي على صاحبها. وقيل: هو خبر بمعنى الأمر. أي لينته المصلي عن الفحشاء والمنكر. والصلاة بنفسها لا تنهى، ولكنها سبب الانتهاء. وهو كقوله تعالى:" هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق" وقوله:" أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون". الرابعة- قوله تعالى: (**ولذكر الله أكبر**) أي ذكر الله لكم بالثواب والثناء عليكم أكبر من ذكركم له في عبادتكم وصلواتكم. قال معناه ابن مسعود وابن عباس وأبو الدرداء وأبو قرة وسلمان والحسن، وهو اختيار الطبري. وروي مرفوعا من حديث موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قول الله عز وجل:" **ولذكر الله أكبر**" قال:" ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه". وقيل: ذكركم الله في صلاتكم وفي قراءة القرآن أفضل من كل شي. وقيل: المعنى، إن **ذكر الله أكبر** مع المداومة من الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر. وقال الضحاك: ولذكر الله عند ما يحرم فيترك أجل الذكر. وقيل: المعنى ولذكر الله للنهي عن الفحشاء والمنكر أكبر أي كبير، وأكبر يكون بمعنى كبير. وقال ابن زيد وقتادة: **ولذكر الله أكبر** من كل شي أي أفضل من العبادات كلها بغير ذكر. وقيل: ذكر الله يمنع من المعصية فإن من كان ذاكرا له لا يخالفه. قال ابن عطية: وعندي أن المعنى **ولذكر الله أكبر** على الإطلاق، أي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر، فالجزء الذي منه في الصلاة يفعل ذلك، وكذلك يفعل في غير الصلاة، لأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاكر الله مراقب له. وثواب

ذلك أن يذكره الله تعالى، كما في الحديث" من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم" والحركات التي في الصلاة لا تأثير لها في نهي، والذكر النافع هو مع العلم وإقبال القلب وتفرغه إلا من الله. وأما ما لا يتجاوز اللسان ففي رتبة أخرى. وذكر الله تعالى للعبد هو إفاضة الهدى ونور

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣/٣٤٧

العلم عليه، وذلك ثمرة لذكر العبد ربه. قال الله عز وجل:" فاذكروني أذكركم". وباقي الآية ضرب من الوعيد والحث على المراقبة.." (١)

"قوله تعالى: (ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم) فبدأ بالتوبة منه. قال أبو زيد: غلطت في أربعة أشياء: في الابتداء مع الله تعالى، ظننت أني أحبه فإذا هو أحبني، قال الله تعالى:" يحبهم ويحبونه" [المائدة: ٥٤]. وظننت أني أرضى عنه فإذا هو قد رضي عني، قال الله تعالى:" رضي الله عنهم ورضوا عنه" [المائدة: ١١٩]. وظننت أني أذكره فإذا هو يذكرني، قال الله تعالى:" **ولذكر الله أكبر"**. وظننت أني أتوب فإذا هو قد تاب علي، قال الله تعالى:" ثم تاب عليهم ليتوبوا". وقيل: المعنى ثم تاب عليهم ليثبتوا على التوبة، كما قال تعالى:" يا أيها الذين آمنوا آمنوا" «١» [النساء: ١٣٦] وقيل: أي فسح لهم ولم يعجل عقابهم كما فعل بغير هم، قال عز وجل:" فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم" «٢» [النساء: ١٦٠].

[سورة التوبة (٩): آية ١١٩]

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (١١٩)

فيه مسألتان: الأولى- قوله تعالى:" وكونوا مع الصادقين" هذا الأمر بالكون مع أهل الصدق حسن بعد قصة الثلاثة حين نفعهم الصدق وذهب بهم عن منازل المنافقين. قال مطرف: سمعت مالك بن أنس يقول: قلما كان رجل صادقا لا يكذب إلا متع بعقله ولم يصبه ما يصيب غيره من الهرم والخرف. واختلف في المراد هنا بالمؤمنين والصادقين على أقوال، فقيل: هو خطاب لمن آمن من أهل الكتاب. وقيل: هو خطاب لجميع المؤمنين، أي اتقوا مخالفة أمر الله." وكونوا مع الصادقين" أي مع الذين خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم لا مع المنافقين. أي كونوا على مذهب الصادقين وسبيلهم. وقيل: هم الأنبياء، أي كونوا معهم بالأعمال الصالحة في الجنة. وقيل: هم المراد بقوله:" ليس البر أن تولوا وجوهكم" «٣» - الآية إلى قوله- " أولئك الذين صدقوا" [البقرة: ١٧٧]. وقيل: هم الموفون بما عاهدوا، وذلك لقوله تعالى:" رجال صدقوا ما عاهدوا الله «٤» عليه" وقيل: هم المهاجرون، لقول أبي بكر يوم السقيفة إن الله سمانا الصادقين

---

(١). راجع ج ٥ ص ٤٠٥. [.....]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٤٩/١٣

(٢). راجع ج ٦ ص ١٢.

(٣). راجع ج ٢ ص ٢٣٧.

(٤). راجع ج ١٤ ص.." [١]

"وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون (٤٣) خلق الله السماوات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين (٤٤) اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون (٤٥)." [٢]

"**ولذكر الله أكبر** على الإطلاق، أي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر، فالجزء الذي منه في الصلاة يفعل ذلك، وكذلك يفعل ما لم يكن منه في الصلاة لأن الانتهاء لا يكون إلا ممن ذكر الله مراقبا له وقيل: **ذكر الله أكبر** من الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر، مع المداومة عليه، قال الفراء وابن قتيبة: المرد بالذكر هنا الصلاة، والصلاة أكبر من سائر الطاعات وعبر عنها بالذكر كما في قوله فاسعوا إلى ذكر الله للدلالة على أن ما فيها من الذكر هو العمدة في تفضيلها على سائر الطاعات، وكونها ناهية عن السيئات وقيل: عبر عنها بالذكر ليستقل بالتعليل كأنه قال: والصلاة أكبر لأنها ذكر الله.

وقيل: المعنى ولذكر الله لكم بالثواب والثناء عليكم منه أكبر من ذكركم له في عبادتكم وصلواتكم، واختار هذا ابن جرير، ويؤيده حديث من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم. وقال ابن عباس: يقول ولذكر الله لعباده إذ ذكروه أكبر من ذكرهم إياه.

وعن عبد الله بن ربيعة قال: سألني ابن عباس عن قول الله **ولذكر الله أكبر** فقلت: ذكر الله بالتسبيح، والتهليل، والتكبير، قال: ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه، ثم قال اذكروني اذكركم.

وعن ابن مسعود قال: ذكر الله العبد أكبر من ذكر العبد لله، وعن ابن عمر نحوه، وعن ابن عباس أيضا قال لها وجهان **ذكر الله أكبر** مما سواه، (وفي لفظ ذكر الله عندما حرمه)، وذكر الله إياكم أعظم من ذكركم إياه.

وعن معاذ بن جبل قال: ما عمل آدمي عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال لا، إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع لأن الله يقول في كتابه العزيز (**ولذكر الله أكبر**).

وعن عنترة قال: قلت لابن عباس أي العمل أفضل؟ قال ذكر الله.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٨٨/٨

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٩٦/١٠

وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " ألا أنبئكم بخير أعمالكم و أزكاها عند مليككم؟ وأرفعها في درجاتكم؟ وخير لكم من إعطاء الذهب." (١)

"(يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) أمر سبحانه عباده بأن يستكثروا من ذكره بالتهليل والتحميد والتسبيح وكل ما هو ذكر لله تعالى، قال مجاهد: هو أن لا ينساه أبدا، وقال الكلبي: ويقال ذكرا كثيرا بالصلوات الخمس، وقال مقاتل: هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير على كل حال، وقال ابن عباس في الآية لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها أجلا معلوما، ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله؛ فقال: (اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) بالليل والنهار، في البر والبحر، في السفر والحضر، في الغنى والفقر، في الصحة والسقم، في السر والعلانية وعلى كل حال، وقد ورد في فضل الذكر والاستكثار منه أحاديث كثيرة.

وقد صنف في الأذكار المتعلقة بالليل والنهار جماعة من الأئمة كالنسائي والنووي والجزري وغيرهم، وقد نطقت الآيات القرآنية بفضل الذاكرين وفضيلة الذكر، **ولذكر الله أكبر**، وقد ورد أنه أفضل من الجهاد كما في حديث أبي سعيد الخدري عند أحمد والترمذي والبيهقي: " أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سئل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: الذاكرون الله كثيرا. قلت: يا رسول الله ومن الغازين في سبيل الله؟ قال: لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى يتكسر ويتخضب دما لكان الذاكرون أفضل منه درجة، وأخرج أحمد عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا أعداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا وما هو يا رسول الله؟ قال: ذكر الله عز وجل وأخرجه أيضا الترمذي وابن ماجة.

وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة قال: قال رسول." (٢)

"تفسير قوله تعالى: (اتل ما أوحي إليك من الكتاب)

قال تعالى: ﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون﴾ [العنكبوت:٤٥].

والكتاب هو القرآن، والألف واللام للعهد أي: للمعهود ذهنا، فالكتاب الموحى إليك كلام الله، ناسخ

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٩٩/١٠

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٠٢/١١

الكتب السابقة، والمهيمن عليها.
فالله يأمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقرأ هذا القرآن ويدعو الناس إليه، ويعرفهم بحلاله وبحرامه وبعقائده، وبآدابه، وبقصصه، وبرقائقه، والعمل بما فيه من أوامر، واجتناب ما فيه من نواهي، وأن يتلوه عبادة، صلاة، وتهجدا، وذكرا، وكذلك المؤمنون من مشارق الأرض ومغاربها.
والأمر الموجه للنبي صلى الله عليه وسلم أمر لعموم الناس، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، ولكن لا يقبل ذلك إلا ممن آمن بالله، ولو فعله الكافر وهو على كفره لم يقبل منه، وهو مطالب بالإسلام، لأنه من أمة محمد عليه الصلاة والسلام.
ومنذ برز النبي عليه الصلاة والسلام في هذه الديار المقدسة وقال: يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا، وجب على كل الخلق في مشارق الأرض ومغاربها، أن يطيعوه ويمتثلوا أمره، وهم أمته؛ إلا أنه من استجاب منهم فهو من أمة الإجابة، ومن لم يستجب فهو من أمة الدعوة، أي: الأمة التي دعاها النبي عليه الصلاة والسلام للإيمان بالله وكتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم.
والتلاوة بمعنى القراءة، والدرس، والشرح والبيان، وكل ذلك تشمله هذه الفقرة الكريمة.." [(١)]
"أهمية الذكر
قال تعالى: ﴿**ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون﴾ [العنكبوت:٤٥].
ذكر الله: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أكبر من كل أنواع الأذكار، والصلاة فيها كل ذلك، ففيها ذكر الله: فيها الله أكبر، وفيها سبحان الله، وفيها سبحان ربي الأعلى، وفيها سبحان ربي العظيم، وفيها قراءة الفاتحة وسورة، وفيها السجود، ولقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا فيه من الدعاء فقمن أن يستجاب لكم)، أي: جدير للساجد وقد سجد بجبهته، وبأنفه، وبكفيه، وبركبتيه، وبرءوس قدميه وهو بهذا الموقف الجليل الذي لا يليق إلا بالله، جدير أن يستجيب الله له دعاءه، فالصلاة مشتملة على الذكر.
قال تعالى: ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾ [العنكبوت:٤٥]، ويقول الله تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ [البقرة:١٥٢] أي: ذكر الله لك أيها العبد أعظم من ذكرك له، وأكبر من ذكرك له، وأشرف من ذكرك له. ودليله الآية السابقة، وقول النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي: (من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه) أي: من ذكر الله وحده ذكره الله وحده، وإن ذكره في جماعة ذكره الله في جماعة خير منها وأفضل،

---

(١) تفسير المنتصر الكتاني، الكتاني، محمد المنتصر ٦/١٦٦

وهم جماعة الملائكة.

إذا: فذكر العبد لله شيء عظيم، وكون الذكر في الصلاة فهو أعظم، وأعظم من ذلك أن يذكرنا الله عندما نذكره، فيذكرنا بالرحمة، وبالرضا، وبالجنة.

وذكر الله عبده أكبر من كل كبير، فالله الأكبر والأعظم، فإن ذكرك الله كان ذكره لك أعظم من ذكرك له، سواء كنت مصليا، أو ذاكرا فقط، أو تاليا فقط، أو ذاكرا بأي نوع من أنواع الذكر، فذكر الله لك وحده لأنك ذكرته وحدك، أو في ملأ؛ لأنك ذكرته في ملأ، فذكر الله أعظم من ذلك؛ لأنه يذكرك كما ذكرته.

قال تعالى: ﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ [العنكبوت:٤٥].

هذه فيها بشرى ووعيد وإنذار، فالله يعلم ما تصنعون أيها الناس، فمن كان صنعته الطاعة والعبادة، وكانت صلاته تامة في أوقاتها وبأركانها، فالله عليم بصنعه، وبعمله، فيجازيه بالخير إحسانا، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى ما شاء الله، من غير إكراه.

والله يعلم ما يصنع الكافر والعاصي، فيعامل الكافر على الكفر نارا ومحنة وعذابا، والعاصي يعامله تأديبا ومحنة ودخول النار، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه.

قال تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ [العنكبوت:٤٦]، بذكر هذه الآية نكون قد ختمنا عشرين جزءا أي: ثلثي القرآن الكريم، ومن أول هذه الآية نكون قد شرعنا في الثلث الثالث، أعاننا الله على تمامه كما أعاننا على تمام الثلثين السابقين، وقبل الله ذلك منا.." (١)

"معنى الباقيات الصالحات

قال الجمهور: الباقيات مأخوذة من لفظها، أي: الصالحات الدائمات، فصالح المال ينتهي، وصالح اللباس ينتهي، وصالح السكن ينتهي، وصالح الجاه ينتهي، أما صالح العبادة وذكر الله قائما وقاعدا وعلى جنب فهي الباقيات، وقد كان رسولنا صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل أحواله، روي عن أبي سلمة وأبي الدرداء: أن الباقيات الصالحات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أي: الذكر بالتهليل والتعظيم والتسبيح والتنزيه، فهو الذكر الدائم الخالد الصالح، وهو أكثر ثوابا من غيره، والصلاة أشرف العبادات، قال تعالى: ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾ [النساء:١٠٣]، ويقول عن الذكر: **﴿ولذكر الله أكبر﴾** [العنكبوت:٤٥]، والصلاة مشتملة على الذكر وأنواع العبادات من قيام، وقعود، وجلوس، وتلاوة قرآن، وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فهي عبادة جامعة.

---

(١) تفسير المنتصر الكتاني، الكتاني، محمد المنتصر ١٦٦/٨

وقال أبو الدرداء: إني لأهلل ربي وأسبحه وأعظمه وأنزهه حتى يقول الرائي والمبصر لي: مجنون، وهذا تحقيق لقوله صلى الله عليه وسلم: (اذكر الله حتى يقال: مجنون)، ولم لا يجن الإنسان بذكر الله وقد جن البشر بالبشر، فـ مجنون ليلى جن بـ ليلى وهي إنسانة من لحم ودم، وليست نبية ولا بنت نبي ولا صالحة، ولا بنت رجل صالح، ولكنها امرأة من عامة الناس جن بها وتاه، وضاع سنين طويلة، فكان لا يرى إلا مع الحيوانات في الفيافي والبراري، ولقد حكى أحد كبار العارفين أن ليلى بعد أن تزوجت قالت لزوجها: بلغني أن المجنون في هذا المحيط فهل تسمح لي أن أبحث عنه وأقف عند رأسه وأكلمه؟ قال: افعلي، فأخذت تبحث عنه فوجدته فقالت له: قيس! وهو لا يجيب، فقالت له: أنا ليلى، فعندما قالت ذلك رفع رأسه فصوبه وصعده ثم قال لها: إليك عني أنا مشغول بك عنك.

وفسر هذا العارف الكبير قولته هذه: أن طريق حب مجنون ليلى لـ ليلى كان طريقه لحب الله والفناء فيه؛ لأنه عندما رفع بصره إليها وجدها قد تغيرت، إذ لم تكن على الصورة المعروفة عنها منذ أكثر من عشرين عاما، فقال لها: أنا مشغول بك عنك، فمن الذي أعطاك ذلك الجمال الذي تيمني؟ ومن الذي أزاله عنك؟ إذا: أنا مع الذي لا يزول ولا يحول، أنا مع الله جل جلاله، وهكذا تيم المجنون في الله، وأصبح شعره في الله جل جلاله.

فقوله تعالى: ﴿والباقيات الصالحات﴾ [مريم:٧٦] أي: ذكر الله وتسبيحه وتهليله وتمجيده، قوله: ﴿خير عند ربك ثوابا﴾ [مريم:٧٦] أكثر ثوابا، وأصل خير: أخير، ولكن خير صيغتها هكذا بلا ألف، قوله: ﴿وخير مردا﴾ [مريم:٧٦] أي: في مردودها الأجر والثواب، ورضا الله ورحمته بالذاكرين الموحدين المهللين المسبحين، إذ يكون أجرهم في الدرجات العلى عند الله في جناته.." (١)

"١٨١٦٤- حدثنا محمد بن يحيى الواسطي، ثنا محمد بن بشر، ثنا عمرو بن عطية، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله:" " وما ظلمناهم " نحن أغنى من أن نظلمهم".

١٨١٦٥- أخبرنا أبو يزيد القراطيسي فيما كتب إلي، ثنا أصبغ بن الفرج، قال: سمعت عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، يقول:"ثم اعتذر إلى خلقه، فقال: " وما ظلمناهم " مما ذكرنا لك من عذاب ممن عذبنا من الأمم " ولكن كانوا أنفسهم يظلمون " ظلموا أنفسهم".

قوله تعالى: " يظلمون "

١٨١٦٦- حدثنا أبو زرعة، ثنا منجاب، ثنا معمر، عن ابن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: "

---

(١) تفسير المنتصر الكتاني، الكتاني، محمد المنتصر ٥/٣٠

يظلمون " ، قال:"يضرون".

قال تعالى:

﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون * إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم * وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون * خلق الله السموات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين * اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون﴾

قوله تعالى: " مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء " ." (١)

"قوله تعالى: " **ولذكر الله أكبر** "

١٨١٩٥- حدثنا هارون بن إسحاق الهمذاني، ثنا محمد بن عبد الوهاب، عن مسعد، عن عطاء بن السائب، عن عبد الله بن ربيعة، قال: قال ابن عباس: ما تقول في قول الله: " **ولذكر الله أكبر** " ، قال:"هو الذي يذكر الله عند المعاصي، فقال ابن عباس: لقد قلت وما هو كما قلت، ولكن ذكر الله العبد أكبر من ذكر العبد لربه".

١٨١٩٦- حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا أبو خالد الأحمر، عن داود بن أبي هند، عن رجل، عن ابن عباس: " **ولذكر الله أكبر** " ، قال:"ذكر الله عند طعامك عند منامك، قلت: فإن صاحبا لي في المنزل يقول غير الذي تقول، قال: وأي شيء يقول؟، قال: يقول: قال الله: " فاذكروني أذكركم " ، فذكر الله إيانا أكبر من ذكرنا إياه، قال: صدق".

١٨١٩٧- حدثنا أبي، ثنا أبو صالح، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: " **ولذكر الله أكبر** " ، يقول:"ولذكر الله لعباده إذا ذكروه أكبر من ذكرهم إياه".." (٢)

"١٨١٩٨- حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، ثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن هارون يعني ابن عنترة، عن أبيه، قال: سألت ابن عباس، أو سئل أي العمل أفضل؟، قال:" " **ولذكر الله أكبر** " وبه، قال ذلك ثلاث مرات، قال: وما جلس قوم في بيت من بيوت الله يذكرون الله ويتعاطونه بينهم إلا كانوا أضيافا لله وإلا حفتهم الملائكة بأجنحتها ما داموا فيه حتى يخوضوا في حديث غيره، ومن سلك

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١١/٤٣٨

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ١١/٤٤٦

طريقا يبتغي به العلم سهل الله له طريقا إلى الجنة ومن ثبطه عمله لا يسرع به نسبه".

١٨١٩٩- حدثنا أبي، ثنا النفيلي، ثنا إسماعيل، عن خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: " **ولذكر الله أكبر** " ، قال:"لها وجهان، قال: ذكر الله عندما حرمه، قال: ذكر الله إياكم أعظم من ذكركم إياه".

١٨٢٠٠- حدثنا حجاج بن حمزة، ثنا شبابة، ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: " ولذكر الله " :"عبده أكبر من ذكر العبد ربه في الصلاة وغيرها".

قال تعالى:." (١)

٦٣٥"

سورة العنكبوت ٤٥ - ٤٦

قوله عز وجل " أتل ما أوحي إليك " يعني إقرأ عليهم ما أنزل إليك " من الكتاب " يعني من القرآن ويقال هو أمره بتلاوة القرآن يعني إقرؤوا القرآن واعملوا بما فيه " وأقم الصلاة " يعني وأتم الصلاة " إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر " يعني ما دام العبد يصلي لله عز وجل إنتهى عن الفحشاء والمعاصي ويقال " وأقم الصلاة " يعني وأد الصلاة الفريضة في مواقيتها بركوعها وسجودها والتضرع بعدها " إن الصلاة تنهى عن الفحشاء " يعني إذا صلى العبد لله صلاة خاشع يمنعه من المعاصي لأنه يرق قلبه فلا يميل إلى المعاصي وروى أبو أمامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده صلاته عند الله إلا مقتا وروي عن الحسن البصري رحمه الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من لم تنهه صلاته عن فحشاء ولا منكر لم يزدد بها من الله إلا بعدا وقال الحسن إذا لم تنته بصلاتك عن الفحشاء فلست بمصل

ثم قال " **ولذكر الله أكبر** " يعني أفضل من سائر العبادات وروي عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال قراءة القرآن في غير الصلاة أفضل من صلاة لا يكون فيها كثير القراءة ثم قرأ هذه الآية " وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** " قال مقاتل ولذكر الله إياك أفضل من ذكرك إياه بالصلاة وقال الكلبي يقول ذكره إياكم بالخير أكبر من ذكركم إياه والله يذكر من ذكره بالخير

قال أبو الليث رحمه الله حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا الماسرخسي قال حدثنا إسحاق قال حدثنا جرير عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن ربيعة قال سألني إبن عباس عن قوله " **ولذكر الله أكبر** " فقلت

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٤٤٧/١١

هو التسبيح والتهليل والتقديس فقال لقد قلت شيئا عجيبا وإنما هو ذكر الله العباد أكثر من ذكر العباد إياه وقال قتادة " **ولذكر الله أكبر** " أي ليس شيء أفضل من ذكر الله وسئل سلمان الفارسي أي العمل أفضل قال ذكر الله ويقال ذكر الله أفضل من الإشتغال بغيره ويقال ذكر الله حين كتبكم في اللوح المحفوظ من المسلمين أفضل ويقال ذكر الله عز وجل بالمغفرة أفضل من ذكرك إياه وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من ذكر الله في نفسه ذكره الله في نفسه ومن ذكره في ملإ ذكره الله عز وجل." (١)

"قال الفقيه الإمام القاضي وهذه عجمة وأنى هذا مما روى أنس بن مالك قال كان فتى من الأنصار يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا يدع شيئا من الفواحش والسرقة إلا ركبه فقيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إن صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وصلحت حاله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم اقل لكم وقوله تعالى " **ولذكر الله أكبر** " قال ابن عباس وابو الدرداء وسلمان وابن مسعود وأبو قرة معناه " ولذكر الله " إياكم " أكبر " من ذكركم إياه وقيل معناه " **ولذكر الله أكبر** " مع المداومة من الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر قال ابن زيد وقتادة معناه " **ولذكر الله أكبر** " من كل شيء وقيل لسلمان أي الأعمال أفضل فقال أما تقرأ القرآن " **ولذكر الله أكبر** " ومنه حديث الموطأ عن أبي الدرداء ألا أخبركم بخير أعمالكم الحديث وقيل معناه " ولذكر الله "كبير كأنه يحض عليه في هذين التأويلين الأخيرين

قال الفقيه الإمام القاضي وعندي أن المعنى " **ولذكر الله أكبر** " على الإطلاق أي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر .

فالجزء الذي منه في الصلاة يفعل ذلك وكذلك يفعل في غير الصلاة لأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاكر مراقب وثواب ذلك الذكر أن يذكره الله تعالى كما في الحديث ومن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منه والحركات التي في الصلاة لا تأثير لها في نهي والذكر النافع هو مع العلم وإقبال القلب وتفرغه إلا من الله تعالى وأما ما لا يتجاوز اللسان ففي رتبة أخرى وذكر الله تعالى العبد هو إفاضة الهدى ونور العلم عليه وذلك ثمرة لذكر العبد ربه قال الله عز وجل " فاذكروني أذكركم " البقرة : ١٥٢ وباقي الآية ضرب من التوعد والحث على المراقبة

قوله عز وجل في سورة العنكبوت ٤٦

قرأ الجمهور إلا على الاستثناء وقرأ ابن عباس ألا بفتح الهمزة وتخفيف اللام واختلف المفسرون في المراد بهذه الآية فقال ابن زيد معناها لا تجادلوا من آمن بمحمد من " أهل الكتاب " فكأنه قال "

---

(١) بحر العلوم ـ موافق للمطبوع، ٦٣٥/٢

أهل الكتاب " المؤمنين " إلا بالتي هي أحسن " أي الموافقة فيما حدثوكم به من أخبار أوائلهم وغير ذلك وقوله تعالى على هذا التأويل " إلا الذين ظلموا " يريد به من بقي على كفره منهم كمن كفر وغدر من قريظة والنضير وغيرهم والآية على هذا محكمة غير منسوخة وقال مجاهد المراد ب " أهل الكتاب " اليهود والنصارى الباقون على دينهم أمر الله تعالى المؤمنين ألا يجادلوهم " إلا بالتي هي أحسن " من الدعاء إلى الله تعالى والتنبيه على آياته وأن يزال معهم عن طريق الإغلاظ والمخاشنة وقوله على هذا التأويل " إلا الذين ظلموا " معناه ظلموكم وإلا فكلهم ظلمة على الإطلاق يراد بهم من لم يؤد جزية

٣٢١

". (١)

"الغار فاجتمعت العنكبوت فنسجت بالباب فلا تقتلوهن.

– قوله تعالى : وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون * خلق الله السموات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين.

أخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن مرة قال : ما مررت بآية في كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنتني لاني سمعت الله تعالى يقول ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾.

– قوله تعالى : اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون.

أخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ يقول : في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله.

وأخرج عبد بن حميد عن أبي العالية رضي الله عنه في قوله ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ قال : الصلاة فيها ثلاث خلال ، الاخلاص والخشية وذكر الله فكل صلاة ليس فيها من هذه الخلال فليس بصلاة ، فالاخلاص يامره بالمعروف والخشية تنهاه عن المنكر وذكر الله القرآن يامره وينهاه.

وأخرج عبد بن حميد ، وابن المنذر عن الربيع بن أنس رضي الله عنه انه كان يقرؤها (ان الصلاة تأمر بالمعروف تنهي عن الفحشاء والمنكر).

". (٢)

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ٣٧٣/٤

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٥٤٩/١١

"الفحشاء والمنكر فان لم تنهك صلاتك عن الفحشاء والمنكر فانك لست تصلي.

وأخرج ابن جرير عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم تنهه عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا.

وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن أبي عون الانصاري في قوله ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ قال : اذا كنت في صلاة فأنت في معروف وقد حجزتك الصلاة عن الفحشاء والمنكر والذي أنت فيه من **ذكر الله أكبر.**

وأخرج عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن حماد بن أبي سليمان رضي الله عنه في قوله ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ قال : ما دمت فيها.

وأخرج ابن جرير عن ابن عمر رضي الله عنهما ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ قال : القرآن الذي يقرأ في المساجد.

وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله !." [١]

"**﴿ولذكر الله أكبر﴾** قال : ولذكر الله لعباده اذا ذكروه أكبر من ذكرهم اياه.

وأخرج الفريابي وسعيد بن منصور ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الايمان عن عبد الله بن ربيعة قال : سألني ابن عباس رضي الله عنهما عن قول الله **﴿ولذكر الله أكبر﴾** فقلت : ذكر الله بالتسبيح والتهليل والتكبير ، قال : لا ، ذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه ثم قرأ ﴿فاذكروني أذكركم﴾ البقرة الآية ١٥٢.

وأخرج ابن أبي شيبه وعبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد الزهد ، وابن جرير عن ابن مسعود رضي الله عنه **﴿ولذكر الله أكبر﴾** قال : ذكر الله العبد أكبر من ذكر العبد لله.

وأخرج ابن السني ، وابن مردويه والديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله **﴿ولذكر الله أكبر﴾** قال ذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه.

وأخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي عن عطية رضي الله عنه في قوله **﴿ولذكر الله أكبر﴾** قال : هو قوله ﴿فاذكروني أذكركم﴾ فذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه.

". [٢]

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالم أثور للسيوطي، ١١/٥٥٢

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١١/٥٥٣

"وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن مجاهد رضي الله عنه ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾ قال : لذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد ربه في الصلاة وغيرها.

وأخرج عبد بن حميد عن الحسن ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾ يقول : لذكر الله اياكم اذا ذكرتموه أكبر من ذكركم اياه.

وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، عن جابر قال : سألت أبا قرة عن قوله ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾ قال : **ذكر الله أكبر** من ذكركم إياه.

وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿ولذكر الله﴾ عندما حرمه وذكر الله اياكم أعظم من ذكركم اياه.

". (١)

"وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير عن أبي مالك رضي الله عنه ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾ قال : ذكر الله العبد في الصلاة أكبر من الصلاة.

وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير عن قتادة رضي الله عنه في قوله ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾ قال : لا شيء أكبر من ذكر الله.

وأخرج أحمد في الزهد ، وابن المنذر عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : ما عمل آدمي عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله ، قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله قال : ولا ان يضرب بسيفه حتى ينقطع لان الله تعالى يقول في كتابه ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾.

وأخرج سعيد بن منصور ، وابن أبي شيبه ، وابن المنذر والحاكم في الكني والبيهقي في شعب الايمان عن عنترة قال : قلت لابن عباس رضي الله عنهما : أي العمل أفضل قال : **ذكر الله أكبر** وما قعد قوم في بيت من بيوت الله يدرسون كتاب الله ويتعاطونه بينهم إلا أظلتهم الملائكة بأجنحتها وكانوا أضياف الله ما داموا فيه حتى يفيضوا في حديث غيره وما سلك رجل طريقا يلتمس فيه العلم إلا سهل الله له طريقا إلى الجنة.

وأخرج ابن أبي شيبه ، وابن جرير عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : ألا أخبركم بخير." (٢)

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١١/٥٥٤

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١١/٥٥٥

"أعمالكم وأحبها إلى مليككم وانماها في درجاتكم وخير من ان تلقوا عدوكم فيضربوا رقابكم وتضربوا رقابهم وخير من اعطاء الدنانير والدراهم ، قالوا : وما هو يا أبا الدرداء قال : ذكر الله ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾.
وأخرج ح والبيهقي عن أم الدرداء رضي الله عنها قالت ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾ وان صليت فهو من ذكر الله وان صمت فهو من ذكر الله وكل خير تعمله فهو من ذكر الله وكل شر تجتنبه فهو من ذكر الله وأفضل من ذلك تسبيح الله.

وأخرج ابن جرير عن سلمان رضي الله عنه أنه سئل أي العمل أفضل قال : أما تقرأ القرآن ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾ لا شيء أفضل من ذكر الله ، والله أعلم.

- قوله تعالى : ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون * وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون.

أخرج الفريابي ، وابن جرير عن مجاهد في قوله ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾ قال : الذين قالوا : مع الله اله أو له ولد أوله شريك أو يد الله مغلولة أو الله فقير ونحن." (١)

"لأن قوم سيدنا لوط أهلكوا بالحجارة وعاد أهلكوا بالريح وإن حملناه ... ٥١٠

١١٧ على المعنى الواحد نقص ذكر الآخر وقد أجاز كثير من الناس استعمال اللفظ الواحد في معنيين كقوله إن الله وملائكته يصلون على النبي ويقوي ذلك هنا لأن المقصود هنا ذكر عموم أخذ أصناف الكفار ومنهم من أخذته الصيحة يعني ثمود ومدين ومنهم من خسفنا به الأرض يعني قارون ومنهم من أغرقنا يعني قوم نوح وفرعون وقومه مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا شبه الله الكافرين في عبادتهم للأصنام بالعنكبوت في بنائها بيتا ضعيفا فكان ما اعتمدت عليه العنكبوت في بيتها ليس بشيء فكذلك ما اعتمدت عليه الكفار من آلهتهم ليس بشيء لأنهم لا ينفعون ولا يضرون أوهن البيوت أي أضعفها لو كانوا يعلمون أي لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء ما موصولة بمعنى الذي مفعولة للفعل الذي قبلها وقيل هي نافية والفعل معلق عنها والمعنى على هذا لستم تدعون من دون الله شيئا له بال فلا يصلح أن يسمى شيئا بالحق أي بالواجب لا على وجه العبث واللعب إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر إذا كان المصلي خاشعا في صلاته متذكرا

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٥٥٦/١١

لعظمة من وقف بين يديه حمله ذلك على التوبة من الفحشاء والمنكر فكأن الصلاة ناهية عن ذلك **ولذكر الله أكبر** قيل فيه ثلاثة معان الأول أن المعنى أن الصلاة أكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله لأن ذكر الله أعظم ما فيها كأنه أشار بذلك إلى تعليل نهيها عن الفحشاء والمنكر لأن ذكر الله فيها هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر الثاني أن ذكر الله على الدوام أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة لأنها في بعض الأوقات دون بعض الثالث أن **ذكر الله أكبر** أجرا من الصلاة ومن سائر الطاعات كما ورد في الحديث ألا أنبئكم بخير أعمالكم قالوا بلى قال ذكر الله ولا تجادلوا أهل الكتاب." (١)

"هذه الحالة الوسط أوقع عليهم اسم البعولة هنا، وهو مجاز قرينته واضحة، وعلاقته اعتبار ما كان، مثل إطلاق اليتامى في قوله تعالى :﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾ [النساء:٢].

وقد جملة الجمهور على المجاز؛ فإنهم اعتبروا المطلقة طلاقا رجعيا امرأة أجنبية عن المطلق، بحسب الطلاق، ولكن لما كان للمطلق حق المراجعة، ما دامت المرأة في العدة، ولو بدون رضاها، وجب إعمال مقتضى الحالتين، وهذا قول مالك لا يجوز للمطلق أن يستمتع بمطلقته الرجعية، ولا أن يدخل عليها بدون أذن، ولو وطئها بدون قصد مراجعة أثم، ولكن لا حد عليه للشبهة، ووجب استبراؤها من الماء الفاسد، ولو كانت رابعة لم يكن له تزوج امرأة أخرى، ما دامت تلك العدة .

وإنما وجبت لها النفقة لأنها محبوسة لانتظار مراجعته، ويشكل على قولهم أن عثمان قضى لها بالميراث إذا مات مطلقها وهي في العدة؛ قضى بذلك في امرأة عبد الرحمن بن عوف، بموافقة علي، رواه في "الموطأ"، فيدفع الإشكال بأن انقضاء العدة شرط في إنفاذ الطلاق، وإنفاذ الطلاق مانع من الميراث، فما لم تنقض العدة، فالطلاق متردد بين الإعمال والإلغاء، فصار ذلك شكا في مانع الإرث، والشك في المانع يبطل إعماله.

وحمل أبو حنيفة، والليث بن سعد، البعولة على الحقيقة، فقالا "الزوجية مستمرة بين المطلق الرجعي ومطلقته؛ لأن الله سماهم بعولة" وسوغا دخول المطلق عليها، ولو وطئها فذلك ارتجاع عند أبي حنيفة. وقال به الأوزاعي، والثوري، وابن أبي ليلى، ونسب إلى سعيد بن المسيب، والحسن، والزهري، وابن سيرين، وعطاء، وبعض أصحاب مالك. وأحسب أن هؤلاء قائلون ببقاء الزوجية بين المطلق ومطلقته الرجعية.

و "أحق" قيل: هو بمعنى اسم الفاعل مسلوب المفاضلة، أتى به لإفادة قوة حقهم، وذلك مما يستعمل فيه صيغة أفعل، كقوله تعالى: **﴿ولذكر الله أكبر﴾** [العنكبوت:٤٥] لا سيما إن لم يذكر بعدها مفضل عليه

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٢/ ٣٣٧

بحرف من، وقيل: هو تفضيل على بابه، والمفضل عليه محذوف، إشارة إليه في "الكشاف"، وقرره التفتازاني بما تحصيله وتبيينه: أن التفضيل بين صنفي حق مختلفين باختلاف المتعلق: هما حق الزوج إن رغب فيها، وحق المرأة في الامتناع من المراجعة إن أبتها، فصار المعنى: وبعولتهن أحق برد المطلقات، من حق المطلقات بالامتناع وقد نسج التركيب على طريقة الإيجاز.

وقوله: ﴿في ذلك﴾ الإشارة بقوله: ﴿ذلك﴾ إلى التربص، بمعنى مدته، أي للبعولة حق الإرجاع في مدة القروء الثلاثة، أي بعد ذلك. كما هو مفهوم القيد. هذا تقرير معنى." (١)

"عمل هو إتقانه وحصول المراد منه، قال تعالى ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا﴾ [ص: ٢٧].

والمراد بالسماوات والأرض ما يشمل ذاتهما والموجودات المظروفة فيهما. وهذا الخلق المتقن الذي لا تقصير فيه عما أريد منه هو آية على وحدانية الخالق وعلى صفات ذاته وأفعاله.

[٤٥] ﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون﴾

بعد أن ضرب الله للناس المثل بالأمم السالفة جاء بالحجة المبينة فساد معتقد المشركين، ونوه بصحة عقائد المؤمنين بمنتهى البيان الذي ليس وراءه مطلب أقبل على رسوله بالخطاب الذي يزيد تثبيته على نشر الدعوة وملازمة الشرائع وإعلان كلمة الله بذلك، وما فيه زيادة صلاح المؤمنين الذين انتفعوا بدلائل الوحدانية. وما الرسول عليه الصلاة والسلام إلا قدوة للمؤمنين وسيدهم فأمره أمر لهم كما دل عليه التذييل بقوله ﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ بصيغة جمع المخاطبين كقوله ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك﴾، فأمره بتلاوة القرآن إذ ما فرط فيه من شيء من الإرشاد.

وحذف متعلق فعل ﴿اتل﴾ ليعم التلاوة على المسلمين وعلى المشركين. وهذا كقوله تعالى ﴿إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها﴾ إلى قوله ﴿وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين﴾ ١ [النمل: ٩١-٩٢].

وأمره بإقامة الصلاة لأن الصلاة عمل عظيم، وهذا الأمر يشمل الأمة فقد تكرر الأمر بإقامة الصلاة في آيات كثيرة.

وعلل الأمر بإقامة الصلاة بالإشارة إلى ما فيها من الصلاح النفساني فقال إن الصلاة تنهى عن الفحشاء

---

(١) التحرير والتنوير، ٢/٣٧٥

والمنكر، فموقع ﴿إن﴾ هنا موقع فاء التعليل ولا شك أن هذا التعليل موجه إلى الأمة لأن النبي صلى الله عليه وسلم معصوم من الفحشاء والمنكر فاقتصر على تعليل الأمر بإقامة الصلاة دون تعليل الأمر بتلاوة القرآن لما في هذا الصلاح الذي جعله الله في الصلاة من سر إلهي لا يهتدي إليه الناس إلا بإرشاد منه تعالى؛ فأخبر أن الصلاة تنهى عن

–

١ في المطبوعة (فإنما يضل عليها) .." (١)

"وفي الصلاة أفعال هي خضوع وتذلل لله تعالى من قيام وركوع وسجود وذلك يذكر بلزوم اجتلاب مرضاته والتباعد عن سخطه. وكل ذلك مما يصد عن الفحشاء والمنكر.

وفي الصلاة أعمال قلبية من نية واستعداد للوقوف بين يدي الله وذلك يذكر بأن المعبود جدير بأن تمتثل أوامره وتجتنب نواهيه.

فكانت الصلاة بمجموعها كالواعظ الناهي عن الفحشاء والمنكر، فإن الله قال ﴿تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ ولم يقل تصد وتحول ونحو ذلك مما يقتضي صرف المصلي عن الفحشاء والمنكر.

ثم الناس في الانتهاء متفاوتون، وهذا المعنى من النهي عن الفحشاء والمنكر هو من حكمة جعل الصلوات موزعة على أوقات من النهار والليل ليتجدد التذكير وتتعاقب المواعظ، وبمقدار تكرر ذلك تزداد خواطر التقوى في النفوس وتتباعد النفس من العصيان حتى تصير التقوى ملكة لها. ووراء ذلك خاصية إلهية جعلها الله في الصلاة يكون بها تيسير الانتهاء عن الفحشاء والمنكر.

روى أحمد وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق، فقال: سينهاه ما تقول أي صلاته بالليل.

واعلم أن التعريف في قوله ﴿الفحشاء والمنكر﴾ تعريف الجنس فكلما تذكر المصلي عند صلاته عظمة ربه ووجوب طاعته وذكر ما قد يفعله من الفحشاء والمنكر كانت صلاته حينئذ قد نهته عن بعض أفراد الفحشاء والمنكر.

والفحشاء: اسم للفاحشة، والفحش: تجاوز الحد المقبول. فالمراد من الفاحشة: الفعلة المتجاوزة ما يقبل بين الناس. وتقدم في قوله تعالى ﴿إنما يأمركم بالسوء والفحشاء﴾ في [سورة البقرة: ١٦٩]. والمقصود هنا من الفاحشة: تجاوز الحد المأذون فيه شرعا من القول والفعل، وبالمنكر: ما ينكره ولا يرضى بوقوعه.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٧٧/٢٠

وكأن الجمع بين الفاحشة والمنكر منظور فيه إلى اختلاف جهة ذمه والنهي عنه.

وقوله ﴿ولذكر الله أكبر﴾ يجوز أن يكون عطفا على جملة ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ فيكون عطف علة على علة، ويكون المراد بذكر الله هو الصلاة كما في قوله تعالى ﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾ أي صلاة الجمعة. ويكون العدول عن لفظ الصلاة الذي هو كالاسم لها إلى التعبير عنها بطريق الإضافة للإيماء إلى تعليل أن الصلاة." (١)

"تنهى عن الفحشاء والمنكر، أي إنما كانت ناهية عن الفحشاء والمنكر لأنها ذكر الله وذكر الله أمر كبير، فاسم التفضيل مسلوب المفاضلة مقصود به قوة الوصف كما في قولنا: الله أكبر، لا تريد أنه أكبر من كبير آخر.

ويجوز أن يكون عطفا على جملة ﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب﴾ . والمعنى: واذكر الله فإن ذكر الله أمر عظيم، فيصح أن يكون المراد من الذكر تذكر عظمة الله تعالى. ويجوز أن يكون المراد ذكر الله باللسان ليعم ذكر الله في الصلاة وغيرها. واسم التفضيل أيضا مسلوب المفاضلة ويكون في معنى قول معاذ بن جبل "ما عمل آدمي عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله" .

ويجوز أن يكون المراد بالذكر تذكر ما أمر الله به ونهى عنه، أي مراقبة الله تعالى وحذر غضبه، فالتفضيل على بابه، أي ولذكر الله أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة في ذلك النهي، وذلك لإمكان تكرار هذا الذكر أكثر من تكرر الصلاة فيكون قريبا من قول عمر رضي الله عنه: أفضل من شكر الله باللسان ذكر الله عند أمره ونهيه.

ولك أن تقول: ذكر الله هو الإيمان بوجوده وبأنه واحد. فلما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم وأراد أمر المؤمنين بعملين عظيمين من البر أردفه بأن الإيمان بالله هو أعظم من ذلك إذ هو الأصل كقوله تعالى ﴿فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا﴾ [البلد: ١٣-١٧]. وذلك من رد العجز على الصدر عاد به إلى تعظيم أمر التوحيد وتفظيع الشرك من قوله ﴿إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء﴾ [العنكبوت: ٤٢] إلى هنا.

وقوله ﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ تذييل لما قبله، وهو وعد ووعيد باعتبار ما اشتمل عليه قوله ﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة﴾ وقوله ﴿تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ .

والصنع: العمل.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٧٩/٢٠

[٤٦] ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾

عطف على جملة ﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب﴾ [العنكبوت: ٤٥] الآية، باعتبار ما." [١]

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ٢ ، ص : ٦٥١

٣٨ وكانوا مستبصرين : عقلاء ذوي بصائر «١» ، أو مستبصرين في ضلالتهم معجبين بها «٢».

٤١ لبيت العنكبوت : إذ لا يكن «٣» من حر أو برد ولا يحصن عن طالب.

٤٥ **ولذكر الله أكبر** : أي : ذكر الله لكم بالرحمة أكبر من ذكركم له بالثناء «٤» ، أو ذكركم الله أفضل من جميع عملكم.

٤٦ إلا بالتي هي أحسن : أي : في إيراد الحجة من غير سباب واضطراب.

إلا الذين ظلموا منهم : أي : منع الجزية وقاتل «٥» ، أو أقام على الكفر بعد أن حج وألزم «٦».

٤٩ بل هو آيات بينات في صدور : أي : حفظ القرآن وحفظ الكتاب

---

(١) هذا قول الفراء في معانيه : ٢/ ٣١٧ ، ونقله البغوي في تفسيره : ٣/ ٤٦٧ عن الفراء أيضا ، وكذا ابن الجوزي في زاد المسير : ٦/ ٢٧٢ ، والقرطبي في تفسيره : ١٣/ ٣٤٤.

(٢) نص هذا القول في تفسير القرطبي : ٢٠/ ١٥٠ ، ونقله البغوي في تفسيره : ٣/ ٤٦٧ عن قتادة ، ومقاتل ، والكلبي.

(٣) أي : لا يفي ولا يصون.

الصحاح : ٦/ ٢١٨٨ ، واللسان : ١٣/ ٣٦١ (كنن).

(٤) أخرج الطبري هذا القول في تفسيره : (٢٠/ ١٥٦ ، ١٥٧) عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة.

وأورده السيوطي في الدر المنثور : ٦/ ٤٦٦ ، وعزا إخراجه إلى ابن السني ، وابن مردويه ، والديلمي عن ابن عمر مرفوعا.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : ٦/ ٢٩٢ : «روي هذا من غير وجه عن ابن عباس ، وروي أيضا عن ابن مسعود ، وأبي الدرداء ، وسلمان الفارسي وغيرهم».

(٥) أخرج الطبري هذا القول في تفسيره : ٢١/ ١ عن مجاهد ، وأورده السيوطي في الدر المنثور : (٦/

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٠/١٨٠

٤٦٨ ، ٤٦٩) ، وزاد نسبته إلى الفريابي ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن مجاهد أيضا.
(٦) ذكره الطبري في تفسيره : ٢١/ ٢ ، ونقله الماوردي في تفسيره : ٣/ ٢٤٩ عن ابن زيد.." [١]
" صفحة رقم ٢٨٤
وقال عطاء : نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود ، ومرة على النبي (صلى الله عليه وسلم) .
وجمع العنكبوت عناكب وتصغيره عنيكب .
(العنكبوت : (٤٤ - ٤٥) خلق الله السماوات . . . . .
" خلق الله السماوات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون " (قوله تعالى :) اتل مآ أوحي إليك من الكتاب (يعني القرآن وهذا خطاب للنبي (صلى الله عليه وسلم) أن يتلو ما أنزل منه على أمته .
) وأقم الصلاة (فيه ثلاثة تأويلات :
أحدها : أنه القرآن ، قاله ابن عمر .
الثاني : أنه الصلاة المفروضة . قاله ابن عباس .
الثالث : أن الصلاة هنا هي الدعاء ومعناه قم بالدعاء إلى أمر الله ، قاله ابن بحر .
) إن الصلاة تنهى عن الفحشآء والمنكر (الفحشاء الزنى والمنكر الشرك ، قاله ابن عباس .
ثم فيه ثلاثة أقاويل :
أحدها : أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها ، قاله الكلبي وابن زيد وحماد بن أبي سليمان .
الثاني : تنهى عن الفحشاء والمنكر قبلها وبعدها روى طاووس عن ابن عباس قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله إلا بعدا)." [٢]
" صفحة رقم ٢٨٥
الثالث : إن ما تدعوهم إليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قاله ابن زيد .
) ولذكر الله أكبر (فيه سبعة تأويلات :
: أحدها : ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه ، قاله ابن عباس .

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ٢/٦٥١
(٢) النكت والعيون ـ موافق للمطبوع، ٤/٢٨٤

الثاني : ولذكر الله أفضل من كل شيء ، قاله سلمان .

الثالث : ولذكر الله في الصلاة التي أنت فيها أكبر مما نهتك عنه الصلاة من الفحشاء والمنكر ، قاله عبد الله بن عون .

الرابع : ولذكر الله العبد في الصلاة أكبر من الصلاة ، قاله أبو مالك .

الخامس : **ولذكر الله أكبر** من أن تحويه أفهامكم وعقولكم .

السادس : أكبر من قيامكم بطاعته .

السابع : أكبر من أن يبقي على صاحبه عقاب الفحشاء والمنكر .

(العنكبوت : (٤٦) ولا تجادلوا أهل . . . . . .

" ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون " (قوله تعالى :) ولا تجادلوا أهل الكتاب إلأ بالتي هي أحسن (فيه ثلاثة تأويلات :." [1]

"فمن هذا الباب، قيل : من أعان على الفاحشة وإشاعتها؛ مثل القواد الذي يقود النساء والصبيان إلى الفاحشة؛ لأجل ما يحصل له من رياسة أو سحت يأكله، وكذلك أهل الصناعات التي تنفق بذلك؛ مثل المغنين، وشربة الخمر، وضمان الجهات السلطانية وغيرها، فإنهم يحبون أن تشيع الفاحشة؛ ليتمكنوا من دفع من ينكرها من المؤمنين، بخلاف ما إذا كانت قليلة خفيفة خفية، ولا خلاف بين المسلمين أن ما يدعو إلى معصية الله وينهي عن طاعته منهي عنه محرم، بخلاف عكسه فإنه واجب ، كما قال تعالى : ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، أي : إن ما فيها من طاعة الله وذكره وامتثال أمره أكبر من ذلك .

/ وقال في الخمر والميسر : ﴿ ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ﴾ [المائدة : ٩١] ، أي : يوقعهم ذلك في معصيته التي هي العداوة والبغضاء، وهذا من أعظم المنكرات التي تنهي عنه الصلاة، والخمر تدعو إلى الفحشاء والمنكر كما هو الواقع، فإن شارب الخمر تدعوه نفسه إلى الجماع حلالا كان أو حراما، فالله ـ تعالى ـ لم يذكر الجماع؛ لأن الخمر لا تدعو إلى الحرام بعينه من الجماع، فيأتي شارب الخمر ما يمكنه من الجماع، سواء كان حلالا أو حراما، والسكر يزيل العقل الذي كان يميز السكران به بين الحلال والحرام، والعقل الصحيح ينهي عن مواقعة الحرام، ولهذا يكثر شارب الخمر من مواقعة الفواحش

---

(١) النكت والعيون ـ موافق للمطبوع، ٤/٢٨٥

ما لا يكثر من غيرها حتي ربما يقع على ابنته وابنه ومحارمه، وقد يستغني بالحلال إذا أمكنه، ويدعو شرب الخمر إلى أكل أموال الناس بالباطل : من سرقة، ومحاربة، وغير ذلك؛ لأنه يحتاج إلى الخمر وما يستتبعه من مأكول وغيره من فواحش وغناء .

". (١)

" صفحة رقم ٣١٠

وأفضل مجليات القلوب ومهذبات النفوس ، لأنها مشتملة على مجامع الذكر

٧٧ ( ) إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** ( ) ٧

[العنكبوت : ٤٨] فقال : (فإذا اطمأننتم) أي عما كنتم فيه من الخوف) فأقيموا الصلاة) أي فافعلوها قائمة المعالم كلها على الحالة التي كنتم تفعلونها قبل الخوف ؛ ثم علل الأمر بها في الأمن والخوف والسعة والضيق سفرا أو حضرا بقول : (إن الصلاة (مظهرا لما اكن الأصل فيه الإضمار تنبيها على عظيم قدرها بما للعبد فيها من الوصلة بمعبوده) كانت على المؤمنين كتابا) أي هي - مع كونها فرضا - جامعة على الله جمعا لا يقارنها فيه غيره) موقوتا) أي وهي - مع كونها محدودة - مضبوطة بأوقات مشهورة ، فلا يجوز إخراجها عنها في أمن ولا خوف فوت - بما أشارت إليه مادة وقت للأبدان بما تسبب من الأرزاق

.

وللقلوب بما تجلب من المعارف والأنوار .

ولما ءرف من ذلك أن آيات الجهاد في هذه السورة معلمة للحذر خوف الضرر ، مرشدة إلى إتقان المكائد للتخلص من الخطر ، وكان ذلك نمظنة لمتابعة النفس والمبالغة فيه ، وهو مظنة للتواني في أمر الجهاد ؛ أتبع ذلك قوله تعالى منبها على الجد في أمره ، وأنه لم يدع في الصلاة ولا غيرها ما يشغل عنه ، عاطفا على نحو : فافعلوا ما أمرتكم به ، أو على) فأقيموا الصلاة (: (ولا تهنوا) أي تضعفوا وتتوانوا بالاشتغال بذكر ولا صلا ، فقد يسرت ذلك لكم تيسيرا لا يعوق عن شيء من أمر الجهاد) في ابتغاء القوم) أي طلبهم بالاجتهاد وإن كانوا ي غاية القوم والقيام بالأمور ؛ ثم علل ذلك بقوله : (إن تكونوا تألمون) أي يحصل لكم ألم ومشقة بالجهاد من القتل وما دونه) فإنهم يألمون كما تألمون) أي لأنهم يحصل لهم من ذلك ما يحصل لكم ، فلا يكونن على باطلهم اصبر منكم على حقكم .

ولما بين ما يكون مانعا لهم من الوهن دونهم ، لأنه مشترك بينهم ؛ بين ما يحملهم على افقدام لاختصاصه

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٣/٤٩٩

به فقال : (وترجون) أي أنتم) من الله) أي الذي له جميع الأسماء الحسنى والصفات العلى) ما لا يرجون) أي من النصر والعزم والكرم واللطف ، لأنكم تقاتلون فيه وهم يقاتلون في الشيطان ، وهذا لكل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر سواء كان ذلك في جهاد الكفار أو لا .
ولما كان العلم مبنى كل خير ، وكانت الحكمة التي هي نهاية العلم وغاية القدرة مجمع الصفات العلى قال تعالى ؛) وكان الله) أي الآمر لكم بهذه الأوامر وهو المحيط بكل شيء) عليما) أي بالغ العلم فهو لا يأمر إلا بما يكون بالغ الحسن مصلحا للدين والدنيا) حكيما (فهو يتقن لمن يأمره الأحوال ، ويسدده في المقال والفعال ، فمن علم منه خيرا أراده ورقاه في درج السعادة ، ومن علم منه شرا كاده فنكس مبدأه ومعاده .." (١)

" صفحة رقم ٥٦١

لأن المقام لضعف ما تبنيه فقال : (اتخذت بيتا (اي تكلفت أخذه في صنعتها له ليقيها الردى ، ويحميها البلا ، كما تكلف هؤلاء اصطناع أربابهم لينفعوهم ، ويحفظوهم بزعمهم ويرفعوهم ، فكان ذلك البيت مع تكلفها في أمره ، وتعبها الشديد في شأنه ، في غاية الوهن .
ولما كان حالها في صنعها حال من ينكر وهنه ، قال مؤكدا : (وإن (و واوه للحال من ضمير -) اتخذت) أي والحال أنه أوهن - هكذا كان الأصل ، ولكنه أظهر للتعميم فقال : (أوهن البيوت (اي أضعفها) لبيت العنكبوت (التي عانت في حوكه ما عانت وقاست في نسجه ما قاست ، لأنه لا يكن من حر ، ولا يصون من برد ، ولا يحصن عن طالب ، كذلك ما اتخذ هؤلاء من هذه الأوثان ، وهذا الدين الذي لا أصل له فهو أوهن الأديان وأهونها) لو كانوا يعلمون) أي لو كان لهم ما من العلم لاتنفعوا به فعلموا أن هذا مثلهم ، فأبعدوا عن اعتقاد ما هذا مثله .
العنكبوت : (٤٢ - ٤٦) إن الله يعلم. .. . .
) إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلهآ إلا العالمون خلق الله السماوات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشآء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون (( )

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب)، ٢/٣١٠

ولما انتفى نفعهم بعلمهم ، صح نفيه ، فكانوا وإياها على حد سواء ، ليس لفريق منهما شيء مما نوى ، فيا لها من صفقة خاسرة ، وتجارة كاسدة بائرة .

ولما كان ضرب المثل للشيء لا يصح إلا من العالم بذلك الشيء ، وكان النصير على شيء لا يمكن أن يتوجه إلى معارضته إلا أن إلا إن كان يعلمه ويعلم مقدار قدرته ، وعدة جنوده . وصل بذلك أن هذا شأنه سبحانه وأن شؤكاءهم في غاية البعد عن ذلك ، فكيف يعلقون بنصرهم آمالهم ، وزاد ذلك حسنا تعقيبه لنفي العلم عنهم ، فقال إشارة إلى جهلهم في إنكارهم أن يقدر أحد على إهلاك آلهتهم التي هي أو هي الأشياء : (إن الله) أي الذي له صفات الكمال) يعلم (بما له من تلك الصفات) ما (اي الذي) يدعون (اي الذين ضرب لهم المثل ، أو أنتم – في قراءة الفوقانية التفاتا إلى أسلوب الخطاب إيذانا بالغضب) من دونه (إشارة إلى سفول رتبتهم ، وأكد العموم بقوله : (من شيء) أي سواء كان نجما." (١)

"أي : عزيزة طويلة.

فإن قيل : إنه تعالى لما تعهد بكل ما في التوراة ، وجب أن يكون الكل حسنا.

وقوله : ﴿يأخذوا بأحسنها ﴾ يقتضي أن يكون فيه ما ليس بأحسن ، وأنه لا يجوز لهم الأخذ به وهو متناقض.

وأجابوا بوجوه : منها : أن تلك التكاليف منها ما هو حسن ، ومنها ما هو أحسن كالقصاص والعفو ، والانتصار ، والصبر ، أي : فمرهم أن يأخذوا بالأفضل فإنه أكثر ثوابا ، لقوله : ﴿واتبعوا اا أحسن مآ أنزل إليكم من ربكم﴾ [الزمر : ٥٥] وقوله : ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ [الزمر : ١٨].

قالوا : فيحمل الأخذ بالأحسن على الندب.

ومنها : قال قطرب : ﴿يأخذوا بأحسنها﴾ أي : بحسنها ، وكلها حسن ؛ كقوله تعالى : ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت : ٤٥] وأنشد بيت الفرزدق المتقدم.

ومنها : أن الحسن يدخل تحته الواجب ، والمندوب ، والمباح وأحسن هذه الثلاثة : الواجب ، والمندوب.

قوله : ﴿سأوريكم دار الفاسقين﴾ جوزوا في الرؤية هنا أن تكون بصرية ، وهو الظاهر فتتعدى لاثنين ، أحدهما : ضمير المخاطبين ، والثاني : دار.

والثاني : أنها قلبية ، وهو منقول عن ابن زيد وغيره ، والمعنى : سأعلمكم سير الأولين وما حل بهم من

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٥٦١

النكال : وقيل : " دار الفاسقين " ما دار إليه أمرهم ، وذلك لا يعلم إلا بالإخبار والإعلام.

قال ابءن عطية – معترضا على هذا الوجه – : ولو كان من رؤية القلب ، لتعدى بالهمزة إلى ثلاثة مفاعيل.

ولو قال قائلك المفعول الثالث يتضمنه المعنى ، فهو مقدر أي : مذمومة أو خربة أو مسعرة – على قول من قال : إنها جهنم – قيل له : لا يجوز حذف هذا المفعول ، ولا الاقتصار د◌ونه ، لأنها داخلة على الابتداء والخبر ، ولو جوز لكان على قبح في اللسان ، لا يليق بكتاب الله تعالى.

٣٠٨

قال أبو حيان : " وحذف المفعول الثالث في باب " أعلم " لدلالة المعنى عليه جائز ، فيجوز في جواب : هل أعلمت زيدا عمرا منطلقا ؟ أعلمت زيدا عمرا ، وتحذف " منطلقا " لدلالة الكلام السابق عليه ".

فصل قال شهاب الدين : هذا مسلم ، لكن أين الدليل عليه في الكلام ، كما في المثال الذي أبرزه الشيخ ؟ ثم قال : " وأما تعليله بأنها داخلة على الخبر لا يدل على المنع ، لأن خبر المبتدأ يجوز حذفه اختصارا ، والثاني ، والثالث في باب " أعلم " يجوز حذف كل منهما اختصارا ".

قال شهاب الدين : " حذف الاختصار لدليل ، ولا دليل هنا ".

ثم قال : " وفي قوله لأنها – أي : " سأريكم " – داخلة◌ على المبتدأ ، والخبر تجوز " ويعني أنها قبل النقل بالهمزة داخلة على المبتدأ والخبر.

وقرأ الحسن : " سأوريكم " بواو خالصة بعد الهمزة وفيها تخريجان : أحدهما قاله الزمخشري – : " وهي لغة فاشية بالحجاز يقال : أورني كذا وأوريته ، فوجهه أن يكون من أوريت الزند ، فإن المعنى : بينه لي وأنزه لأستبينه ".

والثاني : – ذكره ابن جني – وهو أنه على الإشباع ، فيتولد منها الواو ، قال " وناسب هذا كونه موضع تهديد ووعيد فاحتمل الإتيان بالواو ".

قال شهاب الدين : وهذا كقول الشاعر : [البسيط] ٢٥٧٣ – الله يعلم أنا في تلفتنا

يوم اللقاء إلى أحبابنا صور

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٣٠٤

وأنني حيثما يثني الهوى بصري

من حيثما سلكوا أدنوا فأنظور

٣٠٩
لكن الإشباع بابه الضرورة عند بعضهم.
وقرأ ابن عباس ، وقسامة بن زيد " سأورثكم " قال الزمخشري : وهي قراءة حسنة ، يصححها قوله تعالى : ﴿وأورثنا القوم﴾ [الأعراف : ١٣٧].
فصل في قوله : ﴿سأوريكم دار الفاسقين﴾ وجهان : الأول : أن المراد به التهديد والوعيد وعلى هذا ففيه وجهان : أحدهما : قال ابن عباس والحسن ومجاهد : هي : جهنم وهي مصيرهم في الآخرة ، فاحذروا أن تكونوا منهم.
وثانيهما : قال قتادة وغيره : سأدخلكم الشام ؛ فأريكم منازل القرون الماضية مثل الجبابرة ، والعمالقة ، ومنازل عاد وثمود الذين خالفوا أمر الله لتعتبروا بها.
الوجه الثاني : المراد به الوعد والبشارة بأن الله تعالى سيورثهم أرض أعدائهم وديارهم وهي أرض مصر ، قاله عطية العوفي ؛ ويدل عليه قراءة قسامة.
وقال السدي : هي مصارع الكفار.
جزء : ٩ رقم الصفحة : ٣٠٤
قوله : ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون﴾ الآية.
قال ابن عباس : يريد الذين يتجبرون على عبادي ، ويحاربون أوليائي حتى لا يؤمنوا
٣١٠
." (١)

"الآية في خلق السماوات والأرض بالمؤمنين مع أن في خلقها آية لكل عاقل كما قال تعالى : ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ [الزمر : ٣٨] وقال تعالى : ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار...
لآيات لقوم يعقلون﴾ [البقرة : ٤].
فالجواب : خلق السموات والأرض آية لكل عاقل ، وخلقهما بالحق آية للمؤمنين فحسب ويدل عليه النقل والنقل ، أما النقل فقوله تعالى : ﴿ما خلقناهمآ إلا بالحق ولاكن أكثرهم لا يعلمون﴾ [الدخان : ٣٩] أخرج أكثر الناس عن العلم بكونه خلقهما بالحق مع أنه أثبت للكل بأنه خلقهما بقوله : ﴿ولئن سألتهم

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٢٤٣٥

من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ وأما العقل فـ(هو أن) العاقل أول ما ينظر إلى خلق السماوات والأرض يعلم أن لها خالقا وهو اله ، ثم (من) يهديه الله لا يقطع النظر عنهما عند مجرد ذلك بل يقول : إنه خلقهما متقنا محما وهو المراد من قوله : " بالحق " لأن ما لا يكون محكما يفسد ويبطل فيكون باطلا ، وإذا علم أن خالقهما متقنا يقول : إنه قادر كامل ، حيث خلق ، فأحكم ، وعالم علمه شامل حيث أتقن فيقول : ﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة﴾ [سبأ : ٣] ولا يعزب عن علمه أجزاء الموجودات في الأرض ولا في السموات ، ولا يعجز عن جمعهما كما جمع أجزاء الكائنات والمبدعات فيجوز بعث من في القبور ، وبعثه الرسل ، وهما بالخلق موجودان فيحصل له الإيمان بتمامه من خلق ما خلقه الله على أحسن نظامه.

قوله تعالى : ﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب﴾ يعني القرآن لتعلم أن " نوحا " و " لوطا " وغيرهما كانوا على ما أنت عليه بلغوا الرسلة ، وبالغوا في إقامة الدلالة ، ولم ينقذوا قومهم من الضلالة ، وهذا تسلية للنبي – صلى الله عليه وسلم – (وشرف وكرم).

قوله : ﴿وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشآء والمنكر﴾ الفحشاء : ما قبح من الأعمال ، والمنكر ما لا يعرف في الشرع.

قال ابو مسعود ، وابن عباس : في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ، ولم تهه عن النمنكر لم يزدد بصلاته من الله إلا بعدا ، وقال الحسن وقتادة : من لم تنهه صلاته عن الفحشاء

٣٥٩

والمنكر فصلاته وبال عليه ، وروي عن أنس بن مالك قال : "كان فتى من الأنصار يصلي الصلوات مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم ثم (لا) يدع شيئا من الفواحش إلا ركبه فوصف لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – حاله فقال : " إن صلاته تهاه يوما " فلم يلبث أن تاب وحسن حاله " ، وقال ابن عون : معنى الآية : إن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها ، وقيل : المراد بالصلاة القرآن كما قال : ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت به﴾ [الإسراء : ١١٠] ، أي بقراءتك ، وأراد أنه يقرأ القرآن في الصلاة ، فالقرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر.

قوله : **﴿ولذكر الله أكبر﴾** أي ذكر الله أفضل الصناعات ، قال عليه (الصلاة و) السلام : " ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والفضة وأن تلقوا عدوكم

فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم " قالوا : ماذا يا رسول الله ؟ قال : ذكر الله وسئل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أيذ العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال : الذاكرون الله كثيرا ، قالوا يا رسول الله : ومن الغازي في سبيل الله ، فقال : لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر أو يختضب دما لكان الذاكرون الله كثيرا أفضل منه " وروي أبو هريرة قال : "كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يسير في طرق مكة مر على جبل يقال له : حمدان ، فقال : سيروا هذا حمدان.

سبق المفردون ، قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال : الذاكرون الله كثيرا والذاكرات " قيل : معنى قوله : ﴿ولذكر الله أكبر﴾ أي ذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه

٣٦٠

روي ذلك عن عبد الله ، وهو قول مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ويروى مرفوعا عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقال عطاء في قوله : ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾ من أن يبقى معه معصية ﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ قال عطاء : لا يخفى لعيه شيء.

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٣٥٨." (١)

"" صفحة رقم ٤٥٩ "

ولقائل أن يقول : مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله ، مثل عنكبوت يتخذ بيتا ، بالإضافة إلى رجل يني بيتا بآجر وجص أو ينحته من صخر ، وكما أن أوهن البيوت إذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت ، كذلك أضعف الأديان إذا استقريتها دينا دينا عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون . قرىء : (تدعون) بالتاء والياء . وهذا توكيد للمثل وزيادة عليه ، حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا) وهو العزيز الحكيم (فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء ؛ لأنه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة أصلا ، وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء ، الحكيم الذي لا يفعل شيئا إلا بحكمة وتدبير .

) وتلك الا مثال نضربها للناس وما يعقلهآ إلا العالمون (

العنكبوت : (٤٣) وتلك الأمثال نضربها . . . . .

كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون إن رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ، ويضحكون من ذلك ، فلذلك قال :) وما يعقلها إلا العالمون (أي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها إلا هم ، لأن

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٤٠٥١

الأمثال والتشبيهات إنما هي الطرق إلى المعاني المحتجبة في الأستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للأفهام ، كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرق وحال الموحد وعن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه تلا هذه الآية فقال :

(٨٢٦) (العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه) :

) خلق الله السماوات والا رض بالحق إن فى ذالك لآية للمؤمنين (

العنكبوت : (٤٤) خلق الله السماوات . . . . . .

) بالحق (أي بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل ، وهو أن تكونا مساكن عبادة وعبرة للمعتبرين منهم ، ودلائل على عظم قدرته : ألا ترى إلى قوله :) إن فى ذلك لآية للمؤمنين (ونحوه قوله تعالى :) وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ((ص : ٢٧) ثم قال :) ذالك ظن الذين كفروا ((ص : ٢٦) .

) اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلواة إن الصلواة تنهى عن الفحشآء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون (٧)

العنكبوت : (٤٥) اتل ما أوحي . . . ." [1]

"" صفحة رقم ٤٦١ "

إلا ركبه ، فوصف له فقال : (إن صلاته ستنهاه) فلم يلبث أن تاب . وعلى كل حال إن المراعي للصلاة لا بد أن يكون أبعد من الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها . وأيضا فكم من مصلين تنهاهم الصلاة عن الفحشاء والمنكر ، واللفظ لا يقتضي أن لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها ، كما تقول : إن زيدا ينهى عن المنكر فليس غرضك أنه ينهى عن جميع المناكير ، وإنما تريد أن هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم) **ولذكر الله أكبر** (يريد : وللصلاة أكبر من غيرها من الطاعات ، وسماها بذكر الله كما قال :) فاسعوا إلى ذكر الله ((الجمعة : ٩) وإنما قال : ولذكر الله : ليستقل بالتعليل ، كأنه قال : وللصلاة أكبر ، لأنها ذكر الله . أو ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما أكبر ، فكان أولى بأن ينهى من اللطف الذي في الصلاة . وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته) والله يعلم ما تصنعون (من الخير والطاعة ، فيثيبكم أحسن الثواب .

---

(١) تفسير الكشاف ـ موافق للمطبوع، ٤٥٩/٣

) ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا ءامنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلاهنا وإلاهكم واحد ونحن له مسلمون (
العنكبوت : (٤٦) ولا تجادلوا أهل . . . . .
) بالتى هى أحسن (بالخصلة التي هي أحسن : وهي مقابلة الخشونة باللين ، والغضب بالكظم . والسورة بالأناة ، كما قال :) ادفع بالتى هى أحسن ((المؤمنون : ٩٦) ،) إلا الذين ظلموا (فأفرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق . فاستعملوا معهم الغلظة ، وقيل : إلا الذين آذوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : وقيل إلا الذين أثبتوا الولد والشريك وقالوا : يد الله مغلولة . وقيل : معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية إلا بالتي هي أحسن ، إلا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية ، فإن أولئك مجادلتهم بالسيف . وعن قتادة : الآية منسوخة بقوله تعالى :) قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ((التوبة : ٢٩) ولا مجادلة أشد من السيف : وقوله :) وقولوا ءامنا بالذى أنزل إلينا (من جنس المجادلة بالتي هي أحسن . وعن النبي (صلى الله عليه وسلم) :
(٨٣٠) (ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله ، فإن كان باطلا لم تصدقوهم ، وإن كان حقا لم تكذبوهم) .." [١]

"وما ذكره من قوله : ولقائل أن يقول إلخ. لا يدل عليه لفظ الآية ، وإنما هو تحميل للفظ ما لا يحتمله ، كعادته في كثير من تفسيره. وقرأ أبو عمرو ، وسلام : يعلم ما ، بالإدغام ؛ والجمهور : بالفك ؛ والجمهور : تدعون ، بتاء الخطاب ؛ وأبو عمرو ، وعاصم : بخلاف ، بياء الغيبة ؛ وجوزوا في ما أن يكون مفعولا بيدعون ، أي يعلم الذين يدعون من دونه من جميع الأشياء ، أي يعلم حالهم ، وأنهم لا قدرة لهم. وأن تكون نافية ، أي لستم تدعون من دونه شيئا له بال ولا قدر ، فيصلح أن يسمى شيئا ، وأن يكون استفهاما ، كأنه قدر على جهة التوبيخ على هذا المعبود من جميع الأشياء ، وهي في هذين الوجهين مقتطعة من يعلم ، واعتراض بين يعلم وبين قوله : ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ . وجوز أبو علي أن يكون ما استفهاما منصوبا بيدعون ، ويعلم معلقة ؛ فالجملة في موضع نصب بها ، والمعنى : أن الله يعلم أوثانا تدعون من دونه ، أم غيرها لا يخفى عليه ذلك. والجملة تأكيد للمثل ، وإذا كانت ما نافية ، كان في الجملة زيادة على المثل ، حيث لم يجعل تعالى ما يدعونه شيئا. ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ : فيه تجهيل لهم ، حيث عبدوا ما ليس بشيء ، لأنه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة أصلا ، وتركوا عبادة القادر القاهر

---

(١) تفسير الكشاف . موافق للمطبوع، ٤٦١/٣

الحكيم الذي لا يفعل شيئا إلا لحكمة. ﴿وما يعقلهآ إلا العالمون﴾ : أي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها.

وكان جهلة قريش يقولون : إن رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ، ويضحكون من ذلك ، وما علموا أن الأمثال والتشبيهات طرق إلى المعاني المحتجبة ، فتبرزها وتصورها للفهم ، كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد. والإشارة بقوله : ﴿وتلك الامثال﴾ إلى هذا المثل ، وما تقدم من الأمثال في السور. وعن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تلا هذه الآية فقال : "العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته و اجتنب سخطه".

﴿خلق السماوات والارض﴾ : فيه تنبيه على صغر قدر الأوثان التي عبدوها. ومعنى ﴿بالحق﴾ : بالواجب الثابت ، لا بالعبث واللعب ، إذ جعلها مساكن عباده ، وعبرة ودلائل على عظيم قدرته وباهر حكمته. والظاهر أن الصلاة هي المعهود ، والمعنى : من شأنها أنها إذا أديت على ما يجب من فروضها وسننها والخشوع فيها ، والتدبر لما يتلو فيها ، وتقدير المثول بين يدي الله تعالى ، أن ﴿تنهى عن الفحشآء والمنكر﴾ . وقال ابن عباس ، والكلبي ، وابن جريج ، وحماد بن أبي سليمان : تنهى ما دام المصلي فيها. وقال ابن عمر : الصلاة هنا القرآن. وقال ابن بحر : الصلاة : الدعاء ، أي أقم الدعاء إلى أمر الله ، وأما من تراه من المصلين يتعاطى المعاصي ، فإن صلاته تلك ليست بالوصف الذي تقدم.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٣٨

وفي الحديث أن فتى من الأنصار كان يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يدع شيئا من الفواحش والسرقة إلا ارتكبه ، فقيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : "إن صلاتها تنهاه". فلم يلبث أن تاب وصلحت حاله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ألم أقل لكم ؟" ولا يدل اللفظ على أن كل صلاة تنهى ، بل المعنى ، أنه يوجد ذلك فيها ، ولا يكون على العموم. كما تقول : فلان يأمر بالمعروف ، أي من شأنه ذلك ، ولا يلزم منه أن كل معروف يأمر به. والظاهر أن ﴿أكبر﴾ أفعل تفضيل. فقال عبد الله ، وسلمان ، وأبو الدرداء ، وابن عباس ، وأبو قرة : معناه ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه. وقال قتادة ، وابن زيد : أكبر من كل شيء ؛ وقيل : ولذكر الله في الصلاة أكبر منه خارج الصلاة ، أي أكبر ثوابا ؛ وقيل : أكبر من سائر أركان الصلاة ؛ وقيل : ولذكر الله نهيه أكبر من نهي الصلاة ؛ وقيل : أكبر من كل العبادة.

.

وقال ابن عطية : وعندي أن المعنى : **ولذكر الله أكبر** على الإطلاق ، أي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر ، والجزء الذي منه في الصلاة ينهى ، كما ينهى في غير الصلاة ، لأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاكر الله مراقبه ، وثواب ذلك الذاكر أن يذكره الله في ملأ خير من ملئه ، والحركات التي في الصلاة لا تأثيرلها في النهي ، والذكر النافع هو مع العلم وإقبال القلب وتفرغه إلا من الله. وأما ما لا يجاوز اللسان ففي رتبة أخرى. وقال الزمخشري : يريد والصلاة أكبر من غيرها من الطاعات ، وسماها بذكر الله ، كما قال : ﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾ ، وإنما قال : ﴿ولذكر الله﴾ ، لتستقل بالتعليل ، كأنه قال : والصلاة أكبر ، لأنها ذكر الله مما تصنعون من الخير والشر فيجازيكم ، وفيه وعيد وحث على المراقبة.
﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا ءامنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم﴾ .
١٥٤
(١) ".

"﴿ وأنا اخترتك ﴾ أي: تخيرتك واصطفيتك من الناس، وهذه أكبر نعمة ومنة أنعم الله بها عليه، تقتضي من الشكر ما يليق بها، ولهذا قال: ﴿ فاستمع لما يوحى ﴾ أي: ألق سمعك للذي أوحي إليك، فإنه حقيق بذلك، لأنه أصل الدين ومبدأه، وعماد الدعوة الإسلامية، ثم بين الذي يوحيه إليه بقوله: ﴿ إنني أنا الله لا إله إلا أنا ﴾ أي: الله المستحق الألوهية المتصف بها، لأنه الكامل في أسمائه وصفاته، المنفرد بأفعاله، الذي لا شريك له ولا مثيل ولا كفو ولا سمي، ﴿ فاعبدني ﴾ بجميع أنواع العبادة، ظاهرها وباطنها، أصولها وفروعها، ثم خص الصلاة بالذكر وإن كانت داخلة في العبادة، لفضلها وشرفها، وتضمنها عبودية القلب واللسان والجوارح.
وقوله: ﴿ لذكري ﴾ اللام للتعليل أي: أقم الصلاة لأجل ذكرك إياي، لأن ذكره تعالى أجل المقاصد، وهو عبودية القلب، وبه سعادته، فالقلب المعطل عن ذكر الله، معطل عن كل خير، وقد خرب كل الخراب، فشرع الله للعباد أنواع العبادات، التي المقصود منها إقامة ذكره، وخصوصا الصلاة.
قال الله تعالى: ﴿ اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر**

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، /

الله أكبر ﴾ أي: ما فيها من **ذكر الله أكبر** من نهيها عن الفحشاء والمنكر، وهذا النوع يقال له توحيد الألوهية، وتوحيد العبادة، فالألوهية وصفه تعالى، والعبودية وصف عبده.." [1]

"﴿ ٤٥ ﴾ ﴿ اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون ﴾ .

يأمر تعالى بتلاوة وحيه وتنزيله، وهو هذا الكتاب العظيم، ومعنى تلاوته اتباعه، بامتثال ما يأمر به، واجتناب ما ينهى عنه، والاهتداء بهداه، وتصديق أخباره، وتدبر معانيه، وتلاوة ألفاظه، فصار تلاوة لفظه جزء المعنى وبعضه، وإذا كان هذا معنى تلاوة الكتاب، علم أن إقامة الدين كله، داخلة في تلاوة الكتاب. فيكون قوله: ﴿ وأقم الصلاة ﴾ من باب عطف الخاص على العام، لفضل الصلاة وشرفها، وآثارها الجميلة، وهي ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾

والفحشاء: كل ما استعظم واستفحش من المعاصي التي تشتهيها النفوس.

والمنكر: كل معصية تنكرها العقول والفطر.

ووجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، أن العبد المقيم لها، المتمم لأركانها وشروطها وخشوعها، يستنير قلبه، ويتطهر فؤاده، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تعدم رغبته في الشر، فبالضرورة، مداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه، تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهذا من أعظم مقاصدها وثمراتها.

وثم في الصلاة مقصود أعظم من هذا وأكبر، وهو ما اشتملت عليه من ذكر الله، بالقلب واللسان والبدن. فإن الله تعالى، إنما خلق الخلق (١) لعبادته، وأفضل عبادة تقع منهم الصلاة، وفيها من عبوديات الجوارح كلها، ما ليس في غيرها، ولهذا قال: ﴿ **ولذكر الله أكبر** ﴾

ويحتمل أنه لما أمر بالصلاة ومدحها، أخبر أن ذكره تعالى خارج الصلاة أكبر من الصلاة، كما هو قول جمهور المفسرين، لكن الأول أولى، لأن الصلاة أفضل من الذكر خارجها، ولأنها -كما تقدم- بنفسها من أكبر الذكر.

﴿ والله يعلم ما تصنعون ﴾ من خير وشر، فيجازيكم على ذلك أكمل الجزاء وأوفاه.

---

(١) في ب: العباد.." [2]

---

[1] تفسير السعدي، ص/٥٠٣

[2] تفسير السعدي، ص/٦٣٢

"﴿ وما لهم من ناصرين ﴾ ينصرونهم حين تحق عليهم كلمة العذاب، وتنقطع بهم الوصل والأسباب.
[ص ٦٤١]
﴿ ٣٠ - ٣٢ ﴾ ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون * منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ .

يأمر تعالى بالإخلاص له في جميع الأحوال وإقامة دينه فقال: ﴿ فأقم وجهك ﴾ أي: انصبه ووجهه إلى الدين الذي هو الإسلام والإيمان والإحسان بأن تتوجه بقلبك وقصدك وبدنك إلى (١) إقامة شرائع الدين الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحج ونحوها. وشرائعه الباطنة كالمحبة والخوف والرجاء والإنابة، والإحسان في الشرائع الظاهرة والباطنة بأن تعبد الله فيها كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وخص الله إقامة الوجه لأن إقبال الوجه تبع لإقبال القلب ويترتب على الأمرين سعي البدن ولهذا قال: ﴿ حنيفا ﴾ أي: مقبلا على الله في ذلك معرضا عما سواه.

وهذا الأمر الذي أمرناك به هو ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ ووضع في عقولهم حسنها واستقباح غيرها، فإن جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم، الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق وهذا حقيقة الفطرة.

ومن خرج عن هذا الأصل فلعارض عرض لفطرته أفسدها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"

﴿ لا تبديل لخلق الله ﴾ أي: لا أحد يبدل خلق الله فيجعل المخلوق على غير الوضع الذي وضعه الله، ﴿ ذلك ﴾ الذي أمرنا به ﴿ الدين القيم ﴾ أي: الطريق المستقيم الموصل إلى الله وإلى كرامته، فإن من أقام وجهه للدين حنيفا فإنه سالك الصراط المستقيم في جميع شرائعه وطرقه، ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ فلا يتعرفون الدين القيم وإن عرفوه لم يسلكوه.

﴿ منيبين إليه واتقوه ﴾ وهذا تفسير لإقامة الوجه للدين، فإن الإنابة إنابة القلب وانجذاب دواعيه لمراضي الله تعالى.

ويلزم من ذلك حمل (٢) البدن بمقتضى ما في القلب فشمل ذلك العبادات الظاهرة والباطنة، ولا يتم ذلك إلا بترك المعاصي الظاهرة والباطنة فلذلك قال: ﴿ واتقوه ﴾ فهذا يشمل فعل المأمورات وترك المنهيات.

وخص من المأمورات الصلاة لكونها تدعو إلى الإنابة والتقوى لقوله تعالى: ﴿ وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى

عن الفحشاء والمنكر ﴾ فهذا إعانتها على التقوى.

ثم قال: ﴿ **ولذكر الله أكبر** ﴾ فهذا حثها على الإنابة. وخص من المنهيات أصلها والذي لا يقبل معه عمل وهو الشرك فقال: ﴿ ولا تكونوا من المشركين ﴾ لكون الشرك مضادا للإنابة التي روحها الإخلاص من كل وجه.

ثم ذكر حالة المشركين مهجنا لها ومقبحا فقال: ﴿ من الذين فرقوا دينهم ﴾ مع أن الدين واحد وهو إخلاص العبادة لله وحده وهؤلاء المشركون فرقوه، منهم من يعبد الأوثان والأصنام. ومنهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين ومنهم يهود ومنهم نصارى.

ولهذا قال: ﴿ وكانوا شيعا ﴾ أي: كل فرقة من فرق الشرك تألفت وتعصبت على نصر ما معها من الباطل ومنابذة غيرهم ومحاربتهم.

﴿ كل حزب بما لديهم ﴾ من العلوم المخالفة لعلوم الرسل ﴿ فرحون ﴾ به يحكمون لأنفسهم بأنه الحق وأن غيرهم على باطل، وفي هذا تحذير للمسلمين من تشتتهم وتفرقهم فرقا كل فريق يتعصب لما معه من حق وباطل، فيكونون مشابهين بذلك للمشركين في التفرق بل الدين واحد والرسول واحد والإله واحد.

وأكثر الأمور الدينية وقع فيها الإجماع بين العلماء والأئمة، والأخوة الإيمانية قد عقدها الله وربطها أتم ربط، فما بال ذلك كله يلغى ويبنى التفرق والشقاق بين المسلمين على مسائل خفية أو فروع خلافية يضلل بها بعضهم بعضا، ويتميز بها بعضهم عن بعض؟

فهل هذا إلا من أكبر نزغات الشيطان وأعظم مقاصده التي كاد بها للمسلمين؟

وهل السعي في جمع كلمتهم وإزالة ما بينهم من الشقاق المبني على ذلك الأصل الباطل، إلا من أفضل الجهاد في سبيل الله وأفضل الأعمال المقربة إلى الله؟

ولما أمر تعالى بالإنابة إليه –وكان المأمور بها هي الإنابة الاختيارية، التي تكون في حالي العسر واليسر والسعة والضيق– ذكر الإنابة الاضطرارية التي لا تكون مع الإنسان إلا عند ضيقه وكربه، فإذا زال عنه الضيق نبذها وراء ظهره وهذه غير نافعة فقال:

---

(١) كذا في ب، وفي أ: على.

(٢) في ب: عمل." (١)

---

(١) تفسير السعدي، ص/٦٤٠

"﴿ ٩-١١ ﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون * وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين ﴾ .

يأمر تعالى عباده المؤمنين بالحضور لصلاة الجمعة والمبادرة إليها، من حين ينادى لها والسعي إليها، والمراد بالسعي هنا: المبادرة إليها والاهتمام لها، وجعلها أهم الأشغال، لا العدو الذي قد نهي عنه عند المضي إلى الصلاة، وقوله: ﴿ وذروا البيع ﴾ أي: اتركو ا البيع، إذا نودي للصلاة، وامضوا إليها.

فإن ﴿ ذلكم خير لكم ﴾ من اشتغالكم بالبيع، وتفويتكم الصلاة الفريضة، التي هي من آكد الفروض.

﴿ إن كنتم تعلمون ﴾ أن ما عند الله خير وأبقى، وأن من آثر الدنيا على الدين، فقد خسر الخسارة الحقيقية، من حيث ظن أنه يربح، وهذا الأمر بترك البيع مؤقت مدة الصلاة.

﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ﴾ لطلب المكاسب والتجارات ولما كان الاشتغال في التجارة، مظنة الغفلة عن ذكر الله، أمر الله بالإكثار من ذكره، فقال: ﴿ واذكروا الله كثيرا ﴾ أي في حال قيامكم وقعودكم وعلى جنوبكم، ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ فإن الإكثار من **ذكر الله أكبر** أسباب الفلاح.

﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها ﴾ أي: خرجوا من المسجد، حرصا على ذلك اللهو، و [تلك] التجارة، وتركوا الخير، ﴿ وتركوك قائما ﴾ تخطب الناس، وذلك [في] يوم جمعة، بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب الناس، إذ قدم المدينة، عير تحمل تجارة، فلما سمع الناس بها، وهم في المسجد، انفضوا من المسجد، وتركوا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب استعجالا لما لا ينبغي أن يستعجل له، وترك أدب، ﴿ قل ما عند الله ﴾ من الأجر والثواب، لمن لازم الخير وصبر نفسه على عبادة الله.

﴿ خير من اللهو ومن التجارة ﴾ التي، وإن حصل منها بعض المقاصد، فإن ذلك قليل منغص، مفوت لخير الآخرة، وليس الصبر على طاعة الله مفوتا للرزق، فإن الله خير الرازقين، فمن اتقى الله رزقه من حيث لا يحتسب.

وفي هذه الآيات فوائد عديدة:

منها: أن الجمعة فريضة على جميع المؤمنين، يجب عليهم السعي لها، والمبادرة والاهتمام بشأنها.

ومنها: أن الخطبتين يوم الجمعة، فريضتان (١) يجب حضورهما، لأنه فسر الذكر هنا بالخطبتين، فأمر الله بالمضي إليه والسعي له.

ومنها: مشروعية النداء ليوم الجمعة، والأمر به.

ومنها: النهى عن البيع والشراء، بعد [ص ٨٦٤] نداء الجمعة، وتحريم ذلك، وما ذاك إلا لأنه يفوت الواجب ويشغل عنه، فدل ذلك على أن كل أمر ولو كان مباحا في الأصل، إذا كان ينشأ عنه تفويت واجب، فإنه لا يجوز في تلك الحال.

ومنها: الأمر بحضور الخطبتين (٢) يوم الجمعة، وذم من لم يحضرهما، ومن لازم ذلك الإنصات لهما.

ومنها: أنه ينبغي للعبد المقبل على عبادة الله، وقت دواعي النفس لحضور اللهو [والتجارات] والشهوات، أن يذكرها بما عند الله من الخيرات، وما لمؤثر رضاه على هواه.

تم تفسير سورة الجمعة، ولله الحمد والثناء (٣)

تفسير سورة المنافقين (٤)

مدنية

---

(١) في ب: فريضة.

(٢) كذا في ب، وفي أ: الخطبة.

(٣) في ب: بمن الله وعونه والحمد لله رب العالمين.

(٤) كذا في النسختين." (١)

"تفسير قوله تعالى: (اتل ما أوحي إليك من الكتاب)

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.

قال الله عز وجل: ﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون﴾ [العنكبوت:٤٥].

هذه الآية العظيمة يأمر الله عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم فيها بثلاثة أشياء: الأول: أمره بتلاوة ما نزل من القرآن، على وجه البيان والتبليغ والتوضيح، وتعليم الأمة، وعلى وجه ذكر الله سبحانه وتعالى.

فتلا النبي صلى الله عليه وسلم هذا القرآن العظيم في صلاته، وتلاه في خطبه، وتلاه على المسلمين، وتلاه على المشركين، وأرسل إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى هذا الكتاب العظيم، وأرسل إلى العالمين أنسهم

---

(١) تفسير السعدي، ص/٨٦٣

وجنهم.

وكان يتلو هذا القرآن في ورده، حتى إنه قد ينشغل عن حزبه فيعوضه في وقت آخر، ولا يفوته ذلك أبدا عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب﴾ [العنكبوت:٤٥]، فقام بذلك.." [١]

"فضل الذكر

ثم قال تعالى: **﴿ولذكر الله أكبر﴾** [العنكبوت:٤٥]، هذا هو الأمر الثالث، وإن كان على غير صيغة الأمر لكن في مواطن أخرى أمر الله عز وجل به ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾ [البقرة:١٥٢].

والمعنى: إذا كان الله أمر بالتلاوة، وأمر بالصلاة، وبين أن التلاوة تؤدي بك إلى أن تبلغ هذه الرسالة العظيمة، وأن فيها التذكر، والموعظة، وأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فأعظم من ذلك المداومة على ذكر الله سبحانه وتعالى، كأنه يقول: واذكر الله سبحانه وتعالى فإنه أعظم.

فالإنسان يذكر ربه في كل أحواله، ومن ضمن ذلك أنه يذكره في صلاته، فكأن الذكر هنا أعظم؛ لأنه سيكون في الصلاة وفي غير الصلاة.

فلا يظن أن قوله تعالى: **﴿ولذكر الله أكبر﴾** [العنكبوت:٤٥] معناه: أن ذكر الله في غير الصلاة أعظم من ذكر الله في الصلاة، فلم يقل ذلك إنما أطلق ذكر الله في كل الأحوال، فإذا قلنا: أيها أعظم أن أصلي فأذكر الله عز وجل في الصلاة، أم أكون ذاكرا لله في كل الأحوال بما فيها الصلاة؟ فلا شك أن هذه الحالة الثانية أعظم.

فهذا المقصود أنك بذكر الله سبحانه يطمئن قلبك، سواء كنت في الصلاة، أو في غير الصلاة، فكأنه يشير إلى الذكر لله سبحانه وتعالى دائما.

والذكر يكون باللسان وبالقلب وبعقل الإنسان، كأن يتفكر ويتعظ بما يقول ولا ينسى.

وقد يذكر الله عز وجل بلسانه وعقله في شغل آخر لا يفهم ماذا يقول، كمن يجلس يسبح الله بعد الصلاة ولا يكون فاهما لما يقول؛ فإن شاء الله يكون له أجر على ذلك.

لكن أجر من يقول: سبحان الله، وهو يفهم معناها، ويتدبرها، ويتلذذ بطعم سبحان الله وهو يقولها، فهذا أعظم بكثير من إنسان يقول بلسانه ولا يفهم بقلبه، وإن كان الذكر باللسان يؤجر عليه.

والذي يقرأ القرآن قراءة سريعة يتدبر بعضها؛ يريد أن يراجع لكيلا ينسى فهو مأجور على ذلك، وأعظم منه

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٢/١٩٤

من يقرأ بتأن وتمهل وخشوع تدبر وتفكر واتعاظ، قال تعالى: ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾ [العنكبوت:٤٥]، وذكر الله يكون بقراءة القرآن، وكذلك بالأذكار التي قالها النبي صلى الله عليه وسلم وبدعاء الله سبحانه وتعالى، وذكر الله بأن تطلب منه الجنة، وأن تتعوذ به من النار، فلا يزال ذكر الله على بال المؤمن وفي قلبه فيكون ذاكرا لله سبحانه وتعالى بلسانه وبقلبه.

فإذا كان عقل الإنسان حاضرا وهو في ذكر الله تبارك وتعالى، فهذا عظيم جدا، وتأتي مكافأة من هذا شأنه في الدنيا وفي الآخرة، فينجيه هذا الذكر من مضايق كثيرة جدا بكثرة الذكر، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا أردتم أن يستجيب الله لكم وقت البلاء فأكثروا من الدعاء وقت الرخاء)، ففي وقت رخائك أكثر من الدعاء، فإذا جاء وقت البلاء استجاب الله عز وجل لك؛ لأن صوتك مسموع في السماء، والملائكة تشهد لك عند الله سبحانه، وهو أعلم.

فلا يزال الإنسان ذاكرا لله حتى يعطيه الله عز وجل ما يتمناه في الدنيا والآخرة.

وكلما كان الإنسان منشغلا بالدنيا كلما كانت الأماني موجودة، فيقول: يا رب! أعطني مالا أو أعطني قصرا أو غير ذلك فطلباته في الدنيا كثيرة.

وكلما ترقى الإنسان ووصل لدرجة في ذكر الله سبحانه وحبه كان أمله في الآخرة يقول: يا رب! أسألك الجنة وأريد الحور العين، يا رب! أريد قصورا في الجنة، فإذا كان يوم القيامة ووجد ما دعا به تمنى أنه لم يستجيب له دعاء في الدنيا وأنه ادخر له كل ذلك ليوم القيامة.

فالإنسان الذاكر لله عز وجل يعطيه الله ما يتمنى في الدنيا أو في الآخرة، وقد ترى إنسانا حقيرا، وتجده يمشي حافيا، وملابسه مقطعة أو مرقعة، ولكنه قرير العين، ومستريح البال، ومطمئن القلب، قال تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [الرعد:٢٨].

وفي الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، وهذه الجنة هي جنة حب الله سبحانه وذكره.

فالمؤمن يستمتع بذكر الله، ويصل أقصى درجات الاستمتاع في الجنة، فيلهم التسبيح كما يلهم النفس، أي: كما أن النفس في الدنيا لا يستغنى عنه فكذلك أهل الجنة لا يستغني أحد منهم عن ذكر الله سبحانه، وعن تسبيح الله؛ لأنه استمتع به أعظم استمتاع.

والجنة عظيمة غالية، وأعظم ما يكون للإنسان المؤمن في الجنة والذي يتمناه أن ينظر إلى الله سبحانه وتعالى، وأن يتشرف بالقرب من الله سبحانه.

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالذكر في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا

تكفرون﴾ [البقرة:١٥٢] وأمر الله عز وجل بقراءة هذا القرآن، وبالاستماع له فقال: ﴿اتل ما أوحي إليك من ربك﴾ [العنكبوت:٤٥] وقال: ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا﴾ [الأعراف:٢٠٤]، وقال: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ [محمد:٢٤]، وقال: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ [النساء:٨٢].

وذكر المؤمنين الصالحين فقال: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [الرعد:٢٨] كذلك أمر الله سبحانه وتعالى النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر فقال: ﴿فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾ [طه:١٣٠]، أي: الصلاة قبل طلوع الشمس وهي صلاة الفجر، وقبل غروبها وهي صلاة العصر، فتواظب على صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم قال تعالى: ﴿ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى﴾ [طه:١٣٠]، فجمع الصلوات الخمس في هذه الآية من سورة طه.

فالنبي صلى الله عليه وسلم مأمور والمؤمنون مأمورون تبعا بالصبر وإقامة الصلاة.

ومدحهم الله سبحانه فقال: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة﴾ [النور:٣٦ - ٣٧]، فبدأ بالذكر ثم ثنى بإقامة الصلاة.

فهو في حال بيعه وشرائه ذاكر لله عز وجل، ففي صلاته لا بد أن يكون ذاكرا لله سبحانه؛ لأن حاله دائما على ذلك، يتلذذ بذكر الله.

وإذا ذكر الله ذكره الله، كما جاء في الحديث القدسي: (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملئه ذكرته في ملأ خير منه)، وقد جاءت في ذكر الله عز وجل أحاديث عظيمة جميلة منها ما رواه أبو داود عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل) فالنبي صلى الله عليه وسلم أحب إليه أن يجلس من الفجر إلى أن تطلع الشمس مع قوم يذكرون الله سبحانه، ثم قال: (ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة)، وقال أيضا صلى الله عليه وسلم: (أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله رب العالمين)، فتقول: الحمد لله وتثني على الله سبحانه، وتشكر الله سبحانه، قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ [إبراهيم:٧]، فكأنك تطلب منه المزيد، فإذا أعطاك نعمة وحمدت الله تعالى جعل لك زيادة فوق هذه النعمة من فضله ومن

كرمه.
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (سبق المفردون الموحدون قالوا: ما المفردون؟ قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات)، يعني: سبقوا إلى الجنات سبقوا إلى النعيم، غيرهم محبوس في الحساب وهم حوسبوا بسرعة ودخلوا إلى الجنة فسبقوا غيرهم إلى الجنات.
وجاء أيضا في الحديث أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (يا رسول الله! إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فاخبرني بشيء أتشبث به)، يعني: أن الشرائع والسنن والأفعال كثيرة فأنا أكثر حاجة إلى ما أواظب عليه فلا أنساه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله).
وليس معناه أن يترك الصلاة والصيام، بل كأنه نصحه بأعظم ما يكون أن يذكر الله عز وجل ليذكره فيستغل بذلك وقته.
وروى الإمام الترمذي عن أبي الدرداء: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم)، وكل إنسان يتمنى لو أنه يعمل شيئا من هذه الأشياء أو ينالها، وقوله: (خير) أفعل تفضيل بمعنى: أفضل وأخير أعمالكم، وأزكاها وأطهرها، وأعلاها، وأنفسها عند الله سبحانه وتعالى، فما هو الشيء الذي هو أعظم من إنفاق الذهب والفضة، وخير من الجهاد؟ (قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى).
فذكر الله عز وجل أعظم من هذه الأشياء، لأنه يدعو المؤمن لكل هذه الأشياء، فإذا ذكر الله تعالى دعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الصوم فصلى وصام، ودعاه إلى الجهاد في سبيل الله سبحانه، وإذا لقي عدو الله ذكر الله فلم يرهب أحدا، ولم يخف أحدا، فكان الذكر أعظم.
لكن انظر للإنسان الذي ينفق الذهب والورق فلعله لا يذكر الله عز وجل وينساه، فيرائي بعمله، ويسمع به، وينتظر الجواب في الدنيا ولم يعمل العمل لله فحبط هذا العمل بذلك.
فإذا أعطى إنسانا فقيرا مالا وبعد فترة شتمه الفقير قال له: يا ليتني لم أعطك شيئا، أنا الذي أكلتك وشربتك، من عليه فضاع الأجر، فإذا كان ذكر ال." (١)
"أمر الله تعالى لنبيه بتلاوة القرآن والصلاة والذكر
الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٤/١٩٤

صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه أن يتلو ما أوحي إليه من الكتاب وأن يقيم الصلاة صلوات الله وسلامه عليه فقال: ﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون﴾ [العنكبوت:٤٥]، فأمر صلى الله عليه وسلم بالتلاوة والتبليغ.

وقال له ربه: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ [الحجر:٩٤].

فأمره بأن يجهر للناس بهذه الدعوة العظيمة ويدعوهم إلى الله سبحانه، ويستعين على الدعوة إلى الله عز وجل بالصلاة وبذكر الله سبحانه وتعالى.

والصلاة عظيمة يستعين بها الإنسان على الدعوة إلى الله سبحانه ويتقرب بها إليه، وهي صلة بينه وبين الله.

والصلاة تنهى العبد عن معصية الله سبحانه، وتنهاه عن الفواحش والمنكرات، وتعينه على طاعة الله سبحانه، وعلى تبليغ هذه الدعوة بما يفتح الله عز وجل على العبد بذلك.

وأمره بذكر الله والإكثار من ذكره سبحانه فقال: **﴿ولذكر الله أكبر﴾** [العنكبوت:٤٥] أي: **ذكر الله أكبر** من كل شيء، فإذا كان الإنسان يصلي فينتهي عن الفحشاء والمنكر بهذه الصلاة، وهنا ذكر الله يكون في صلاته وفي عمله وفي قيامه وفي قعوده وفي كل أحواله.

فإذا كان الذكر قد استولى على قلب الإنسان ليل نهار في كل أحواله سواء في صلاة أو في غير صلاة، فهذا أكبر بكثير من الصلاة وحدها.

والمعنى: أكثر من ذكر الله سبحانه ولا تترك الذكر.

فكان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحواله، سواء كان على وضوء أم لا، وكان لا يمنعه ولا يشغله عن ذكر الله شيء.

وذكر الله تعالى يستعين به العبد على طاعة الله سبحانه ويستعين به على الدعوة إلى الله.

فالذين يدعوهم إلى الله: إما أن يكونوا مسلمين، وإما أن يكونوا كفارا، وهؤلاء الكفار منهم من في قلبه طيبة، وقد يستمع إلى هذا القرآن فيؤمن؛ فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يبلغ مثل هذا وأن يجادله بالحسنى.

إذا: بذكر الله وإقامة الصلاة يكون عند الإنسان رصيد في قلبه من تقوى الله عز وجل، ومن طاعته سبحانه، فيدعوه هذا إلى أن يدعو إلى الله بالحسنى، ويدعو إلى الله سبحانه بالموعظة الحسنة.." (١)

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٢/١٩٥

"تفسير قوله تعالى: (وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب)

قال سبحانه: ﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب﴾ [العنكبوت:٦٤] الحياة الدنيا: هي الحياة التي يحياها الإنسان، لذا سميت حياة، والدار الآخرة حياة، ولكن ليست كهذه الحياة، بل هي حياة أخرى؛ ولذلك يقول تعالى عنها: ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾ [العنكبوت:٦٤] يعني: دار الحياة الدائمة، ودار الإقامة الدائمة التي لا تفنى ولا تزول.

فقال هنا: ﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب﴾ [العنكبوت:٦٤] وعندما تقارن بين الدنيا وبين الآخرة فإنك تجد أن الدنيا لا تساوي شيئا، قال تعالى: ﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب﴾ [العنكبوت:٦٤] يعني: مهما جد الناس فيها، ومهما أخذوا بالأسباب فهم في لعب إذا قاسوا ذلك بالآخرة.

ويوم القيامة يتذكر الناس هذه الحياة الدنيا فيقول بعضهم لبعض: كم لبثنا فيها؟ ﴿قالوا لبثنا يوما أو بعض﴾ [الكهف:١٩] لم نقعد في هذه الدنيا إلا يوما أو بعض يوم، ﴿إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما﴾ [طه:١٠٤].

يقولون: يا ترى كم لبثنا في هذه الدنيا؟ عشرة أيام مثلا! ((يقول أمثلهم إن لبثتم إلا يوما)) هو يوم واحد الذي لبثناه في الدنيا، لأنهم عندما يقيسون الدنيا بالآخرة يكون الفرق كبيرا جدا، فيوم القيامة وحده مقداره خمسون ألف سنة، والإنسان إذا عاش ستين سنة أو سبعين سنة أو أكثر أو أقل من ذلك، ثم أتى يقارنها بيوم مقداره ألف سنة فإنه يرى أنه كان يلعب في هذه الحياة الدنيا، وعلى سبيل المثال عندما تقول: قارن بين الموظفين الذين يشتغلون في مصر، والموظفين الذين يشتغلون في الخارج، تجد الذي يشتغل في أمريكا يقول لك: أنا أشتغل من الصبح حتى الليل، وأرجع إلى البيت لأنام فقط، ولا أحس براحة أبدا، وأذهب إلى الشغل في اليوم الثاني، والموظف هنا في مصر يقول عن نفسه: أنا لا ألعب، بل أنا أشتغل وأتعب وأشقى، لكن عندما نقارنه بإنسان آخر يشتغل أحسن وأفضل منه ويشقى في عمله، نقول له: هذا الذي تفعله ليس عملا إنما هو لعب.

كذلك الحال عند مقارنة الدنيا بالآخرة، ففي الدنيا يذهب الإنسان ويأتي ويقعد ويقف وينام، أما في الآخرة فإنه سيقف خمسين ألف سنة بين يدي الله تبارك وتعالى: ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ [المعارج:٤].

وفي هذا اليوم من شدة وهول الموقف ينظر الناس إلى مناظر فظيعة، فيرون مانع الزكاة يؤتى بزكاته فتحمى في النار ثم يكوى بها في هذا الموقف، وإذا كانت من بهيمة الأنعام يؤتى بها كلها في قاع قرقر ويبطح لها

هذا الإنسان فتمشي عليه الأنعام مدة خمسين ألف سنة، ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ [المعارج:٤] حتى يرى مصيره إما إلى الجنة وإما إلى النار، فينظر الناس إلى ذلك وهم واقفون ينتظرون الحساب، وفصل القضاء بين العباد، ومن شدة هذا الموقف يقول بعض الناس: يا رب! اصرفنا ولو إلى النار، اصرفنا ولو إلى النار.

فإذا تذكروا الدنيا يقولون: إنها دنيا دنية ما الذي كنا نعمل فيها؟ وما هو المرض الذي أصابنا في الدنيا؟ وما هو البلاء الذي جاء لنا في الدنيا؟ لا شيء لا شيء إذا قورن بهول هذا اليوم، فإذا دخلوا النار عرفوا حقيقة ما كانوا فيه من لعب ولهو في الدنيا، ومن تضييع وتفريط، وعرفوا قول الله سبحانه: ﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب﴾ [العنكبوت:٦٤] الحياة الدنيا لهو يلهو فيها الإنسان، ولعب يلعب فيها الإنسان، فعندما يقول: أنا أعبد ربي في هذه الدنيا، فيقال له: انظر كم ساعة تنامها في اليوم؟ وكم ساعة تدخل فيها الخلاء؟ وكم ساعة تأكل فيها؟ وكم ساعة تتكلم فيها؟ وكم ساعة تصلي لله عز وجل؟ فلو جمعت وقت الصلوات كلها في اليوم فستجد أنه لا يساوي شيئا مقابل أربع وعشرين ساعة هي مجموع ساعات اليوم الواحد، وقد يقف الإنسان يتكلم مع أصحابه ويضحك ساعات طويلة، فإذا جاء إلى عبادة الله عز وجل إذا به يتضجر بسرعة.

فيستشعر العبد يوم القيامة أنه كان في لهو ولعب، إلا الذين اتقوا الله سبحانه وتعالى، وعرفوا أن الأعمار غالية، وأن الدنيا لن تأتي مرة ثانية، فانتهزوا هذه الدنيا وخافوا على أعمارهم أن تضيع سدى وهباء، فإذا بهم يعملون في هذه الدنيا بكل وسيلة وحيلة يتقربون فيها إلى الله عز وجل، بالليل يقومون لله سبحانه وتعالى، فإذا ناموا كانت نيتهم ليقوموا لله عز وجل، وليعبدوا الله سبحانه وتعالى، ولعل أحدهم يتمنى لو أنه لا ينام، وأنه يقدر على أن يتفرغ الليل والنهار لعبادة الله سبحانه وتعالى، حتى كان بعض السلف يقول لله من كثرة صلاته واستمتاعه بصلاته: يا رب! إن كنت جعلت لأحد يصلي في قبره فاجعلني أصلي في قبري! من كثرة ما استمتع بالصلاة بين يدي الله سبحانه وتعالى، وكانوا يصومون لله سبحانه ويستمتع أحدهم بصيامه في الهواجر كما يستمتع أحدنا بإفطاره وشرب الماء البارد في اليوم الحار، وقد عرفوا الثواب العظيم من وراء ذلك، عرفوا أن الذي يصوم يوما يبعد عن النار بمقدار سبعين خريفا، فالمؤمنون المتقون المحسنون عرفوا أن الأعمار فرصة لا تعوض، فانتهزوا ليلهم ونهارهم، كانت هممهم عبادة الله عز وجل في كل حال، تجد الشخص في قيامه في نومه في عمله يعبد الله عز وجل.

فعندما تذهب إلى عملك تحسن عملك وتتقنه؛ لأنك تعلم أن الله يراقبك، فتؤجر على ذلك، تتعب وتشقى

في العمل، وترجع إلى بيتك وقد كلت يداك من كثرة العمل؛ فيأجرك الله سبحانه حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك يكون لك أجر في ذلك.

فكان عملك عبادة بهذا المعنى، تصلي لله سبحانه، وتصوم لله، ولذا تجد بعض الناس يترك الصلاة والصوم ويقول: أنا أعمل للأولاد والعمل عبادة وهو مفرط في حق الله سبحانه، فلابد أن يأتي بالواجبات والفرائض كما أمر الله سبحانه، ويعمل عمله الذي هو عليه فرض ليطعم نفسه ويكفي عياله، ويتقن في عمله حتى يكسب من حلال فيدعو ربه سبحانه، فيستجيب الله عز وجل له.

فالحياة الدنيا لهو ولعب إلا ما كان فيها من ذكر لله، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها)، الدنيا لا تساوي شيئا، ولا تستحق إلا أن تكون ملعونة ملعونا ما فيها: (إلا ذكر الله وما والاه).

الإنسان الذاكر لله عز وجل هو الذي يستحق رحمة رب العالمين، قال تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت:٤٥] فالذكر من العبادات لله عز وجل التي خلق الإنسان من أجلها: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات:٥٦].

قال سبحانه وتعالى: ﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب﴾ [العنكبوت:٦٤] إذا كان في عمل للدنيا، أما إذا كان لله فهو الجد كل الجد، قال تعالى: ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾ [العنكبوت:٦٤] دار الحياة الباقية التي لا تزول ولا موت فيها: ﴿لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ [العنكبوت:٦٤] هم لم يعلموا، ولكن هي الآخرة سوف يعلمون ذلك.

والله عز وجل يقول: ﴿لو كانوا يعلمون﴾ [العنكبوت:٦٤] وكأن العلم هنا علم آخر غير العلم الذي هو بمعنى المعرفة، فالعلم هنا: هو اليقين المنافي للشك، فلو بعد عن قلوبهم الشك، وعرفوا أنهم راجعون إلى الله، وأنه مجازيهم لكانوا يعلمون: ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ [الأنعام:٣٧]، بمعنى: لا يعلمون علما يدفعهم إلى العمل ويمنعهم عن المعاصي.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (وأقمن الصلاة وآتين الزكاة)

ثم أمرهن سبحانه: ﴿وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله﴾ [الأحزاب:٣٣]، طاعة الله سبحانه عامة، ومن خصوصيات الطاعة: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والصلاة أعظم العبادات البدنية، والزكاة أعظم العبادات المالية، فهنا أمرهن الله سبحانه بالاستعانة بذلك على طاعة الله سبحانه، بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وهذا مما يعين الإنسان على طاعة الله سبحانه، يصلي فيكون قريبا من ربه سبحانه فيدعوه، قال

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٣/٢٠٠

سبحانه: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر**﴾ [العنكبوت:٤٥]، ويزكى فيكون سمحا جوادا كريما، يبذل فيأخذ الأجر العظيم من الله سبحانه، ويظهر الإيمان بالصلاة وبالزكاة، بالعبادة البدنية وبالعبادة المالية.

قال تعالى: ﴿وأطعن الله ورسوله﴾ [الأحزاب:٣٣] في كل شيء، أي: في كل ما أمركن الله سبحانه وتعالى.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت)

ثم أمرهن سبحانه: ﴿وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله﴾ [الأحزاب:٣٣]، طاعة الله سبحانه عامة، ومن خصوصيات الطاعة: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والصلاة أعظم العبادات البدنية، والزكاة أعظم العبادات المالية، فهنا أمرهن الله سبحانه بالاستعانة بذلك على طاعة الله سبحانه، بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وهذا مما يعين الإنسان على طاعة الله سبحانه، يصلي فيكون قريبا من ربه سبحانه فيدعوه، قال سبحانه: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر**﴾ [العنكبوت:٤٥]، ويزكى فيكون سمحا جوادا كريما، يبذل فيأخذ الأجر العظيم من الله سبحانه، ويظهر الإيمان بالصلاة وبالزكاة، بالعبادة البدنية وبالعبادة المالية.

قال تعالى: ﴿وأطعن الله ورسوله﴾ [الأحزاب:٣٣] في كل شيء، أي: في كل ما أمركن الله سبحانه وتعالى.." (٢)

"قراءة القرآن ذكر لله

والقرآن كتاب الله أعظم ذكر، وخير جليس لا يمل حديثه، والإنسان الذي يجالس القرآن لا يمل أبدا من ذكر الله سبحانه، ومن تلاوة كتابه الذي فيه نبأ من قبلنا وخبر ما بعدنا، وفيه قصص يقصها الله سبحانه وتعالى علينا؛ لتكون لنا عبرة وذكرى، وفيه أحكام الله سبحانه، وفيه ذكر الجنة، وذكر النار، وذكر الأنبياء، وصبرهم عليهم الصلاة والسلام، وفيه شريعة الله تبارك وتعالى، والحرف منه بعشر حسنات، ويضاعف الله لمن يشاء من فضله سبحانه.

فهذا القرآن العظيم لا يمل الإنسان من ترداده، ومن ذكره، ومن قراءته ومن سماعه، فهنا يأمرنا الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ [الأحزاب:٤١] أي: تذكره بكل وجه من وجوه ذكر الله تبارك

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٣/٢٧٤

(٢) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٤/٢٧٤

وتعالى، فإذا كنت في الصلاة فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، **ولذكر الله أكبر**.

ونحن نعلم أن الله فرض خمس صلوات في اليوم والليلة، تنهى الإنسان عن الفحشاء والمنكر، ولكن ذكر الله يكون في الصلاة وفي غير الصلاة، فهو يستوعب اليوم كله، فالذاكر ربه سبحانه مستحيل أن يترك الصلاة، فهو عندما يصلي يذكر الله، وعندما يخرج من الصلاة فيختم صلاته يذكر الله، وعندما يخرج من بيته إلى الطريق يذكر الله، وعندما يدخل بيته يذكر الله، وعندما يقوم أو ينام، يذكر الله سبحانه، فهو لا يمل من ذكر الله، بل يستمتع ويستعذب ذكر الله سبحانه وتعالى، يستعذب ذكر الله حين يأكل ويشرب، وحين ينام أو يستيقظ من نومه، وحين يذهب إلى السوق، وحين يقضي حاجته، وحين يلقى أخاه المسلم فيسأله عن حاله مع ربه سبحانه، فالإنسان المؤمن ذاكر لله أبدا، وهو مستمتع بذلك.." (١)

"صلاة الرجل في مسجد الحي

من كان بيته بعيدا عن المسجد لا يحزن ولكن يفرح؛ لأن خطواته مكتوبة، ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾ [يس:١٢].

أما إذا كان بيته قريبا من المسجد فهل يبحث عن مسجد بعيد يذهب إليه حتى تكتب الآثار؟

A ليس الأمر كذلك، طالما أنك قريب من المسجد فالله عز وجل رحمك بذلك، والذي تفعله هو أن تحضر مبكرا إلى بيت الله سبحانه، وتعوض آثار غيرك بالمكث في بيت الله سبحانه وتعالى، فعندما تسمع الأذان تأتي إلى بيت الله، أو تأتي قبل الأذان بفترة، فهذا يعوض لك وتنال من صلاة الملائكة عليك: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم صل عليه.

وهذا أجر عظيم.

لكن أن يترك الإنسان المسجد الذي بقربه خاصة إذا كان مسجدا على السنة، ويهتدون بهدي النبي صلى الله عليه وسلم، ويقيمون فيه سنة النبي صلى الله عليه وسلم فلا معنى أن يترك ذلك وأن يتوجه إلى مسجد بعيد مثلا وقد لا يكون على هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وقد يكون فيه بدعة من البدع، بدعوى تكثير الخطى، فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن مثل ذلك، فقد روى الطبراني عن ابن عمر وصححه الشيخ الألباني رحمه الله، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ليصل الرجل في المسجد الذي يليه ولا يتتبع المساجد)، يعني: لا يقول: أنا أبحث عن أبعد مسجد وأصلي فيه، بل يصلي في المسجد الذي يليه.

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٤/٢٧٧

وهذه لها حكمة في هذا الدين العظيم، فأهل الحي عندما يصلون في مسجد الحي سيعرف من الذي يواظب على الصلاة؟ أهل التقوى والخير والطاعة الذين ذكرهم الله عز وجل في كتابه وقال: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ [التوبة:١٨]، فإذا كان هؤلاء المهتدون كل واحد ذاهب إلى مسجد، وهم في حي واحد، فلن يتعرف بعضهم على بعض، ولن يستطيع أحد أن يطلب من الآخر شيئا، ولكن المسجد يجمع الناس، ويؤلف بين قلوب المسلمين، ويعرف المسلم أخاه المسلم، يعرف جاره وقريبه، يعرف من هو مثله مواظب على الصلاة، وتجد محبة عجيبة جدا تجمع قلوب الناس، وخاصة الذين يجتمعون في الصلاة يمشي بعضهم مع بعض، يذكر بعضهم بعضا، إذا مرض أحدهم عاده الآخر، فيدعو لأخيه، ويسلم عليه، وإذا مات الإنسان فيؤتى به للمسجد، فيقال: فلان الذي كان يصلي معنا صلاة الفجر كل يوم توفي اليوم، فحينها يعرفه الجميع ويصلون عليه، ويمشون في جنازته، ويقفون عند قبره يدعون له.

إذا: الصلاة قربت ما بين الناس، هذه هي الصلاة التي قال الله عز وجل فيها: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر**﴾ [العنكبوت:٤٥]، والتي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيها للمصلين: (لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم)، فهنا إما أن تسوي الصفوف، وإما أن يفارق الله عز وجل بين القلوب والوجوه.

فالصلاة يقف المؤمن فيها بجوار أخيه، لا أحد أفضل من أحد، بل من جاء مبكرا صلى في الصف الأول، ومن جاء متأخرا يصلي حيث وصل به الصف مهما كانت وظيفة هذا الإنسان، فأكرمهم عند الله عز وجل أتقاهم له سبحانه وتعالى، ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات:١٣].

لذلك أهل العلم أن الإنسان لا ينبغي له أن يتتبع المساجد بدعوى أنه تكتب له الآثار، فمن وجد مسجدا قريبا من بيته فإنه يصلي فيه، وإن قام على سنة النبي صلى الله عليه وسلم فليحرص على حضور الصلاة، وأن يحضر مبكرا.

والبعض من الناس بيته قريب لكنه يتعمد التأخر حتى يدخل الإمام في الصلاة، وهذا فوت على نفسه خيرا كثيرا بتفويته لتكبيرة الإحرام، مع أن ربنا رحمه وجعله قريبا من بيته سبحانه وتعالى حتى يحرص على الصلاة، لكنه يضيع على نفسه ذلك، ولعل البعض في الشارع يتكلم ويسمع الإمام يصلي وهو يكمل كلامه في الشارع، ويضيع على نفسه صلاة الجماعة، أو تكبيرة الإحرام، فاحرصوا على حضور تكبيرة الإحرام، ولا

تضيعوا على نفسكم هذا الفضل العظيم من الله، ليكون لأحدكم براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق.." (١)

"الأمر بإقامة الدين والنهي عن التفرق فيه

وقد وصاهم الله بقوله: (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)، أي: أقيموا دين الله سبحانه وتعالى في أنفسكم وفي أهليكم على الأرض، وأقيموا دين الله بين الخلق، وبلغوا رسالات الله سبحانه وتعالى، واعملوا بشرع الله سبحانه وتعالى، فأقيموا دين ربكم سبحانه بتبليغه، وبالعمل بما فيه، وبأخذ الناس إليه، وبهداية الناس إلى دين الله سبحانه وتعالى، واستقيموا عليه، وأمروا قومكم بالاستقامة عليه.

ومن معنى: ((أقيموا)) هنا نفهم معنى قوله تعالى: ﴿أقيموا الصلاة﴾ [البقرة:٤٣]، أي: استقيموا عليها، وواظبوا عليها، وتوجهوا بها إلى الله سبحانه وتعالى، واجعلوها مستقيمة لا عوج فيها، فلا تعوجوا فيها، ولا تتركوها وتسرحوا عنها، ولا تغفلوا عنها، وإنما أقيموا الصلاة كما أمركم الله سبحانه وتعالى.

فنفهم الفرق بين قوله سبحانه وتعالى: ﴿وأقيموا الصلاة﴾ [البقرة:٤٣] وبين أن نقول: صلوا؛ فإن المطلوب هو إقامة الصلاة والاستقامة عليها وتقويمها وتعديلها على الوجه الذي يحبه الله سبحانه وتعالى، وأيضا الإخلاص فيها، وأن نكون بها بعيدين عن الفحشاء والمنكر، كما قال تعالى: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر**﴾ [العنكبوت:٤٥].

وهنا قال: (أن أقيموا الدين)، فأمر الله عز وجل الأنبياء والرسل بإقامة هذا الدين، ونحن أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام، فأمرنا بذلك معهم، فيلزمنا ذلك بأن نقيم دين الله عز وجل في أنفسنا، ونحتكم إليه، ونعمل بشرعه، ونقيمه على أهلينا وعلى الناس، وندعو الخلق إلى دين الله سبحانه وتعالى، ونعلمهم ما هو هذا الدين الذي تركه الناس وراءهم ظهريا.

وأنت إذا سألت إنسانا اليوم عن دين الله سبحانه لا يعرف أكثر من أنه يصلي ويصوم، ولا يعرف كثيرا عن دين الله تبارك وتعالى، وأما شرع الله وحدوده تبارك وتعالى فإنه غافلا عنها ناس لها، بل لعله يزعم أن هذا كان في الماضي، وأما الآن فلا يوجد هذا الأمر، قال تعالى: ((أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه))، أي: في دين الله سبحانه، وإذا كان الحكم لله سبحانه وتعالى فكيف نتفرق ونحن نحتكم إليه؟ إذا: فلنأخذ دين

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٨/٣١٢

الله ونرجع الأمر إليه، ونرجع إليه في جميع أمورنا، ونتحاكم إليه، فإنه الرب الواحد لا شريك له.

وقوله: ((ولا تتفرقوا فيه))، أي: في هذا الدين العظيم.." (١)

"الإعرض عن اللغو

قال تعالى: ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ [المؤمنون:٣].

واللغو: هو ما ينبغي أن يلغى ويطرح من أقوال وأفعال لا قيمة لها، فهم لا يأبهون لها ولا ينظرون إليها، فالإنسان المؤمن يحافظ على نفسه، ويحافظ على وقته، ويحافظ على أفعاله، ويحافظ على كلماته، فلا يضيع وقته فيما لا ينفعه، أو فيما يأتي من ورائه الضرر، فالمؤمن حريص على وقته، يعلم أن عمره أيام محسوبة، وليال مكتوبة، فهو يخاف أن يضيع عمره في لهو ولعب؛ بل يريد أن ينتهز كل ساعة من ساعات عمره وكل لحظة من لحظات عمره فيما هو طاعة لله، حتى إذا جاء يوم القيامة وجد صحيفته ممتلئة بالأعمال الطيبة العظيمة.

فالمؤمن دائما يفكر كيف ينجو يوم القيامة؟ وكيف يطيع الله سبحانه وتعالى؟ وكيف يحافظ على وقته في طاعة وفي خشوع وفي عبادة؟ فإذا دخل في الصلاة استشعر أنه يكسب من ورائها شيئا عظيما في الدنيا وفي الآخرة، فهو يكسب في الآخرة الأجر من الله، وصلة الله عز وجل له، وجنة رب العالمين سبحانه، وأن يكون مع السابقين، وفي الدنيا يكسب أنها تزيده خلقا حسنا، وأنها تجعله بالمؤمنين رءوفا رحيما، صلاته وأنها عن الفحشاء والمنكر، ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر**﴾ [العنكبوت:٤٥]، فيدخل إلى الصلاة ذاكرا لله سبحانه، ويخرج من الصلاة فلا يزال ذاكرا لله محبا لها حتى تأتي الصلاة التي تليها وهكذا، فهم في صلاتهم خاشعون، وهم عن اللغو معرضون، وهم للزكاة فاعلون.." (٢)

"الحث على ذكر الله

جاء في حديث معاذ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أحب الأعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله)، وفي رواية في هذا الحديث من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه (خير العمل أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله)، خير العمل أنك تكثر من ذكر الله، **فذكر الله أكبر** من كل شيء، قال تعالى: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر**﴾ [العنكبوت:٤٥].

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٦/٤١٦

(٢) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٤/٤٢

فالإنسان يصلي الخمس الصلوات في اليوم والليلة، ويصلي رواتبها، ويذكر الله، فهو ما بين صلاة وصلاة في ذكر لله عز وجل، فلا ينسى ربه أبدا، ولا ينسى طاعة الله سبحانه، ويستحيل أن تتخيل إنسانا ذاكرا لله عز وجل وهو تارك للصلاة لا يصلي، أو ذاكرا لله عز وجل وهو تارك للصوم والعبادة، فهذا مستحيل، ولكن قد يكون الإنسان يصلي وقت الصلاة وفي غير وقت الصلاة مشغول بهذه الدنيا، فلذلك قال الله عز وجل: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر**﴾ [العنكبوت:٤٥].

ذكر الله عز وجل أعظم من الصلاة؛ لأن الذاكر لله عز وجل يصلي ويذكر الله عز وجل فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: (خير العمل أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله).." [١]

"بيان معنى الصلاة واشتقاقها

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وأصل الصلاة في كلام العرب: الدعاء.

قال الأعشى: لها حارس لا يبرح الدهر بيتها وإن ذبحت صلى عليها وزمزما].

قوله: [صلى عليها] يعني: دعا لها، فالصلاة: الدعاء.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقال أيضا: وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسم].

الدن: كأس الخمر، أو إناء الخمر.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [أنشدهما ابن جرير مستشهدا على ذلك.

وقال الآخر -وهو الأعشى - أيضا: تقول بنتي وقد قربت مرتحلا يارب جنب أبي الأوصاب والوجعا عليك مثل الذي صليت فاغتمضي نوما فإن لجنب المرء مضطجعا].

قوله: [مثل الذي صليت]: يعني دعيت، والشاهد أن الصلاة معاها الدعاء، والأوصاب: الأمراض والأوجاع.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [يقول: عليك من الدعاء مثل الذي دعيته لي، وهذا ظاهر، ثم استعملت الصلاة في الشرع في ذات الركوع والسجود والأفعال المخصوصة في الأوقات المخصوصة بشروطها المعروفة وصفاتها وأنواعها المشهورة].

فالصلاة هي أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم، لها أوقات خاصة وهيئات خاصة، وأركان خاصة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [قال ابن جرير: وأرى أن الصلاة سميت صلاة لأن المصلي يتعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله بعمله مع ما يسأل ربه من حاجته].

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٥/٥١٠

قوله: [الاستنجاح طلبته] أي: لطلب نجاح الحاجة، فالاستجاح: استفعال من النجاح.

أي أن الصلاة مشتملة على دعاء العبادة ودعاء المسألة.

فدعاء العبادة: الركوع والسجود، والقيام والقعود، والتشهد والقراءة.

ودعاء المسألة: كأن يقول المصلي: رب اغفر لي، والدعاء في آخر التشهد دعاء مسألة، فهو مشتمل على دعاء العبادة ودعاء المسألة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقيل: هي مشتقة من الصلوين إذا تحركا في الصلاة عند الركوع والسجود، وهما: عرقان يمتدان من الظهر حتى يكتنفان عجب الذنب، ومنه سمي المصلي، وهو التالي للسابق في حلبة الخيل، وفيه نظر.

وقيل: هي مشتقة من الصلي وهو ملازمة للشيء من قوله تعالى: ((لا يصلاها)) أي: لا يلزمها ويدوم فيها، ﴿إلا الأشقى﴾ [الليل:١٥]، وقيل: هي مشتقة من تصلية الخشبة في النار لتقوم، كما أن المصلي يقوم عوجه بالصلاة، ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر**﴾ [العنكبوت:٤٥]، واشتقاقها من الدعاء أصح وأشهر.

والله أعلم].

الصواب أن الصلاة مأخوذة من الدعاء، وهذا هو الأقرب؛ لأن المصلي يدعو دعاء بلسان الحال وبلسان المقال، فدعاؤه بلسان الحال: ركوعه وسجوده، وقيامه وقعوده وتشهده، وبلسان المقال كدعائه بين السجدتين: رب اغفر لي، وفي آخر التشهد.

وأما الزكاة فسيأتي الكلام عليها في موضعه إن شاء الله تعالى.." [١]

"صفات الخاشعين

قال الله عن الصلاة: ﴿وإنها لكبيرة﴾ يعني: شاقة وصعبة، ﴿إلا على الخاشعين﴾ الذين خشعت قلوبهم وجوارحهم وانقادت لأوامر الله وعظموا الله وعظموا أمره ونهيه؛ فإنها ليست شاقة عليهم.

قال تعالى: ((الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم)) أي: يتيقنون، ((وأنهم إليه راجعون))، فتيقنهم بلقاء الله ورجوعهم إليه يهون عليهم المشاق والمصاعب والمتاعب، فيجعل الصلاة قرة عين لهم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقال أبو العالية في قوله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ قال: على مرضاة الله، واعلموا أنها من طاعة الله، وأما قوله: ((والصلاة)) فإن الصلاة من أكبر العون على الثبات في

---

(١) شرح تفسير ابن كثير – الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٧/١٥

الأمر، كما قال تعالى: ﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر﴾** [العنكبوت:٤٥]،الآية.

وقال الإمام أحمد: حدثنا خلف بن الوليد حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن عكرمة بن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤلي قال: قال عبد العزيز أخو حذيفة، قال: حذيفة يعني ابن اليمان رضي الله عنه: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى).

ورواه أبو داود عن محمد بن عيسى عن يحيى بن زكريا عن عكرمة بن عمار كما سيأتي، وقد رواه ابن جرير من حديث ابن جريج عن عكرمة بن عمار عن محمد بن عبيد بن أبي قدامة عن عبد العزيز بن اليمان عن حذيفة قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة).

ورواه بعضهم عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة، ويقال: أخي حذيفة مرسلا عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة: حدثنا سهل بن عثمان العسكري حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة قال: قال عكرمة بن عمار: قال محمد بن عبد الله الدؤلي: قال عبد العزيز: قال حذيفة: (رجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب وهو مشتمل في شملة يصلي، وكان إذا حزبه أمر صلى)، حدثنا عبد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا شعبة عن أبي إسحاق سمع حارثة بن مضرب سمع عليا رضي الله عنه يقول: (لقد رأيتنا ليلة بدر وما فينا إلا نائم غير رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ويدعو حتى أصبح)].

هذا سند جيد، وأبا إسحاق قد صرح بالسماع، والصحيح أن عبد العزيز بن اليمان ابن أخي حذيفة بن اليمان.." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب، وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، **ولذكر الله أكبر**، والله يعلم ما تصنعون﴾ [العنكبوت: ٤٥] يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿اتل﴾ [العنكبوت: ٤٥] يعني اقرأ ﴿ما أوحي إليك من الكتاب﴾ [العنكبوت: ٤٥] يعني: ما أنزل إليك من هذا القرآن ﴿وأقم الصلاة﴾ [هود: ١١٤] يعني: وأد الصلاة التي فرضها الله عليك بحدودها ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ [العنكبوت: ٤٥] اختلف أهل التأويل في معنى

(١) شرح تفسير ابن كثير - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٤/٣٢

الصلاة التي ذكرت في هذا الموضع، فقال بعضهم: عنى بها القرآن الذي يقرأ في موضع -[٤٠٨]- الصلاة، أو في الصلاة.." (١)

"ﷺوقوله: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم.." (٢)

"ذكر من قال ذلك: حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عطاء بن السائب، عن عبد الله بن ربيعة، قال: قال لي ابن عباس: " ﷺهل تدري ما قوله ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] ؟ قال: قلت: نعم، قال. فما هو؟ قال: قلت: التسبيح والتحميد والتكبير في الصلاة، وقراءة القرآن ، ونحو ذلك، قال: لقد قلت قولا عجبا ، وما هو كذلك، ولكنه إنما يقول: ذكر الله إياكم عندما أمر به أو نهى عنه إذا ذكرتموه أكبر من ذكركم إياه "." (٣)

"حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن عبد الله بن ربيعة، قال: سألني ابن عباس عن قول الله " ﴿ﷺولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] فقلت: ذكره بالتسبيح، والتكبير، والقرآن حسن، وذكره عند المحارم فيحتجز عنها، فقال: لقد قلت قولا عجيبا، وما هو كما قلت، ولكن ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه "." (٤)

"حدثنا محمد بن المثنى، وابن وكيع، قال ابن المثنى: ثني عبد الأعلى، وقال ابن وكيع: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن محمد بن أبي موسى، قال: كنت قاعدا عند ابن عباس، فجاءه رجل فسأل ابن عباس عن " ﴿ﷺولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] ، فقال ابن عباس: الصلاة والصوم، قال: ذاك ذكر الله، قال رجل: إني تركت رجلا في رحلي يقول غير هذا، قال: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] قال: ذكر الله العباد أكبر من ذكر العباد إياه، فقال ابن عباس: صدق والله صاحبك "." (٥)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤٠٧/١٨
(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤١١/١٨
(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤١١/١٨
(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤١١/١٨
(٥) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤١٢/١٨

"حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا ابن فضيل، قال: ثنا فضيل بن مرزوق، عن عطية، " ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] قال: هو قوله: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ [البقرة: ١٥٢] ، وذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه "." (١)

"حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القمي، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، قال: جاء رجل إلى ابن عباس، فقال: حدثني عن قول الله " ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] ، قال: ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له "." (٢)

"حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن عبد الله بن ربيعة، عن ابن عباس " ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] قال: ذكر الله للعبد أفضل من ذكره إياه "." (٣)

"حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن داود، عن عكرمة، " ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] قال: ذكر الله للعبد أفضل من ذكره إياه "." (٤)

"حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، " ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] قال: ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد ربه في الصلاة أو غيرها "." (٥)

"حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا أبو أسامة، قال: ثني عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبي عريب، عن كثير بن مرة الحضرمي، قال: سمعت أبا الدرداء، يقول: " ﷺأخبركم بخير أعمالكم ، وأحبها إلى مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير من أن تغزوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم، وخير من إعطاء -[٤١٤]- الدنانير والدراهم؟ قالوا: ما هو؟ قال: ذكركم ربكم، وذكر الله أكبر "." (٦)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤١٢/١٨

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤١٢/١٨

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤١٢/١٨

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤١٢/١٨

(٥) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤١٣/١٨

(٦) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤١٣/١٨

"حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي قال: ثنا سفيان، عن جابر، عن عامر، عن أبي قرة، عن سلمان، " ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] قال: قال: ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه "." (١)

"قال: ثني أبي، عن إسرائيل، عن جابر، عن عامر، قال: سألت أبا قرة عن قوله " ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] ، قال: ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه "." (٢)

"قال: ثنا حسن بن علي، عن زائدة، عن عاصم، عن شقيق، عن عبد الله: " ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] قال: ذكر الله العبد أكبر من ذكر العبد لربه "." (٣)

"حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، " ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] قال: لا شيء أكبر من ذكر الله، قال: أكبر الأشياء كلها، وقرأ ﴿أقم الصلاة لذكري﴾ [طه: ١٤] ، قال: لذكر الله: وإنه لم يصفه عند القتال إلا أنه أكبر "." (٤)

"حدثنا ابن حميد أحمد بن المغيرة الحمصي، قال: ثنا علي بن عياش، قال: ثنا الليث، قال: ثني معاوية، عن ربيعة بن يزيد، عن إسماعيل بن عبيد الله، عن أم الدرداء، أنها قالت: " ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] فإن صليت فهو من ذكر الله، وإن صمت فهو من ذكر الله، وكل خير تعمله فهو من ذكر الله ، وكل شر تجتنبه فهو من ذكر الله، وأفضل ذلك تسبيح الله "." (٥)

"ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا عمر بن أبي زائدة، عن العيزار بن حريث، عن رجل، عن سلمان، أنه سئل: " أي العمل أفضل؟ قال: أما تقرأ القرآن ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] ؟ لا شيء أفضل من ذكر الله "." (٦)

"ذكر من قال ذلك: حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله " ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] قال: لها وجهان: **ذكر الله أكبر** مما سواه، وذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه "." (٧)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٨/٤١٤

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٨/٤١٤

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٨/٤١٤

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٨/٤١٥

(٥) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٨/٤١٥

(٦) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٨/٤١٥

(٧) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٨/٤١٦

"حدثنا أبو كريب، قال: ثنا إسماعيل بن إبراهيم، قال: ثنا خالد الحذاء، عن عكرمة، عن ابن عباس في: " ﴿ﷺولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] قال: لها وجهان: ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه، وذكر الله عند ما حرم ". وقال آخرون: بل معنى ذلك: لذكر الله العبد في الصلاة أكبر من الصلاة.." [١]

"ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن السدي، عن أبي مالك، في قوله " ﴿ﷺولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] قال: ذكر الله العبد في الصلاة أكبر من الصلاة ". وقال آخرون: بل معنى ذلك: وللصلاة التي أتيت أنت بها، وذكرك الله فيها -[٤١٧]- أكبر مما نهتك الصلاة من الفحشاء والمنكر.." [٢]

"حدثني أحمد بن المغيرة الحمصي، قال: ثنا يحيى بن سعيد العطار، قال: ثنا أرطأة، عن ابن عون، في قول الله " ﴿ﷺإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ [العنكبوت: ٤٥] والذي أنت فيه من **ذكر الله أكبر** ". قال أبو جعفر: وأشبه هذه الأقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل قول من قال: ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه.." [٣]

"أذكركم بالعفو، اذكروني بالتعظيم أذكركم بالتكريم، اذكروني بالتكبير أذكركم بالتطهير، اذكروني بالتمجيد أذكركم بالمزيد، اذكروني بالمناجاة أذكركم بالنجاة، اذكروني بترك الجفاء أذكركم بحفظ الوفاء، اذكروني بترك الخطأ أذكركم بحفظ الوفاء، اذكروني بالجهد بالخلقة أذكركم بإتمام النعمة، اذكروني من حيث أنتم أذكركم من حيث أنا **ولذكر الله أكبر.**

الربيع في هذه الآية: إن الله ذاكر من ذكره، وزائدا من شكره، ومعذب من كفره.

وقال السدي: فيها ليس من عبد يذكر الله إلا ذكره الله. لا يذكره مؤمن إلا ذكره بالرحمة، ولا يذكره كافر إلا يذكره بعذاب.

وقال سفيان بن عيينة: بلغنا إن الله عز وجل قال: أعطيت عبادي ما لو أعطيته جبرئيل وميكائيل كنت قد أجزلت لهما قلت: اذكروني أذكركم، وقلت لموسى: قل للظلمة لا يذكروني فإني أذكر من ذكرني، فإن ذكري إياهم أن العنهم.

وقال أبو عثمان النهدي: إني لأعلم حين يـذكـرني ربي عز وجل، قيل: كيف ذلك؟

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤١٦/١٨

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤١٦/١٨

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤١٧/١٨

قال: إن الله عز وجل قال: فاذكروني أذكركم وإذا ذكرت الله تعالى ذكرني.
واشكروا لي «١» نعمتي.
ولا تكفرون.

[سورة البقرة (٢) : الآيات ١٥٣ الى ١٥٧]
يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين (١٥٣) ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون (١٥٤) ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين (١٥٥) الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون (١٥٦) أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون (١٥٧)
يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين بالعون والنصرة.
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات نزلت في قتلى بدر مع المسلمين، وكانوا أربعة عشر رجلا منهم ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين وذلك إن الناس كانوا يقولون: الرجل يقتل في سبيل الله: مات فلان، وذهب منه نعيم الدنيا ولذتها، فأنزل الله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات أي هم أموات بل إنهم أحياء.
بل أحياء ولكن لا تشعرون إنهم كذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أرواح الشهداء في

---

(١) في هامش المخطوطة: بالعطية فمن أطاع الله فقد شكر ومن عصاه فقد كفر. [.....]."[1]
"السبل ولا تحلفوا باسمي كاذبا فإن من حلف باسمي كاذبا فلا أزكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين.
وقال الربيع بن أنس: نزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير، يقرأ منها الجزء في سنة لم يقرأها إلا أربعة نفر: موسى يوشع وعزيز وعيسى (عليهم السلام) «١» ، وقال: هذه الآية ألف آية يعني قوله وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا وتبيانا لكل شيء من الأمر والنهي الحلال والحرام والحدود والأحكام.
فخذها بقوة قال مقاتل: بجد ومواظبة. قال الضحاك: بطاعة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها قال ابن عباس

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢/٢١

في رواية الكلبي: بأحسن ما أمروا [في] الأرض فيحلوا حلالها ويحرموا حرامها، وكان موسى أشد عداوة من قومه فأمر بما لم يؤمروا به. وقال ابن كيسان وابن جرير: أحسنها الفرائض لأنه قد كان فيها أمر ونهي، فأمرهم الله تعالى أن يعملوا بما أمرهم به ويتركوا ما نهاهم عنه فالعمل بالمأمور به أحسن من العمل بالمنهي عنه.

وقيل: معناه أخذوا بها وأحسن عمله. وقال قطرب: يأخذوا بأحسنها أي بحسنها و [كلها حسن] كقوله **ولذكر الله أكبر** «٢» وقال الحسين بن الفضل: معنى قوله (أحسنها) أن يتخيل للكلمة معنيين أو ثلاثة فيصرفوا إلى الشبهة بالحق. وقيل: كان فيها فرائض لا مبرك لها وفضائل مندوبا إليها والأفضل أن يجمع بين الفرائض و [الفضائل] .

سأريكم دار الفاسقين قال أهل المعاني: هذا كقول القائل لمن يخاطبه سأريك غدا إلى بصير [فيه قال] من يخالف أمري على وجه الوعيد والتهديد.

وقال مجاهد: سأريكم دار الفاسقين قال: مصيرهم في الآخرة. قال الحسن: جهنم، وقال قتادة وغيره: سأدخلكم النار فأريكم منازل الكافرين الذين هم سكانها من الجبابرة والعمالقة.

وقال عطية العوفي: معناه سأريكم دار فرعون وقومه وهي مصر يدل عليه.

قرأ ابن عباس وقسامة بن زهير: سأورثكم دار الفاسقين. وقال الكلبي: دار الفاسقين ما مروا عليه إذا سافروا من منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكوا. وقال ابن كيسان: سأريكم دار الفاسقين ما يصير قرارهم في [الأرض] .

وقال ابن زيد: يعني سنن الأولين، وقيل: الدار الهلاك وجمعه أدوار. وذلك أن الله تعالى لما أغرق فرعون أوحى إلى البحر أن يقذف أجسادهم إلى الساحل ففعل فنظر إليهم بنو إسرائيل فأراهم هلاك الفاسقين.

---

(١) تفسير الطبري: ٩/ ٨٩

(٢) سورة العنكبوت: ٤٥ .

.." (١)

"قال كعب: فلما سلمت على رسول الله وقلت: يا نبي الله من عند الله أم من عندك؟

قال: «بل من عند الله» ثم تلا عليهم: لقد تاب الله على النبي والمهاجرين إلى قوله وكونوا مع الصادقين

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٨٣/٤

وقلت: يا نبي الله إن من توبتي ألا أحدث الأصدقاء حتى أنخلع من مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله فقال: «أمسك عليك بعض مالك فهو أخير لك» [٧٢] ، قلت: فإني أمسك سهمي الذي من خيبر قال: فما أنعم الله علي نعمة بعد الإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صدقته أنا وصاحباي أن لا يكون كذبنا فهلكنا كما هلكوا وأني لأرجو أن لا يكون الله عز وجل أبلى أحدا في الصدق [منذ ذكرت ذلك لرسول الله أحسن مما ابتلاني والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله إلى يومي هذا] «١» وأني لأرجو أن يحفظني الله عز وجل فيما بقي

، هذا ما انتهى إلينا من حديث الثلاثة الذين خلفوا «٢» .

حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت المفسرون: أي ضاقت عليهم الأرض برمتها وضاقت عليهم أنفسهم [ضاقت صدورهم بالهم والوحشة] وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه سمعت الحسن بن محمد بن جعفر النيسابوري وإبراهيم بن محمد بن زيد النيسابوري وعبد الله ختن والي بلد العراق يقول: سئل أبو بكر الوراق عن التوبة النصوح قال: أن تضيق علينا بما رحبت ويضيق عليه نفسه كتوبة كعب وصاحبه ثم تاب عليهم إعادة تأكيد ليتوبوا فهذا بالتوبة منه.

سمعت أبا القاسم بن أبي بكر السدوسي، سمعت أبا سعيد أحمد بن محمد بن رميح الزيدي، سمعت الحسن بن علي الدامغاني يقول: قال أبو يزيد: غلطت في أربعة أشياء: في الابتداء مع الله سبحانه ظننت أني أحبه فإذا هو أحبني قال الله تعالى: يحبهم ويحبونه «٣» فظننت أني أرضى عنه فإذا هو رضي عني قال الله تعالى: رضي الله عنهم ورضوا عنه وظننت أني أذكره فإذا هو ذكرني قال الله تعالى: **ولذكر الله أكبر** «٤» وشئت أن أتوب فإذا هو تاب علي قال الله تعالى: ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال نافع: يعني مع محمد وأصحابه. سعيد بن جبير: مع أبي بكر وعمر، ابن جريح وابن حبان: مع المهاجرين دليله قوله تعالى: للفقراء المهاجرين إلى قوله أولئك هم الصادقون «٥» .

أخبرني عبد الله بن محمد بن عبد الله. محمد بن عثمان بن الحسن. محمد بن الحسين

---

(١) عن تفسير الطبري.

(٢) راجع تفسير الطبري: ١١/ ٨١. ٨٣، ومسند أحمد: ٦/ ٣٨٧. ٣٩٠.

(٣) سورة المائدة: ٥٤.

(٤) سورة العنكبوت: ٤٥.

(٥) سورة الحشر: ٨.." [١]

"[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٣٦ الى ٤٠]

وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٣٦) فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين (٣٧) وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين (٣٨) وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين (٣٩) فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٤٠)

وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال: يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثني ابن شنبه قال: حدثنا أبو حامد المستملي قال: حدثنا محمد بن حاتم الرمني قال: حدثنا محمد بن سلامة «١» الجمحي قال: قال يوسف «٢» النحوي: وارجوا اليوم الآخر يعني اخشوا ولا تعثوا في الأرض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين. وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين في الضلالة، قال مجاهد وقتادة: مستبصرين في ضلالهم معجبين بها. الفراء:

عقلاء ذوي بصائر. ضحاك ومقاتل والكلبي: حسبوا إنهم على الهدى والحق وهم على الباطل.

وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين فائتين من عذابنا فكلا أخذنا عاقبنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ريحا تأتي في الحصباء، وهي الحصى الصغار، وهم قوم لوط ومنهم من أخذته الصيحة يعني ثمودا.

ومنهم من خسفنا به الأرض قارون وأصحابه ومنهم من أغرقنا فرعون وقومه وقوم نوح.

وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٤١ الى ٤٥]

مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٠٨/٥

كانوا يعلمون (٤١) إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم (٤٢) وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون (٤٣) خلق الله السماوات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين (٤٤) اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون (٤٥)

مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء يعني: الأصنام يرجون نصرها ونفعها عند حاجتهم إليها كمثل العنكبوت اتخذت بيتا لنفسها كيما يكنها فلم يغن عنها بناؤها شيئا عند حاجتها إياه، فكما أن بيت العنكبوت لا يدفع عنها بردا ولا حرا كذلك هذه الأوثان لا تملك لعابديها نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا.

---

(١) في نسخة أصفهان: سلام.

(٢) في نسخة أصفهان: يونس.." (١)

"وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا صلاة لمن لم يطع الصلاة، وإطاعة الصلاة أن تنهى عن الفحشاء والمنكر» [١٤٨] «١» .

وروى أبو سفيان عن جابر قال: قيل لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) : إن فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل، فقال: «إن صلاته لتردعه» [١٤٩] «٢» .

وقال أنس بن مالك: كان فتى من الأنصار يصلي الصلاة «٣» مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش إلا ركبه، فوصف لرسول الله (عليه السلام) حاله، فقال: «إن صلاته تنهاه يوما ما» «٤» ، فلم يلبث أن تاب وحسن حاله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألم أقل لكم إن صلاته تنهاه يوما ما» [١٥٠] .

وقال ابن عون: معناه أن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر مادام فيها، وقال أهل المعاني: ينبغي أن تنهاه صلاته كقوله: ومن دخله كان آمنا «٥» .

ولذكر الله أكبر اختلفوا في تأويله، فقال قوم: معناه ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه، وهو قول عبد الله وسلمان ومجاهد وعطية وعكرمة وسعيد بن جبير، ورواية عبد الله بن ربيعة عن ابن عباس، وقد روى ذلك مرفوعا:

أخبرناه الحسين بن محمد بن الحسين الدينوري، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق السني، قال:

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٧٩/٧

حدثني أحمد بن علي بن الحسين، قال: حدثنا إبراهيم بن أبي داود البزكي، قال:
حدثنا الحسين اللهبني، قال: حدثنا صالح بن عبد الله بن أبي فروة، عن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، عن عمه موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قول الله سبحانه: **ولذكر الله أكبر** قال: «ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه» «٦» [١٥١] .
قالت الحكماء: لأن ذكر الله سبحانه للعبد على حد الاستغناء، وذكر العبد إياه على حد الافتقار، ولأن ذكره دائم، وذكر العبد مؤقت، ولأن ذكر العبد بحد رفع أو دفع ضر، وذكر الله سبحانه إياه للفضل والكرم.
وقال ذو النون: ر أنك ذكرته بعد أن ذكرك، وقال ابن عطاء: لأن ذكره لك بلا علة، وذكرك مشوب بالعلل.
أبو بكر الوراق: لأن ذكره تعالى للعبد أطلق لسانه بذكره له، ولأن ذكر العبد مخلوق وذكره غير مخلوق.
وقال أبو الدرداء وابن زيد وقتادة: معناه **ولذكر الله أكبر** مما سواه وهو أفضل من كل شيء.

---

(١) الدر المنثور: ٥/ ١٤٦.
(٢) تفسير مجمع البيان: ٨/ ٢٩.
(٣) في نسخة أصفهان: الصلوات.
(٤) تفسير القرطبي: ١٣/ ٣٤٨.
(٥) سورة آل عمران: ٩٧.
(٦) جامع البيان للطبري: ٢٠/ ١٩٠.." [1]

"أخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن محمد «١» الثقفي الحافظ قال: حدثنا أبو حذيفة أحمد بن محمد بن علي قال: حدثنا زكريا بن يحيى بن يعقوب المقدسي، قال: حدثنا عيسى بن يونس قال: حدثنا عبد الوارث بن سعيد، عن جويبر عن الضحاك، عن عبد الله بن مسعود قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: **ولذكر الله أكبر** قال: «ذكر الله على كل حال أحسن وأفضل، والذكر أن نذكره عند ما حرم، فندع ما حرم ونذكره عند ما أحل فنأخذ ما أحل» [١٥٢] .
وأخبرني الحسين بن محمد «٢» قال: حدثنا ابن شنبه قال: حدثنا جعفر بن محمد الفرباني قال: حدثنا إسحاق بن راهويه قال: أخبرنا إسحاق بن سليمان الرازي قال: سمعت موسى بن عبيدة الزيدي يحدث أبي عبد الله القراظ، عن معاذ بن جبل قال: بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نسير بالدف

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٧/٢٨١

من حمدان إذ استنبه، فقال «٣» : «يا معاذ إن السابقين الذين يستهترون بذكر الله، من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله سبحانه» [١٥٣] «٤» .

قال إسحاق بن سليمان: سمعت حريز بن عثمان يحدث «٥» ، عن أبي بحرية، عن معاذ بن جبل، قال: ما عمل آدمي عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله سبحانه، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: لا ولو ضرب بسيفه «٦» ، قال الله سبحانه: **ولذكر الله أكبر**. وأخبرني الحسين بن محمد، قال: حدثنا ابن شنبه، قال: حدثنا جعفر بن محمد الفرباني، قال: حدثنا يحيى بن عمار المصيصي، قال: حدثنا أبو أسامة، عن عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبي غريب، عن كثير بن مرة الحضرمي، قال: سمعت أبا الدرداء يقول: ألا أخبركم بخير أعمالكم لكم وأحبها إلى مليككم وأتمها في درجاتكم، وخير من أن تغزوا عدوكم فتضرب رقابكم وتضربون رقابهم، وخير من إعطاء الدنانير والدراهم، قالوا: وما هو يا أبا الدرداء؟ قال: ذكر الله، قال الله سبحانه: **ولذكر الله أكبر**.

وقيل لسلمان: أي العمل أفضل؟ قال: أما تقرأ القرآن **ولذكر الله أكبر** لا شيء أفضل من ذكر الله سبحانه.

وأنبأني عبد الله بن حامد، قال: أخبرنا محمد بن يعقوب، قال: حدثنا حميد بن داود،

---

(١) في نسخة أصفهان: الحسين بن محمد الثقفي.

(٢) في نسخة أصفهان: عن عبد الله بن محمد.

(٣) في نسخة أصفهان: فقال: يا معاذ أين السابقون؟ فقلت: قد مضوا وتخلف ناس، فقال: يا معاذ إن السابقين ... إلخ.

(٤) المصنف لابن أبي شيبة: ٧/ ٧٢، والدر المنثور: ٥/ ٢٠٥.

(٥) في سير أعلام النبلاء (١/ ٤٥٥) عن المشيخة عن أبي بحرية. [.....]

(٦) في المعجم الأوسط (٣/ ٥) عن جابر رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفي ذيله: إلا أن تضرب بسيفك.." (١)

"قال: حدثني يزيد بن خالد قال: حدثنا عبد الرحمن بن ثابت، عن أبيه، عن مكحول، عن جبير ابن هبير «١» ، عن مالك بن عامر، عن معاذ بن جبل قال: سألت رسول الله «: أي الأعمال أحب إلى الله تعالى؟

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٧/٢٨٢

قال صلى الله عليه وسلم: «أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله» [١٥٤] «٢» .

وأنبأني عبد الله بن حامد، قال: أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدثنا سلمة بن محمد ابن أحمد بن مجاشع الباهلي، قال: حدثنا خالد بن يزيد العمري، قال: حدثنا سفيان الثوري، عن عطاء بن قرة، عن عبد الله بن ضمرة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذكر الله عز وجل وما والاه أو عالم أو متعلم» [١٥٥] «٣» .

قالت الحكماء: وإنما «٤» كان الذكر أفضل الأشياء لأن ثواب الذكر الذكر، قال الله تعالى: فاذكروني أذكركم «٥» ويؤيد هذا ما

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا مكي بن عبدان، قال: حدثنا عبد الله بن هشام، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن اقترب إلي شبرا اقتربت إليه ذراعا، وإن اقترب إلي ذراعا اقترب إليه باعا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة» [١٥٦] «٦» .

وأخبرنا عبد الله، قال: أخبرنا علي، قال: أخبرنا عبد الله بن هاشم، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن الأعز أبي مسلم، قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد إنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه قال: «ما جلس قوم يذكرون الله سبحانه إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم «٧» فيمن عنده» [١٥٧] «٨» .

وأخبرني ابن فنجويه، قال: حدثنا ابن شيبة، قال: حدثنا الفرباني، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شنبه، قال: حدثنا عبد الله، عن إسرائيل، عن السدي، عن أبي مالك **ولذكر الله أكبر**

---

(١) في نسخة أصفهان: نقير.

(٢) كنز العمال: ١/ ٤١٤، ح ١٧٥٢.

(٣) فتح القدير: ١/ ٨، وكنز العمال: ٣/ ١٨٥، ح ٦٠٨٥.

(٤) في نسخة أصفهان: فإنما.

(٥) سورة البقرة: ١٥٢.

(٦) مسند أحمد: ٢/ ٤١٣.

(٧) في نسخة أصفهان: وذكر الله.

(٨) مسند أحمد: ٣/ ٤٩.." [١]

"قال: ذكر الله العبد في الصلاة أكبر من الصلاة. ابن عون: معناه: الصلاة التي أنت فيها وذكرك الله فيها أكبر مما نهتك عنه الصلاة من الفحشاء والمنكر، وقال ابن عطاء: **ولذكر الله أكبر** من أن تبقى معه بالمعصية.

والله يعلم ما تصنعون.

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٤٦ الى ٥٥]

ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون (٤٦) وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون (٤٧) وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون (٤٨) بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون (٤٩) وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين (٥٠)

أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون (٥١) قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السماوات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون (٥٢) ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون (٥٣) يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين (٥٤) يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون (٥٥)

ولا تجادلوا أهل الكتاب الجدال: فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج فيه، وأصله شدة الفتل ومنه قيل للصقر: أجدل لشدة فتل بدنه وقوة خلقه، وقيل: الجدال من الجدالة وهو أن يروم كل واحد من الخصمين قهر صاحبه وصرعه على الجدالة وهي الأرض.

إلا بالتي هي أحسن ألطف وأرفق، وهو الجميل من القول والدعاء إلى الله والبينة على آيات الله وحججه.

إلا الذين ظلموا منهم قال مجاهد: يعني إن قالوا شرا فقولوا خيرا إلا الذين ظلموا منهم أي أبوا أن يعطوا الجزية ونصبوا الحرب، فأولئك انتصروا منهم وجادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يقروا بالجزية. قال سعيد

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٨٣/٧

بن جبير: هم أهل الحرب من لا عهد لهم فجادلوهم بالسيف. ابن زيد: إلا الذين ظلموا منهم بالإقامة على كفرهم بعد قيام الحجة عليهم.

ومجاز الآية: إلا الذين ظلموكم لأن جميعهم ظالم. وقال قتادة ومقاتل: هذه الآية منسوخة بقوله: قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله «١» ... الآية.

---

(١) سورة التوبة: ٢٩.." (١)

"وروى الحسن عن النبي A مثل قول ابن مسعود. وهو قول قتادة وغيره. وقيل: المعنى: إن الصلاة تنهى من كان فيها عن الفحشاء والمنكر فتحول بينه وبين ذلك لشغله بها.

وروي عن ابن عمر أنه قال: الصلاة هنا: القرآن. قال: القرآن الذي يقرأ في المساجد ينهى عن الفحشاء والمنكر. والفحشاء الزنى، والمنكر المعاصي.

ثم قال: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ قال ابن عباس في معناه: **ولذكر الله أكبر** إذا ذكرتموه عندما أمركم به، ونهى عنه أكبر من ذكركم إياه. وهو قول مجاهد وعكرمة وغيرهما. وروي ذلك عن أبي الدرداء. وقيل: المعنى: ولذكر الله إياكم أفضل من." (٢)

"﴿ولذكر الله أكبر﴾ لا شيء أفضل من ذكر الله.

وقالت أم الدرداء: إن صليت فهو من ذكر الله، وإن صمت فهو من ذكر الله، وكل خير فعلته فهو من ذكر الله، وكل شيء تجنبته لله فهو من ذكر الله، وأفضل من ذلك تسبيح الله جل وعز.

وقال قتادة: **ولذكر الله أكبر**، لا شيء أكبر من ذكر الله. وقيل: المعنى: ولذكر الله العبد في الصلاة أفضل من الصلاة. قاله السدي.." (٣)

"قوله: ﴿وكان يأمر أهله بالصلاة﴾ الآية.

﴿واصطبر عليها﴾ للاستعانة على الصبر عن محارم الله -عز وجل-؛ لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر (١). ﴿لا نسألك رزقا﴾ قال ابن مسلم: (لا نسألك رزقا لخلقنا، ولا رزقا لنفسنا) (٢). ﴿نحن نرزقك﴾ قال عبد الله بن سلام: (كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا أنزل بأهله ضيق أو قال شدة أمرهم

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٨٤/٧

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٥٦٣٢/٩

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٥٦٣٤/٩

بالصلاة ثم تلا هذه الآية) (٣).

وقوله: ﴿والعاقبة﴾ قال ابن عباس، والسدي: (يريد: بالعاقبة الجنة) (٤).

وقوله تعالى: ﴿للتقوى﴾ قال الأخفش: (أي لأهل التقوى) (٥). قال ابن عباس: (يريد: الذين صدقوك واتبعوك واتقوني) (٦).

١٣٣ - قوله تعالى: ﴿وقالوا﴾ يعني المشركين ﴿لولا يأتينا بآية من ربه﴾ هلا يأتينا محمد بآية من ربه كما أتى بها الأنبياء نحو الناقة والعصا (٧). قال أبو إسحاق: (وقد أتتهم الآيات ولكنهم طلبوا أن يأتيهم ما

---

(١) ويشهد لذلك قوله تعالى في سورة العنكبوت الآية رقم (٤٥): ﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون﴾.

(٢) ذكرته كتب التفسير من غير نسبة. انظر: "بحر العلوم" ٢/ ٣٥٩، "معالم التزيل" ٥/ ٣٠٤، "زاد المسير" ٥/ ٣٣٦، "الجامع لأحكام القرآن" ١١/ ٢٦٣.

(٣) "معالم التزيل" ٥/ ٣٠٤، "الدر المنثور" ٥/ ٥٦١، "التفسير الكبير" ٢٢/ ١٣٧، "روح المعاني" ١٦/ ٢٨٥، "فتح القدير" ٣/ ٥٦٤.

(٤) "الدر المنثور" ٤/ ٥٦١، "التفسير الكبير" ٢٢/ ١٣٧.

(٥) "معاني القرآن" للأخفش ٢/ ٦٣١.

(٦) "معالم التزيل" ٥/ ٣٠٤.

(٧) "جامع البيان" ١٦/ ٢٣٧، "زاد المسير" ٥/ ٣٣٦، "الجامع لأحكام القرآن" =." [1]

"هذا القول؛ وقال: المصلي لا يكون في منكر ولا فاحشة ما دام فيها (١).

قال الكلبي: ﴿الفحشاء﴾ المعصية (٢). وهو: ما قبح من العمل ﴿والمنكر﴾ ما لا يعرف في شريعة ولا سنة (٣). والقول هو الأول (٤).

وقوله: **﴿ولذكر الله أكبر﴾** اختلفوا فيه على وجهين؛ روى عبد الله ابن ربيعة عن ابن عباس قال: ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه (٥).

وروى عطية عنه قال: هو قوله: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ [البقرة: ١٥٢] قال: فذكر الله إياكم أكبر من ذكركم

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٤/٥٦٣

إياه (٦). وهو: قول عبد الله، وسلمان، ومجاهد، ومقاتل؛ قال: يقول: إذا صليت لله فقد ذكرته، فيذكرك الله

= جرير ٢٠/ ١٥٥، عن ابن عون، وكذا ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٦٦، وقد كتب اسمه تصحيفا: أبو غوث!.
وذكره الثعلبي ٨/ ١٦٠ أ، عن ابن عون.

(١) "غريب القرآن" لابن قتيبة ٣٣٨.

(٢) "تنوير المقباس" ٣٣٦. وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٦٧، عن ابن عباس، وعكرمة والحسن.

(٣) "تنوير المقباس" ٣٣٦. الفحشاء من المنكر، فتكون الآية من باب عطف العام على الخاص، كقوله تعالى: ﴿وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم﴾ [البقرة: ١٣٦].

(٤) أي: أن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ولو بعد حين.

(٥) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٩٨، وابن جرير ٢٠/ ١٥٦، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٦٧، كلهم من طريق عبد الله بن ربيعة. وأخرجه كذلك الحاكم ٢/ ٤٤٤، كتاب التفسير، رقم (٣٥٣٨)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.
- عبد الله بن ربيعة بن يزيد الدمشقي، أخرج له الترمذي، ولم أجد له ترجمة قال عنه ابن حجر: مجهول. "تهذيب الكمال" ١٤/ ٤٨٩، و"تقريب التهذيب" ٥٠٥.

(٦) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٥٦. وأخرجه الثعلبي ٨/ ١٦٠ أ، مرفوعا من طريق نافع، عن ابن عمر.." [١]
"بخير، وذكر الله إياك أفضل من ذكرك إياه في الصلاة (١).

ونحو هذا قال السدي وسعيد بن جبير (٢). وعلى هذا الوجه معنى قوله: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ بعد قوله: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ هو: أن الله لما أمر بإقام الصلاة، والصلاة لا تخلو من ذكر الله فكأنه أمر بذكره، فلما أمر بذكره أخبر أن ذكر الله العبد ما كان في صلاته أكبر من ذكر العبد؛ لأن العبد إذا ذكر الله، ذكره الله بالثواب؛ كقوله: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ وهذا معنى قول الفراء والزجاج وابن قتيبة، في هذا الوجه الأول (٣).

الوجه الثاني في تفسير الآية: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ مما سواه، وهو أفضل من كل شيء. وهذا قول أبي الدرداء وقتادة (٤).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٧/٥٣٤

وروي معنى هذا الوجه عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهو ما روى ابن مسعود عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في قوله: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ قال: "ذكر الله على كل حال أحسن وأفضل" (٥).

---

1) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٥٧، عن عبد الله بن مسعود، وسلمان، ومجاهد. "تفسير مقاتل" ٧٤ أ. وذكره الثعلبي ٨/ ١٦٠ أ، عن عبد الله وسلمان، ومجاهد، وعطية، وعكرمة، وسعيد بن جبير.

(٢) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٥٦، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وأخرجه ٢٠/ ١٥٨، عن السدي. وأخرجه الثعلبي ٨/ ١٦١ ب، عن السدي.

(٣) "معاني القرآن" للفراء ٢/ ٣١٧. و"غريب القرآن" لابن قتيبة ٣٣٨. و"معاني القرآن" للزجاج ٤/ ١٧٠.

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٩٧، عن قتادة، وأخرجه عنهما ابن جرير ٢٠/ ١٥٧، وذكره عنهما الثعلبي ٨/ ١٦٠ أ.

(٥) أخرجه الثعلبي ٨/ ١٦٠ ب، من طريق جويبر، عن الضحاك، عن ابن مسعود، =." (١)

"والذكر: أن يذكره عندما حرم، ويذكره عندما أحل، فيأخذ ما أحل (١). والمعنى على هذا الوجه أن الله تعالى أخبر أن ذكره على كل الأحوال أكبر وأفضل؛ وذلك أن العبد إذا كان ذاكرا الله في كل حال، لم يجر عليه القلم بمعصية؛ لأنه إذا ذكر ارتدع عما يهم به من السوء. فأما من يذكره بلسانه وهو مع ذلك يرتكب محظورا، وما لا يحل، فليس هو ذاكرا الله على الحقيقة. وعلى هذا لا تعلق لقوله: ﴿ولذكر الله﴾ بما قبله.

وقال الفراء وابن قتيبة في هذا الوجه: ﴿ولذكر الله﴾ هو: التسبيح والتهليل، يقول: هو أكبر وأحرى وأحق بأن ينهى عن الفحشاء والمنكر (٢). فعلى الوجه الأول: المصدر الذي هو الذكر مضاف إلى الفاعل، وفي الوجه الثاني: مضاف إلى المفعول، وإن قال قائل في معنى الآية على الوجه الثاني: إن الله تعالى أمر نبيه -عليه السلام- بتلاوة القرآن وإقام الصلاة، ثم قال: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ يعني: تلاوة القرآن، أخبر أنه أكبر وأفضل من كل شيء، فالمراد بذكر الله في الآية: تلاوة القرآن (٣). ويجوز أن يكون المعنى: وذكر الله الذي هو تلاوة القرآن، أكبر من الصلاة، فهو أحرى أن

= يرفعه. وهذا إسناد لا يصح؛ فيه ضعف وانقطاع، فجويبر ضعيف جدا، "تقريب التهذيب" ٢٠٥، رقم

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٧/٥٣٥

(٩٩٤). والضحاك لم يلق ابن مسعود. "تهذيب التهذيب" ٤/ ٣٩٧.

(١) "تفسير الثعلبي" ٨/ ١٦٠ ب.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٢/ ٣١٧. و"غريب القرآن" لابن قتيبة ٣٣٨.

(٣) ذكر هذا القول ابن جرير ٢٠/ ١٥٤، فقال: قال بعضهم: عني بها القرآن الذي يقرأ في موضع الصلاة، أو في الصلاة. ثم أخرج بسنده عن ابن عمر، قال: القرآن الذي يقرأ في المساجد. ولم يحكه عن غيره. وذكره عن ابن عمر، الثعلبي ٨/ ١٦٠ أ، ولفظه: القرآن ينهى عن الفحشاء والمنكر.." [١]

"وقال أهل المعاني: (بصحة عزيمة؛ لأنه لو أخذه بضعف نية لأداه إلى فتور العمل به) (١).

وقوله تعالى: ﴿وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾. قال ابن عباس في رواية عطاء: (يريد: يحلوا حلالها ويحرموا حرامها ويتدبروا أمثالها ويعملوا بمحكمها، ويقفوا عند متشابهها) (٢).

وذكر أبو إسحاق في هذا وجهين: (أحدهما: أنهم أمروا بالخير ونهوا عن الشر، وعرفوا ما لهم في ذلك، فقيل: ﴿وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾.

قال: ويجوز أن يكون ما أمرنا به؛ من الانتصار بعد الظلم، ونحو القصاص في الجروح؛ فهذا كله حسن، والعفو أحسن من القصاص، والصبر أحسن من الانتصار، ونظير هذه الآية قوله: ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾ [الزمر: ٥٥]، وقوله: ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ (٣) [الزمر: ١٨].

وقال قطرب (٤): ﴿يأخذوا بأحسنها﴾، أي: بحسنها وكلها حسن؛ كقوله: **﴿ولذكر الله أكبر﴾** [العنكبوت: ٤٥]).

وقول الفرزدق:

ـــــــــــــ

(١) ذكره البغوي ٣/ ٢٨١، والخازن ٢/ ٢٨٨.

(٢) ذكره الواحدي في "الوسيط" ٢/ ٢٤٠، والبغوي ٣/ ٢٨١، والخازن ٢/ ٢٨٨، وأخرج الطبري ٩/ ٥٨ بسند ضعيف عن ابن عباس قال: (أمر موسى أن يأخذها بأشد مما أمر به قومه) اهـ.

(٣) "معاني الزجاج" ٢/ ٣٧٥، ونحوه الأزهري في "تهذيب اللغة" ١/ ٨٢٣ (حسن).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥٣٦/١٧

(٤) ذكره الثعلبي في "تفسيره" ١٩٧ ب، والواحدي في "الوسيط" ٢/ ٢٤٠، والبغوي ٣/ ٢٨١، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٩، والرازي ١٤/ ٢٣٧.." [١]

"﴿خلق الله السموات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين ﴿٤٤﴾ اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٤-٤٥] ﴿خلق الله السموات والأرض بالحق﴾ [العنكبوت: ٤٤] أي: للحق وإظهار الحق، ﴿إن في ذلك﴾ [العنكبوت: ٤٤] في خلقها، ﴿لآية للمؤمنين﴾ [العنكبوت: ٤٤] لدلالة على قدرة الله وتوحيده.

﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب﴾ [العنكبوت: ٤٥] يعني القرآن، ﴿وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ [العنكبوت: ٤٥] الفحشاء ما قبح من العمل، والمنكر لا يعرف في شريعة ولا سنة، قال ابن عباس: في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله، فمن لم تنهه صلاته عن المعاصي لم يزدد إلا بعدا.

وهذا قول الحسن، وقتادة، قالا: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليس صلاته بصلاة، وهي وبال عليه.

٧١٢ - أخبرنا أبو نصر الجوزقي، أنا بشر بن أحمد بن عيسى بن السكين، نا هاشم بن القاسم الحراني، نا عثمان بن عبد الرحمن، نا عمر بن شاكر، عن أنس، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا»

٧١٣ - أخبرنا أبو بكر التميمي، أنا عبد الله بن محمد بن حبان، نا عبد الرحمن بن محمد الرازي، نا سهل بن عثمان، نا أبو مالك، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن مسعود، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: «لا صلاة لمن لم يطع الصلاة، وطاعة الصلاة أن تنهى عن الفحشاء والمنكر»

ومعنى هذا أن الله تعالى أخبر أن الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر، فمن أقامها ثم لم ينته عن المعاصي لم تكن صلاته بالصفة التي وصفها الله، فإذا لم تكن بتلك الصفة لم تكن صلاة، فإن تاب يوما وترك معاصيه تبينا أن ذلك من نهي الصلاة، وأن صلاته كانت نافعة له ناهية وإن لم ينته إلا بعد زمان.

وقوله: **﴿ولذكر الله أكبر﴾** [العنكبوت: ٤٥] يعني: مما سواه، وأفضل من كل شيء، قال قتادة: ليس أفضل من ذكر الله، والمعنى أن العبد إذا كان ذاكرا الله لم يجر عليه القلم بمعصية، لأنه إذا ذكر الله ارتدع

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٤٧/٩

عما يهم به من السوء، ولهذا قال الفراء، وابن قتيبة: ولذكر الله هو التسبيح والتهليل: يقول: هو أكبر وأحرى بأن ينهى عن الفحشاء والمنكر.

أي: من كان ذاكرا لله فيجب أن ينهاه عن الفحشاء والمنكر.

أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، نا محمد بن يعقوب، نا محمد بن إسحاق الضغاني، نا حسن بن موسى الأشيب، نا حماد، عن ثابت البناني، أن رجلا أعتق أربع رقاب، فقال آخره: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ثم دخل المسجد فأتى حبيب بن أوفى." (١)

"المسلمي، فقال: ما تقول في رجل أعتق أربع رقاب وأني أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإنها أفضل.

فنظروا فنيهة، فقالوا: ما نعلم شيئا أفضل من ذكر الله، وفي الآية قول آخر: وهو أن المعنى ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه.

قال مقاتل: إذا صليت لله فقد ذكرته فيذكرك الله بخير، وذكر الله إياك أفضل من ذكرك إياه.

أخبرنا أبو نعيم المهرجاني، أنا بشر بن أحمد بن بشر، أنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار، نا علي بن الجعد، نا فضيل بن مرزوق، عن عطية العوفي، عن أبي، في قوله: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] قال: أكبر من ذكر العبد لله.

٧١٤ - أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله الحافظ، أنا عبد الله بن محمد بن جعفر، نا أبو يحيى عبد الرحمن بن محمد الرازي، نا سهل بن عثمان، نا أبو الأحوص، عن عطاء بن السائب، عن عبد الله بن ربيعة، قال: قال ابن عباس: أرأيت قول الله، عز وجل: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ ، قال: قلت: ذكر الله بالقرآن حسن، وذكره بالصلاة حسن، وبالتسبيح والتكبير حسن، وأفضل من ذلك أن يذكر الرجل ربه عند المعصية فينحجز عنها، قال ابن عباس: لقد قلت قولا عجبا وما هو كما قلت، ولكن ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه

٧١٥ - أخبرنا محمد بن عبد العزيز المروزي، فيما أجاز لي روايته عنه، أنا محمد بن الحسين الحدادي، أنا محمد بن يحيى، نا إسحاق بن إبراهيم، أنا عبد الأعلى، عن داود بن أبي هند، عن محمد بن أبي موسى: إني كنت قاعدا عند ابن عباس فجاء رجل فسأله عن: ﴿ذكر الله أكبر﴾ ؛ فقال: الصلاة والصوم ذلك ذكر الله، فقال الرجل: إني تركت رجلا في رحلي يقول غير هذا، قال: ذكر الله العباد أكبر من ذكر

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٣/٤٢١

العباد إياه، فقال ابن عباس: صدق والله صاحبك

وقوله: ﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ [العنكبوت: ٤٥] قال عطاء: يريد لا يخفى على الله شيء.

قوله: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ [العنكبوت: ٤٦] ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ [العنكبوت: ٤٦] أي: بالقراءة والدعاء إلى الله بآياته، والتنبيه على حججه، ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ [العنكبوت: ٤٦] إلا من أبى أن يقر بالجزية ونصب الحرب، فجادلوا هؤلاء بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية، وقولوا لمن قبل الجزية منهم إذا أخبروكم بشيء مما في كتبهم: ﴿آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ [العنكبوت: ٤٦] .

﴿وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون ﴿٤٧﴾ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب." (١)

"﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ يعني: إن في الصلاة منهاة ومزدجرا عن معاصي الله تعالى فمن لم تنهه صلاته عن المنكر فليست صلاته بصلاة ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾ من كل شيء في الدنيا وأفضل." (٢)

"٤١ - ﴿العنكبوت:﴾ بوزن فعللوت (١)، كالعنزروت والعضرفوط، وتصغيره: عنيكب، و [جمعه] (٢): عناكب، والعنكبوت: دويبة تنسج نسجا طبيعيا، وتنصب الحبائل للذباب.

وإن كان بيته أوهن البيوت لمعان خمسة (٣): إما لكونه (٤) شيئا طبيعيا غير كسبي ليس فيه من (٥) أمارات الفطنة والذكاء (٢٥٧ و) شيء، [و] (٦) إما لخسة صورته كالهباء، وإما لخسة قيمته وقلة من فعته، فإنه لا يساوي شيئا، وإما لسوء (٧) اختيارها مواضع البناء، وسوء تهذبها في ذلك، وإما لكون بيته غير ظل ظليل ولا كن (٨) كنين، ولا حصن حصين.

٤٥ - ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر:﴾ كونها منافية لهما وجودها فإنها موقوفة على شرائط، فيها الإيمان المضاد للكفر، والعقد مضاد للكسر، والطهارة المضادة للجنابة المتصورة من الزنا واللواطة، والإنصات للكلام المتصور بهتانا (٩) وغيبة وشتما وجدالا، وترك الأكل المتصور حراما، والسترة المضادة

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٤٢٢/٣

(٢) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٨٣٤

للكشف، وترك الفعل المتصور قتالا. وفيما راعني عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزد صلاته عند الله إلا مقتا». (١٠) قيل لسلمان (١١): أي العمل أفضل؟ قال: **ذكر الله أكبر**. وعن ابن عباس قال:
ذكر الله عند طعامك ومنامك، فقيل له: أي فلانا يقول عني ذلك؟ قال: فأي شيء يقول؟ قال (١٢): قال الله تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ [البقرة:١٥٢]، **فلذكر الله أكبر** من ذكرنا إياه، قال: صدق. (١٣) عن عبد الله بن ربيعة (١٤)، قال: سأل من ابن عباس عن قول الله عز وجل: ﴿ولذكر الله؟﴾ فقلت: هو التسبيح والتهليل والتقديس، فقالوا: لو قلت شيئا عجيبا،

---

(١) ك وع وأ: فعللول. ينظر: الكتاب لسيبويه ٤/ ٢٩٢.
(٢) زيادة يقتضيها السياق. ينظر: الكتاب لسيبويه ٣/ ٤٤٤، وتاج العروس ١/ ٤٠١.
(٣) الأصل وع هنا زيادة كلمة: (لمعان).
(٤) ك: كونهم.
(٥) ساقطة من أ.
(٦) زيادة يقتضيها السياق.
(٧) أ: السوء.
(٨) أ: ولكن.
(٩) ك: هتانا.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣٤٠)، والطبراني في الكبير (١١٠٢٥)، والقضاعي في مسند الشهاب ١/ ٣٠٦ عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(١١) الأصل وع وك: لسليمان، وفي أ: لعثمان، وفي شعب الإيمان للبيهقي ١/ ٤٤٨ سلمان.
(١٢) ساقطة من ع.
(١٣) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٣٤٩).
(١٤) عبد الله بن ربيعة بن فرقد السلمي الكوفي، مختلف في صحبته. ينظر: تهذيب الكمال ١٤/ ٤٩٤، والإصابة ٤/ ٨٠.." (١)

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٢/٤٣٣

"﴿خلق الله السموات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين (٤٤) اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون (٤٥) ﴾

قوله عز وجل: ﴿خلق الله السموات والأرض بالحق﴾ أي: للحق وإظهار للحق، ﴿إن في ذلك﴾ في خلقها، ﴿لآية﴾ لدلالة ﴿للمؤمنين﴾ على قدرته وتوحيده.

﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب﴾ يعني القرآن، ﴿وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ الفحشاء: ما قبح من الأعمال، والمنكر: ما لا يعرف في الشرع. قال ابن مسعود، وابن عباس: في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله، فمن لم تأمره صلاته بالمعروف، ولم تنهه عن المنكر، لم يزدد بصلاته من الله إلا بعدا (١) .

وقال الحسن، وقتادة: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه (٢) . وروي عن أنس قال: كان فتى من الأنصار يصلي الصلوات الخمس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش إلا ركبه، فوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاله فقال: "إن صلاته تنهاه يوما"

---

(١) أثر ابن مسعود أخرجه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات، وأخرجه أحمد في الزهد. وأما أثر ابن عباس فأخرجه الطبري: ٢٠ / ١٥٥ والطبراني في الكبير من رواية العلاء بن المسيب عن ابن عباس موقوفا، ورواه الطبراني وابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق ليث بن أبي سليم عن عطاء عن ابن عباس مرفوعا. وليث بن أبي سليم ثقة ولكنه مدلس. قال ابن حجر: وفي الباب عن ابن عمر، أخرجه الدارقطني في "غرائب مالك" وفي إسناده محمد بن الحسن البصري. قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به، يروي عن مالك ما لا أصل له فالأثر ضعيف مرفوعا، صحيح موقوفا على ابن مسعود رضي الله عنه.

انظر: مجمع الزوائد: ٢ / ٢٥٨، الكافي الشاف ص (١٢٧-١٢٨) ، سلسلة الأحاديث الضعيفة: ٢ / ٤١٤-٤١٥ برقم (٩٨٥) ، الدر المنثور: ٦ / ٤٦٤، و٤٦٥، تفسير ابن كثير: ٣ / ٤١٥-٤١٦. هذا، ومن شأن الصلاة عندما يقيمها المسلم ويؤدي فرضها وحدودها كما ينبغي، ويتدبر فيها وفيما يتلوه من القرآن أن تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر؛ وذلك لما فيها من تلاوة القرآن المشتمل على الموعظة، والصلاة تشغل كل بدن المصلي، فإذا دخل في صلاته وخشع وأخبت لربه واذكر أنه واقف بين يديه وأنه مطلع عليه ويراه، صلحت لذلك نفسه وتذللت وخامرها ارتقاب الله تعالى وظهرت على جوارحه هيبتها، وإن حصل أو بدر منه شيء يخالف ذلك فصلاته لن تزيده بعدا عن الله ومن يصلي خير ممن لا يصلي،

انظر: تفسير القرطبي: ١٣ / ٣٤٨.
(٢) أخرجه الطبري عن الحسن موقوفا: ٢٠ / ١٥٥، ومن طريق أخرى مرفوعا مرسلا، وعن قتادة موقوفا من كلامه. قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف (١٢٨) : أخرجه عبد الرزاق والطبري والبيهقي في "الشعب" من مرسل الحسن. انظر: الدر المنثور: ٦ / ٤٦٦.." [1]

"فلم يلبث أن تاب وحسن حاله (١) . وقال ابن عون: معنى الآية أن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها (٢) .

وقيل: أراد بالصلاة القرآن، كما قال تعالى: "ولا تجهر بصلاتك" (الإسراء-١١٠) ، أي: بقراءتك، وأراد ٦٨/أأنه يقرأ القرآن في الصلاة، فالقرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر (٣) . أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي شريح، أخبرنا أبو القاسم البغوي، أخبرنا علي بن الجعد، أخبرنا قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: إن رجلا يقرأ القرآن الليل كله فإذا أصبح سرق، قال: "ستنهاه قراءته" (٤) .

وفي رواية قيل: يا رسول الله إن فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل، فقال: "إن صلاته لتردعه" (٥) . قوله عز وجل: **﴿ولذكر الله أكبر﴾** أي: ذكر الله أفضل الطاعات. أخبرنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن بشران ببغداد، أخبرنا أبو علي الحسين بن صفوان البردعي، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا،

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في "الكافي الشاف" ص (١٢٨) : لم أجده، وقال الولي العراقي: لم أقف عليه. (الفتح السماوي: ٢ / ٨٩٧) . وهذه العبارة إذا صدرت، وأمثالها، من أحد الحفاظ المعروفين ولم يتعقبه أحد من الحفاظ بعده، فهي كافية في الحكم على الحديث بالوضع. انظر مقدمة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة لكتاب "المصنوع في معرفة الحديث الموضوع" للقاري ص (٢٥-٢٧) .
(٢) نقل ابن كثير هذا القول عن حماد بن أبي سليمان: ٣ / ٤١٦، ونقل معناه مطولا عن ابن عون، وهو قول الكلبي وابن جريج كما في البحر المحيط: ٧ / ١٥٣ والمحرر الوجيز: ١٢ / ٢٢٦. ورد ابن عطية هذا القول فقال: وهذه عجمة، وأين هذا مما رواه أنس بن مالك (كما في التعليق السابق) .
(٣) أخرجه الطبري عن ابن عمر: ٢٠ / ١٥٤، ورجح القول الأول: أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر،

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٦/٢٤٤

فإن قال قائل: وكيف تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر إن لم يكن معنيا بها ما يتلى فيها؟.
قيل: تنهى من كان فيها، فتحول بينه وبين إتيان الفواحش، لأن شغله بها يقطعه عن الشغل بالمنكر، ولذلك قال ابن مسعود: من لم يطع صلاته لم يزدد من الله إلا بعدا، وذلك أن طاعته لها: إقامته إياها بحدودها، وفي طاعته لها مزدجر عن الفحشاء والمنكر.

(٤) رواه البزار من طريق زياد البكائي، وأبو يعلى من طريق أبي إسحاق الفزاري، كلاهما عن الأعمش عن أبي صالح عن جابر. قال البزار: اختلف فيه على الأعمش، فقيل: عنه أيضا عن أبي سفيان عن جابر. وقال الهيثمي: رجاله ثقات. انظر: الكافي الشاف ص (١٢٨) ، مجمع الزوائد: ٢ / ٢٥٨، الفتح السماوي ٢ / ٨٩٧-٨٩٨.

(٥) أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة: ٢ / ٤٤٧ بلفظ " ... سينهاه ما يقول"، والبزار، وإسحاق، وأبو يعلى كلهم من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة، قال الهيثمي: رجال الصحيح. انظر: الكافي الشاف ص (١٢٨) ، المجمع ٢ / ٢٥٨، الفتح السماوي: ٢ / ٨٩٧.." [١]

"فقال: "سيروا، هذا جمدان، سبق المفردون"، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: "الذاكرون الله كثيرا والذاكرات" (١) .

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أخبرنا خلاد بن أسلم، حدثنا النضر، أخبرنا شعبة، عن أبي إسحاق قال: سمعت الأغر قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده" (٢) . وقال قوم: معنى قوله: "**ولذكر الله أكبر**" أي: ذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه. ويروى ذلك عن ابن عباس (٣) ، وهو قول مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير (٤) ، ويروى ذلك مرفوعا عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم (٥) . وقال عطاء في قوله: "إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر**"، قال: **ولذكر الله أكبر** من أن تبقى معه معصية. ﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ قال عطاء: يريد لا يخفى عليه شيء.

(١) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله تعالى، برقم (١٦٧٦) : ٤ / ٢٠٦٢.

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٦/٢٤٥

(٢) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على قراءة القرآن، برقم (٢٧٠٠) : ٤ / ٢٠٧٤، والمصنف في شرح السنة: ٥ / ١٠-١١.

(٣) عزاه السيوطي: (٦ / ٤٦٦) للفريابي، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم -وصححه- والبيهقي في "شعب الإيمان". وهو أيضا قول ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم ورجح ابن عطية (١٢ / ٢٢٧-٢٢٨) أن المعنى: **ولذكر الله أكبر**، على الإطلاق، أي: هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر. فالجزء الذي منه في الصلاة يفعل ذلك، وكذلك يفعل في غير الصلاة، لأن الانتهاء لا يكون إلا من ذكر مراقب ...

(٤) انظر: الدر المنثور: ٦ / ٤٦٧.

(٥) عزاه السيوطي لابن السني، وابن مردويه، والديلمي ٦ / ٤٦٦، وما عزاه للديلمي مشعر بالضعف.." (١)

"[سورة العنكبوت (٢٩) : آية ٤٥]

اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون (٤٥)

الصلاة تكون لطفا في ترك المعاصي، فكأنها ناهية عنها. فإن قلت: كم من مصل يرتكب ولا تنهاه صلاته؟ قلت الصلاة التي هي الصلاة عند الله المستحق بها الثواب: أن يدخل فيها مقدما للتوبة النصوح، متقيا، لقوله تعالى إنما يتقبل الله من المتقين ويصليها خاشعا بالقلب والجوارح، فقد روى عن حاتم: كأن رجلي على الصراط والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت من فوقي، وأصلى بين الخوف والرجاء، ثم يحوطها بعد أن يصليها فلا يحبطها، فهي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر. وعن ابن عباس رضى الله عنهما: من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله إلا بعدا «١» . وعن الحسن رحمه الله: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، فليست صلاته بصلاة، وهي وبال عليه. وقيل: من كان مراعيا للصلاة جره ذلك إلى أن ينتهي عن السيئات يوما ما، فقد روى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانا يصلى بالنهار ويسرق بالليل، فقال «إن صلاته لتردعه» «٢» وروى أن فتى من الأنصار كان يصلى معه الصلوات، ولا يدع شيئا من الفواحش إلا ركبه، فوصف له فقال «إن صلاته ستنهاه» فلم يلبث أن تاب «٣» . وعلى كل حال إن المراعي للصلاة لا بد أن يكون أبعد من الفحشاء

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٢٤٧/٦

والمنكر ممن لا يراعيها. وأيضا فكم من مصلين تنهاهم الصلاة عن الفحشاء والمنكر، واللفظ لا يقتضى أن لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها، كما تقول: إن زيدا ينهى عن المنكر فليس غرضك أنه ينهى عن جميع المناكير، وإنما تريد أن هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم **ولذكر الله أكبر** يريد: وللصلاة أكبر من غيرها من الطاعات، وسماها

---

(١) . أخرجه الطبراني من رواية العلاء بن المسيب عمن ذكره عن ابن عباس بهذا موقوفا. ورواه الطبراني وابن أبى حاتم وابن مردويه من طريق ليث عن عطاء عن ابن عباس مرفوعا. وفي الباب عن ابن عمر. أخرجه الدارقطني في غرائب مالك. وفي إسناده محمد بن الحسن البصري. قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به. يروى عن مالك ما لا أصل له. وأخرجه أحمد في الزهد من قول ابن مسعود. وأخرجه عبد الرزاق والطبري والبيهقي في الشعب من مرسل الحسن

(٢) . أخرجه أحمد وإسحاق وابن حبان والبزار وأبو يعلى من طريق عيسى بن يونس ووكيع ومجاهد عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة. قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن فلانا يصلى بالليل فإذا أصبح سرق.

فقال إن صلاته ستنهاه ورواه البزار من طريق زياد البكائى وأبو يعلى من طريق أبى إسحاق الفزاري كلاهما عن الأعمش عن أبى صالح عن جابر. قال البزار: اختلف فيه عن الأعمش فقيل عنه أيضا عن أبى سفيان عن جابر

(٣) . لم أجده." (١)

"أي النوع كما تقول هذان من ضرب واحد وهذا ضريب هذا أي قرينه وشبهه، فكأن ضرب المثل هو أن يجعل للأمر الممثل ضريب، وباقي الآية بين. وقرأت فرقة «يدعون» بالياء من تحت، وقرأت فرقة «تدعون» بالتاء على المخاطبة، وقال جابر: قال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله إلا العالمون: «العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته وانتهى عن معصيته» .

قوله عز وجل:

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٤٤ الى ٤٥]

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣/٤٥٦

خلق الله السماوات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين (٤٤) اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون (٤٥)

نبه في ذكر خلق السماوات والأرض على أمر يوقع الذهن على صغر قدر الأوثان وكل معبود من دون الله، وقوله تعالى: بالحق أي بالواجب النير لا للعبث واللعب، بل ليدل على سلطانه ويثبت شرائعه ويضع الدلالات لأهلها ويعم بالمنافع إلى غير ذلك مما لا يحصى عدا، ثم أمر تعالى نبيه عليه السلام بالنفوذ لأمره وتلاوة القرآن الذي أوحي إليه، وإقامة الصلاة أي إدامتها والقيام بحدودها ثم أخبر حكما منه إن الصلاة تنهى صاحبها وممتثلها عن الفحشاء والمنكر.

قال الفقيه الإمام القاضي: وذلك عندي بأن المصلي إذا كان على الواجب من الخشوع والإخبات وتذكر الله تعالى وتوهم الوقوف بين يدي العظمة، وأن قلبه وإخلاصه مطلع عليه مرقوب صلحت لذلك نفسه وتذللت وخامرها ارتقاب الله تعالى فاطرد ذلك في أقواله وأعماله وانتهى عن الفحشاء والمنكر، ولم يكد يفتر من ذلك حتى تظله صلاة أخرى يرجع بها إلى أفضل حاله، فهذا معنى هذا الإخبار لأن صلاة المؤمن هكذا ينبغي أن تكون، وقد روي عن بعض السلف أنه كان إذا قام إلى الصلاة ارتعد واصفر لونه فكلم في ذلك فقال: إني أقف بين يدي الله تعالى وحق لي هذا مع ملوك الدنيا فكيف مع ملك الملوك.

قال الفقيه الإمام القاضي: فهذه صلاة تنهى ولا بد عن الفحشاء والمنكر، ومن كانت صلاته دائرة حول الإجزاء لا خشوع فيها ولا تذكر ولا فضائل فتلك تترك صاحبها من منزلته حيث كان، فإن كان على طريقة معاص تبعده من الله تركته الصلاة يتمادى على بعده وعلى هذا يخرج الحديث المروي عن ابن مسعود وابن عباس والحسن والأعمش قولهم «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعدا» . وقد روي أن الحسن أرسله عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك غير صحيح السند، سمعت أبي رضي الله عنه يقوله فإذا قررناه ونظرنا معناه فغير جائز أن نقول إن نفس صلاة العاصي تبعده من الله حتى كأنها معصية، وإنما يتخرج ذلك على أنها لا تؤثر في تقريبه من الله تعالى بل تتركه في حاله ومعاصيه من الفحشاء والمنكر تبعده، فلم تزده الصلاة إلا تقرير ذلك البعد الذي كان بسبيله، فكأنها بعدته حين لم تكف بعده عن الله تعالى، وقيل لابن مسعود إن فلانا كثير الصلاة، فقال: إنها لا تنفع إلا من أطاعها، وقرأ الربيع بن أنس «إن الصلاة تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر» ، وقال ابن عمر الصلاة هاهنا." (١)

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/ ٣١٩

"القرآن، وقال حماد بن أبي سليمان وابن جريج والكلبي: إن الصلاة تنهى ما دمت فيها.

قال الفقيه الإمام القاضي: وهذه عجمة وأنى هذا مما روى أنس بن مالك قال: كان فتى من الأنصار يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا يدع شيئا من الفواحش والسرقة إلا ركبه، فقيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال «إن صلاته ستنهاه» ، فلم يلبث أن تاب وصلحت حاله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألم أقل لكم» ؟ وقوله تعالى: **ولذكر الله أكبر** قال ابن عباس وأبو الدرداء وسلمان وابن مسعود وأبو قرة: معناه، ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه، وقيل معناه **ولذكر الله أكبر** مع المداومة من الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر، قال ابن زيد وقتادة معناه **ولذكر الله أكبر** من كل شيء، وقيل لسلمان أي الأعمال أفضل؟ فقال: أما تقرأ القرآن **ولذكر الله أكبر**. ومنه حديث الموطأ عن أبي الدرداء «ألا أخبركم بخير أعمالكم؟» الحديث، وقيل معناه ولذكر الله كبير كأنه يحض عليه في هذين التأويلين الأخيرين.

قال الفقيه الإمام القاضي: وعندي أن المعنى **ولذكر الله أكبر** على الإطلاق أي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر.

فالجزء الذي منه في الصلاة يفعل ذلك وكذلك يفعل في غير الصلاة لأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاكر مراقب، وثواب ذلك الذكر أن يذكره الله تعالى كما في الحديث «ومن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منه» ، والحركات التي في الصلاة لا تأثير لها في نهي، والذكر النافع هو مع العلم وإقبال القلب وتفرغه إلا من الله تعالى، وأما ما لا يتجاوز اللسان ففي رتبة أخرى، وذكر الله تعالى العبد هو إفاضة الهدى ونور العلم عليه، وذلك ثمرة لذكر العبد ربه، قال الله عز وجل فاذكروني أذكركم [البقرة: ١٥٢] ، وباقي الآية ضرب من التوعد والحث على المراقبة.

قوله عز وجل:

[سورة العنكبوت (٢٩) : آية ٤٦]

ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون (٤٦)

قرأ الجمهور «إلا» على الاستثناء، وقرأ ابن عباس «ألا» بفتح الهمزة وتخفيف اللام، واختلف المفسرون في المراد بهذه الآية، فقال ابن زيد: معناها «لا تجادلوا» من آمن بمحمد من أهل الكتاب فكأنه قال أهل الكتاب المؤمنين إلا بالتي هي أحسن أي الموافقة فيما حدثوكم به من أخبار أوائلهم وغير ذلك، وقوله

تعالى على هذا التأويل إلا الذين ظلموا يريد به من بقي على كفره منهم، كمن كفر وغدر من قريظة والنضير وغيرهم، والآية على هذا محكمة غير منسوخة، وقال مجاهد: المراد ب أهل الكتاب اليهود والنصارى الباقون على دينهم أمر الله تعالى المؤمنين ألا يجادلوهم إلا بالتي هي أحسن من الدعاء إلى الله تعالى والتنبيه على آياته، وأن يزال معهم عن طريق الإغلاظ والمخاشنة، وقوله على هذا التأويل إلا الذين ظلموا معناه ظلموكم وإلا فكلهم ظلمة على الإطلاق يراد بهم من لم يؤد جزية." (١)

"يخفى عليه ذلك والمعنى أنه يجازيهم على كفرهم. وتلك الأمثال يعني أمثال القرآن التي شبه بها أحوال الكفار، وقيل: إن «تلك» بمعنى «هذه» ، والعالمون الذين يعقلون عن الله عز وجل.

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٤٤ الى ٤٥]

خلق الله السماوات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين (٤٤) اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون (٤٥)

خلق الله السماوات والأرض بالحق أي: للحق، ولإظهار الحق.

قوله تعالى: إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر في المراد بالصلاة قولان:

أحدهما: أنها الصلاة المعروفة، قاله الأكثرون.

(١٠٩٢) وروى أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم يزدد من الله إلا بعدا» .

المرفوع واه ليس بشيء، أخرجه الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٤٢١ من حديث أنس. وفيه عمر بن شاكر وهو منكر الحديث. وله شاهد من حديث ابن عباس. أخرجه الطبراني ١١٠٢٥ والقضاعي في «الشهاب» ٥٠٩ وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٥١١ من طريق ليث عن طاوس عن ابن عباس مرفوعا. وإسناده ضعيف، ليث هو ابن أبي سليم. قال عنه الحافظ في «التقريب» : صدوق، اختلط أخيرا، ولم يتميز حديثه فترك. وبه أعله الهيثمي في «المجمع» ١/ ١٣٤. وله شاهد من حديث عمران بن حصين، أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٥١١ من طريق عمر بن أبي عثمان عن الحسن عن عمران به. وإسناده ضعيف جدا، وله علتان: عمر هذا لم أجد له ترجمة، والحسن لم يلق عمران، وهو

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/ ٣٢٠

مدلس، وقد عنعن. وله شاهد من حديث ابن مسعود، أخرجه الطبري ٢٧٧٨٤ والواحدي ٣/ ٤٢١ من طريق جويبر عن الضحاك عنه. وهذا إسناد ساقط، جويبر متروك، والضحاك لم يلق ابن مسعود. وورد من مرسل الحسن، أخرجه الطبري ٢٧٧٨٥ من طريق إسماعيل بن مسلم عنه. ومع إرساله إسماعيل هذا متروك. وأخرجه القضاعي ٥٠٨ من وجه آخر عن مقدام بن داود عن علي بن معبد عن هشيم عن يونس عن الحسن مرسلا. ورجاله ثقات سوى مقدام بن داود، فإنه ليس بثقة، قاله النسائي. ولعله توبع، فقد قال العراقي في «تخريج الإحياء» ١/ ١٤٣: أخرجه علي بن معبد في كتاب «الطاعة والمعصية» من حديث الحسن بإسناد صحيح. قلت: ومع ذلك مراسيل الحسن واهية لأنه يحدث عن كل أحد. كما هو مقرر في كتب التراجم. وقد خولف علي بن معبد فيه، فقد أخرجه الطبري ٢٧٧٨٦ عن يعقوب ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن. قوله، لم يرفعه. وهذا إسناد رجاله ثقات مشاهير.

وأخرجه الطبري ٢٧٧٨٧ من طريق بشر عن يزيد عن سعيد هو ابن أبي عروبة- عن قتادة والحسن قالا ... فذكره موقوفا عليهما. وهو الصحيح عن الحسن وغيره. وحديث ابن مسعود المتقدم، مع سقوط إسناده، هو معلول بالوقف، كذا أخرجه الطبري ٢٧٧٨٣ ورجاله ثقات. وحديث ابن عباس، معلول أيضا بالوقف، كذا أخرجه الطبري ٢٧٧٨١ لكن فيه من لم يسم. وقال الحافظ ابن كثير ٣/ ٥١٢: والأصح في هذا كله الموقوفات عن ابن مسعود وابن عباس والحسن وقتادة والأعمش وغيرهم. الخلاصة: المرفوع ضعيف ليس بشيء، والصحيح وقفه على من ذكر من الصحابة والتابعين، والله أعلم. والمتن مع ذلك منكر، فقد صح ما يخالفه، وهو ما أخرجه أحمد ٢/ ٤٤٧ والبزار ٧٢٠ وابن حبان ٢٥٦٠ من حديث أبي هريرة بسند صحيح «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق، فقال: إنه سينهاه ما تقول» . انظر «تفسير الشوكاني» ١٨٨٧ أو ١٨٨٨ و «أحكام القرآن» ١٧٣٣.." (١)

"والثاني: أن المراد بالصلاة: القرآن، قاله ابن عمر، ويدل على هذا قوله تعالى: ولا تجهر بصلاتك «١» وقد شرحنا معنى الفحشاء والمنكر فيما سبق «٢» .

وفي معنى هذه الآية للعلماء ثلاثة أقوال: أحدها: أن الإنسان إذا أدى الصلاة كما ينبغي وتدبر ما يتلو فيها، نهته عن الفحشاء والمنكر، هذا مقتضاها وموجبها. والثاني: أنها تنهاه ما دام فيها. والثالث: أن المعنى: ينبغي أن تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر.

قوله تعالى: **ولذكر الله أكبر** فيه أربعة أقوال:

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤٠٨/٣

(١٠٩٣) أحدها: ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه، رواه ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبه قال ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد في آخرين.
والثاني: ولذكر الله تعالى أفضل من كل شيء سواه، وهذا مذهب أبي الدرداء، وسلمان، وقتادة.
والثالث: ولذكر الله تعالى في الصلاة أكبر مما نهاك عنه من الفحشاء والمنكر، قاله عبد الله بن عون.
والرابع: ولذكر الله تعالى العبد- ما كان في صلاته- أكبر من ذكر العبد لله تعالى، قاله ابن قتيبة.

[سورة العنكبوت (٢٩) : آية ٤٦]
ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون (٤٦)
قوله تعالى: ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن في التي هي أحسن ثلاثة أقوال:
أحدها: أنها لا إله إلا الله، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنها الكف عنهم إذا بذلوا الجزية، فان أبوا قوتلوا، قاله مجاهد. والثالث: أنها القرآن والدعاء إلى الله تعالى بالآيات والحجج. قوله تعالى: إلا الذين ظلموا منهم وهم الذين نصبوا الحرب وأبوا أن يؤدوا الجزية، فجادلوا هؤلاء بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية وقولوا لمن أدى الجزية منهم إذا أخبركم بشيء مما في كتبهم آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم الآية.
(١٠٩٤) وقد روى أبو هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية

المرفوع ضعيف جدا، والصحيح موقوف. أخرجه ابن الديلمي في «زهر الفردوس» ٤/ ١٦٥ من طريق إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن موسى بن عقبة به عن ابن عمر. وإسناده ضعيف جدا، إسماعيل ضعفه غير واحد، وعنه مجاهيل، والصحيح موقوف على ابن عمر وابن عباس وغيرهما.
- وأثر ابن عباس، أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» ٢٢٥٦ وابن أبي شيبة ٣٥٦٤٠ والطبري ٢٧٧٩١ و ٢٧٧٩٢ و ٢٧٧٩٣ و ٢٧٧٩٤ و ٢٧٧٩٧ و ٢٧٧٩٩ من طرق متعددة عنه موقوفا، وهو الصحيح.
صحيح. أخرجه البخاري ٤٤٨٥ و ٧٣٦٢ و ٧٥٤٢ والنسائي في «التفسير» ٤٠٧ والبغوي ١٢٥ من حديث أبي هريرة. ويشهد له حديث أبي نملة. أخرجه عبد الرزاق ٢٠٠٥٩ وأحمد ٤/ ١٣٦ وأبو داود ٣٦٤٤ وابن حبان ٦٢٥٧ والطبراني ٢٢/ ٨٧٤ و ٨٧٥ كلهم من حديث أبي نملة الأنصاري، ورجاله رجال الشيخين، سوى نملة بن أبي نملة، وهو ثقة. فقد وثقه ابن حبان، وروى عنه جمع منهم الزهري وعاصم ويعقوب ابنا عمر بن قتادة، وضمرة بن سعيد، ومروان بن أبي سعيد، وعلى هذا تزول جهالته حيث

روى عنه أكثر من واحد، وقال عنه الحافظ في «التقريب» مقبول.

---

(١) الإسراء: ١١٠.

(٢) البقرة: ١٦٨- النحل: ٩٠. [.....]."[1]

"المشترك بين القسمين هو الحد الفاصل بين قوله: مالك يوم الدين وبين قوله: إياك نعبد وتقرير هذا الكلام أن حاجة العبد إما في طلب الدنيا وهو قسمان: إما دفع الضرر، أو جلب النفع، وإما في طلب الآخرة، وهو أيضا قسمان: دفع الضرر وهو الهرب من النار، وطلب الخير وهو طلب الجنة، فالمجموع أربعة، والقسم الخامس- وهو الأشرف- طلب خدمة الله وطاعته وعبوديته لما هو هو لا لأجل رغبة ولا لأجل رهبة، فإن شاهدت نور اسم الله لم تطلب من الله شيئا سوى الله، وإن طالعت نور الرب طلبت منه خيرات الجنة، وإن طالعت منه نور الرحمن طلبت منه خيرات هذه الدنيا، وإن طالعت نور الرحيم طلبت منه أن يعصمك عن مضار الآخرة، وإن طالعت نور مالك يوم الدين طلبت منه أن يصونك عن آفات هذه الدنيا وقبائح الأعمال فيها لئلا تقع في عذاب الآخرة. النكتة السابعة: يمكن أيضا تنزيل هذه الأسماء الخمسة على المراتب الخمس المذكورة في الذكر المشهور وهو قوله سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم- أما قولنا سبحان الله فهو فاتحة سورة واحدة وهي: سبحان الذي أسرى بعبده ليلا [الإسراء: ١] وأما قولنا الحمد لله فهو فاتحة خمس سور، وأما قولنا لا إله إلا الله فهو فاتحة سورة واحدة وهي قوله: الم، الله لا إله إلا هو [آل عمران: ١، ٢] وأما قولنا الله أكبر فهو مذكور في القرآن لا بالتصريح في موضعين مضافا إلى الذكر تارة وإلى الرضوان/ أخرى فقال: **ولذكر الله أكبر** [التوبة: ٧٢] وقال: ورضوان من الله أكبر [العنكبوت: ٤٥] وأما قولنا: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فهو غير مذكور في القرآن صريحا، لأنه من كنوز الجنة، والكنز يكون مخفيا ولا يكون ظاهرا، فالأسماء الخمسة المذكورة في سورة الفاتحة مباد لهذه الأذكار الخمسة، فقولنا: الله مبدأ لقولنا سبحان الله، وقولنا: رب مبدأ لقولنا الحمد لله، وقولنا الرحمن مبدأ لقولنا لا إله إلا الله، فإن قولنا: لا إله إلا الله إنما يليق بمن يحصل له كمال القدرة وكمال الرحمة، وذلك هو الرحمن، وقولنا: الرحمن مبدأ لقولنا الله أكبر ومعناه أنه أكبر من أن لا يرحم عباده الضعفاء، وقولنا: مالك يوم الدين مبدأ لقولنا لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لأن الملك والمالك هو الذي لا يقدر عبيده على أن يعملوا شيئا على خلاف

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤٠٩/٣

إرادته، والله أعلم.

الفصل الثامن في السبب المقتضي لاشتمال بسم الله الرحمن الرحيم على الأسماء الثلاثة
السبب في اشتمال البسملة على الأسماء الثلاثة:
وفيه وجوه: الأول: لا شك أنه تعالى يتجلى لعقول الخلق، إلا أن لذلك التجلي ثلاث مراتب: فإنه في أول الأمر يتجلى بأفعاله وآياته، وفي وسط الأمر يتجلى بصفاته، وفي آخر الأمر يتجلى بذاته، قيل إنه تعالى يتجلى لعامة عباده بأفعاله وآياته، قال: ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام [الشورى: ٣٢] وقال: إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات [آل عمران: ١٩٠] ثم يتجلى لأوليائه بصفاته، قال:." (١)

"وكتبنا له في الألواح نقل صاحب «الكشاف» عن بعضهم: أن موسى خر صعقا يوم عرفة. وأعطاه الله تعالى التوراة يوم النحر وذكروا في عدد الألواح وكفى جوهرها وطولها أنها كانت عشرة ألواح. وقيل: سبعة وقيل إنها كانت من زمردة جاء بها جبريل عليه السلام. وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء. وقال الحسن:
كانت من خشب نزلت من السماء. وقال وهب: كانت من صخرة صماء لينها الله لموسى عليه السلام وأما كيفية الكتابة فقال ابن جريج كتبها جبريل بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر النور.
واعلم أنه ليس في لفظ الآية ما يدل على كيفية تلك الألواح، وعلى كيفية تلك الكتابة فإن ثبت ذلك التفصيل بدليل منفصل قوي، وجب القول به وإلا وجب السكوت عنه وأما قوله: من كل شيء فلا شبهة فيه أنه ليس على العموم بل المراد من كل ما يحتاج إليه موسى وقومه في دينهم من الحلال والحرام والمحاسن والمقابح.
وأما قوله: موعظة وتفصيلا لكل شيء فهو كالبيان للجملة التي قدمها بقوله: من كل شيء وذلك لأنه تعالى قسمه إلى ضربين: أحدهما: موعظة والآخر تفصيلا لما يجب أن يعلم من الأحكام فيدخل في الموعظة كل ما ذكره الله تعالى من الأمور التي توجب الرغبة في الطاعة والنفرة عن المعصية وذلك بذكر الوعد والوعيد ولما قرر ذلك أولا أتبعه بشرح أقسام الأحكام وتفصيل الحلال والحرام فقال: وتفصيلا لكل شيء ولما شرح ذلك قال لموسى: فخذها بقوة أي بعزيمة قوية ونية صادقة ثم أمره الله تعالى أن يأمر قومه بأن

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٤٣/١

يأخذوا بأحسنها وظاهر ذلك أن بين التكليفين فرقا ليكون في هذا التفصيل فائدة ولذلك قال بعض المفسرين: إن التكليف كان على موسى عليه السلام أشد لأنه تعالى لم يرخص له ما رخص لغيره وقال بعضهم بل خصه من حيث كلفه البلاغ والأداء. وإن كان مشاركا لقومه فيما عداه وفي قوله: وأمر قومك يأخذوا بأحسنها.

سؤال: وهو أنه تعالى لما تعبد بكل ما في التوراة وجب كون الكل مأمورا به وظاهر قوله: يأخذوا بأحسنها يقتضي ان فيه ما لبس بأحسن وأنه لا يجوز لهم الأخذ به وذلك متناقض وذكر العلماء في الجواب عنه وجوها: الأول: أن تلك التكاليف منها ما هو حسن ومنها ما هو أحسن كالقصاص والعفو والانتصار والصبر، أي فمرهم أن يحملوا أنفسهم على الأخذ بما هو أدخل في الحسن وأكثر للثواب كقوله: واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم [الزمر: ٥٥] وقوله: الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه [الزمر: ١٨] .

فإن قالوا: فلما أمر الله تعالى بالأخذ بالأحسن فقد منع من الأخذ بذلك الحسن وذلك يقدح في كونه حسنا فنقول يحمل أمر الله تعالى بالأخذ بالأحسن على الندب حتى يزول هذا التناقض.

الوجه الثاني: في الجواب قال قطرب يأخذوا بأحسنها أي بحسنها وكلها حسن لقوله تعالى: **ولذكر الله أكبر** [العنكبوت: ٤٥] وقول الفرزدق:

بيتا دعائمه أعز وأطول الوجه الثالث: قال بعضهم: الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب والمباح وأحسن هذه الثلاثة الواجبات والمندوبات.." (١)

"يأكل منه وهو لا يعلم ما يفعله ولا يقدر على دفعه إن كان يعلمه فينفر طبعه منه كما ينفر إذا قال له إنه يوجب العذاب ويورث العقاب.

ثم قال تعالى: وما يعقلها إلا العالمون.

يعني حقيقتها وكون الأمر كذلك لا يعلمه إلا من حصل له العلم ببطلان ما سوى الله وفساد عبادة ما عداه، وفيه معنى حكمي وهو أن العلم الحدسي يعلمه العاقل والعلم الفكري الدقيق يعقله العالم، وذلك لأن العاقل إذا عرض عليه أمر ظاهر أدركه كما هو بكنهه لكون المدرك ظاهرا وكون المدرك عاقلا، ولا يحتاج إلى كونه عالما بأشياء قبله، وأما الدقيق فيحتاج إلى علم سابق فلا بد من عالم، ثم إنه قد يكون دقيقا في غاية الدقة فيدركه ولا يدركه بتمامه ويعقله إذا كان عالما. إذا علم هذا فقوله: وما يعقلها إلا العالمون يعني هو ضرب للناس أمثالا وحقيقتها وما فيها من الفوائد بأسرها فلا يدركها إلا العلماء.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٤/ ٣٦٠

ثم إنه تعالى لما أمر الخلق بالإيمان وأظهر الحق بالبرهان ولم يأت الكفار بما أمرهم به وقص عليهم قصصا فيها عبر، وأنذرهم على كفرهم بإهلاك من غبر، وبين ضعف دليلهم بالتمثيل، ولم يهتدوا بذلك إلى سواء السبيل، وحصل يأس الناس عنهم سلى المؤمنين بقوله:

[سورة العنكبوت (٢٩) : آية ٤٤]

خلق الله السماوات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين (٤٤)

يعني إن لم يؤمنوا هم لا يورث كفرهم شكا في صحة دينكم، ولا يؤثر شكهم في قوة يقينكم، فإن خلق الله السموات والأرض بالحق للمؤمنين بيان ظاهر، وبرهان باهر، وإن لم يؤمن به على وجه الأرض كافر، وفي الآية مسألة يتبين بها تفسير الآية، وهي أن الله تعالى كيف خص الآية في خلق السموات والأرض بالمؤمنين مع أن في خلقهما آية لكل عاقل كما قال الله تعالى: ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله [لقمان: ٢٥] وقال الله تعالى: إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار إلى أن قال لآيات لقوم يعقلون [البقرة: ١٦٤] فنقول خلق السموات والأرض آية لكل عاقل وخلقهما بالحق آية للمؤمنين فحسب، وبيانه من حيث النقل والعقل، أما النقل فقوله تعالى: ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون [الدخان: ٣٩] أخرج أكثر الناس عن العلم يكون خلقهما بالحق مع أنه أثبت علم الكل بأنه خلقهما حيث قال: ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله وأما العقل فهو أن العاقل أول ما ينظر إلى خلق السموات والأرض ويعلم أن لهما خالقا وهو الله ثم من يهديه الله لا يقطع النظر عنهما عند مجرد ذلك، بل يقول إنه خلقهما متقنا محكما وهو المراد بقوله بالحق، لأن ما لا يكون على وجه الإحكام يفسد ويبطل فيكون باطلا، وإذا علم أنه خلقهما متقنا يقول إنه قادر كامل حيث خلق وعالم علمه شامل حيث أتقن/ فيقول لا يعزب عن علمه أجزاء الموجودات في الأرض ولا في السموات ولا يعجز عن جمعها كما جمع أجزاء الكائنات والمبدعات، فيجوز بعث من في القبور وبعثة الرسول، ويعلم وحدانية الله لأنه لو كان أكثر من واحد لفسدتا ولبطلتا وهما بالحق موجودان فيحصل له الإيمان بتمامه، من خلق ما خلقه على أحسن نظامه، ثم إن الله تعالى لما سلى المؤمنين بهذه الآية سلى رسوله: بقوله تعالى:

[سورة العنكبوت (٢٩) : آية ٤٥]

اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون (٤٥)." [١]

"أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول

[المجادلة: ٢] فالمشرك الذي يقول الملائكة بنات الله وينسب إلى من لم يلد، ولا يجوز أن يكون له ولد، ولدا كيف لا يكون قوله منكرا؟ فالصلاة تنهى عن هذه الفحشاء، وهذا المنكر وذلك لأن العبد أول ما يشرع في الصلاة يقول الله أكبر، فبقوله الله ينفي التعطيل وبقوله أكبر ينفي التشريك لأن الشريك لا يكون أكبر من الشريك الآخر فيما فيه الاشتراك، فإذا قال بسم الله نفى التعطيل، وإذا قال الرحمن الرحيم نفى الإشراك، لأن الرحمن من يعطي الوجود بالخلق بالرحمة، والرحيم من/ يعطي البقاء بالرزق بالرحمة، فإذا قال الحمد لله رب العالمين، أثبت بقوله الحمد لله خلاف التعطيل وبقوله:

رب العالمين خلاف الإشراك، فإذا قال: إياك نعبد بتقديم إياك نفى التعطيل والإشراك وكذا بقوله:

وإياك نستعين فإذا قال: اهدنا الصراط نفى التعطيل لأن طالب الصراط له مقصد والمعطل لا مقصد له، وبقوله: المستقيم نفى الإشراك لأن المستقيم هو الأقرب والمشرك يعبد الأصنام حتى يعبد صورة صورها إله العالمين، ويظنون أنهم يشفعون لهم وعبادة الله من غير واسطة أقرب، وعلى هذا إلى آخر الصلاة يقول فيها أشهد أن لا إله إلا الله فينفي الإشراك والتعطيل، وهاهنا لطيفة وهي أن الصلاة أولها لفظة الله وآخرها لفظة الله في قوله: أشهد أن لا إله إلا الله ليعلم المصلي أنه من أول الصلاة إلى آخرها مع الله، فإن قال قائل فقد بقي من الصلاة قوله وأشهد أن محمدا رسول الله والصلاة على الرسول والتسليم، فنقول هذه الأشياء في آخرها دخلت لمعنى خارج عن ذات الصلاة، وذلك لأن الصلاة ذكر الله لا غير، لكن العبد إذا وصل بالصلاة إلى الله وحصل مع الله لا يقع في قلبه أنه استقل واستبد واستغنى عن الرسول، كمن تقرب من السلطان فيغتر بذلك ولا يلتفت إلى النواب والحجاب، فقال أنت في هذه المنزلة الرفيعة بهداية محمد صلى الله عليه وآله وسلم وغير مستغن عنه فقل مع ذكري محمد رسول الله، ثم إذا علمت أن هذا كله ببركة هدايته فاذكر إحسانه بالصلاة عليه، ثم إذا رجعت من معراجك وانتهيت إلى إخوانك فسلم عليهم وبلغهم سلامي كما هو ترتيب المسافرين، واعلم أن هيئة الصلاة هيئة فيها هيبة فإن أولها وقوف بين يدي الله كوقوف المملوك بين يدي السلطان، ثم إن آخرها جثو بين يدي الله كما يجثو بين يدي السلطان من أكرمه بالإجلاس، كأن العبد لما وقف وأثنى على الله أكرمه الله وأجلسه فجثا، وفي هذا الجثو لطيفة وهي

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٩/٢٥

أن من جثا في الدنيا بين يدي ربه هذا الجثو لا يكون له جثو في الآخرة، ولا يكون من الذين قال الله في حقهم ونذر الظالمين فيها جثيا [مريم: ٧٢] .

ثم قال تعالى: **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون.

لما ذكر أمرين وهما تلاوة الكتاب وإقامة الصلاة بين ما يوجب أن يكون الإتيان بهما على أبلغ وجوه التعظيم، فقال: **ولذكر الله أكبر** وأنتم إذا ذكرتم آباءكم بما فيهم من الصفات الحسنة تنبشوا لذلك وتذكروهم بملء أفواهكم وقلوبكم، لكن **ذكر الله أكبر**، فينبغي أن يكون على أبلغ وجوه التعظيم، وأما الصلاة فكذلك لأن الله يعلم ما تصنعون، وهذا أحسن صنعكم فينبغي أن يكون على وجه التعظيم، وفي قوله: **ولذكر الله أكبر** مع حذف بيان ما هو أكبر منه لطيفة وهي أن الله لم يقل أكبر من ذكر فلان لأن ما نسب إلى غيره بالكبر فله إليه نسبة، إذا لا يقال الجبل أكبر من خردلة، وإنما يقال هذا الجبل أكبر من ذلك الجبل فأسقط المنسوب كأنه قال ولذكر/ الله له الكبر لا لغيره، وهذا كما يقال في الصلاة الله أكبر أي له الكبر لا لغيره.

ثم قال تعالى:

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٤٦ الى ٤٧]

ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا و إلهكم واحد ونحن له مسلمون (٤٦) وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون (٤٧)." (١)

"ركعات» وقال آخرون: هي صلاة الضحى وقال آخرون صلى ثمان ركعات أربعة للشكر وأربعة الضحى وتسمية الصلاة بالتسبيح لما أنها لا تنفك عنه وفيه تنبيه: على أنه يجب تنزيه صلاتك عن أنواع النقائص في الأقوال والأفعال، واحتج/ أصحاب القول الأول بالأخبار الكثيرة الواردة في ذلك،

روت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة يكثر أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك، وقالت أيضا: كان الرسول يقول كثيرا في ركوعه سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي وعنها أيضا كان نبي الله في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء إلا قال سبحان الله وبحمده فقلت يا رسول الله إنك تكثر من قوله سبحان الله وبحمده قال: إني أمرت بها، وقرأ: إذا جاء نصر الله

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٦٢/٢٥

وعن ابن مسعود: «لما نزلت هذه السورة كان عليه السلام يكثر أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الغفور»

وروي أنه قال: «إني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة» .

المسألة الثالثة: الآية تدل على فضل التسبيح والتحميد حيث يجعل كافيا في أداء ما وجب عليه من شكر نعمة النصر والفتح، ولم لا يكون كذلك

وقوله: «الصوم لي»

من أعظم الفضائل للصوم فإنه أضافه إلى ذاته، ثم إنه جعل صدف الصلاة مساويا للصوم في هذا التشريف: وأن المساجد لله [الجن: ١٨] فهذا يدل على أن الصلاة أفضل من الصوم بكثير، ثم إن الصلاة صدف للأذكار ولذلك قال: **ولذكر الله أكبر** [العنكبوت: ٤٥] وكيف لا يكون كذلك، والثناء عليه مما مدحه معلوم عقلا وشرعا أما كيفية الصلاة فلا سبيل إليها إلا بالشرع ولذلك جعلت الصلاة كالمرصعة من التسبيح والتكبير. فإن قيل: عدم وجوب التسبيحات يقتضي أنها أقل درجة من سائر أعمال الصلاة. قلنا الجواب عنه من وجوه: أحدها: أن سائر أفعال الصلاة مما لا يميل القلب إليه فاحتيج فيها إلى الإيجاب أما التسبيح والتهليل فالعقل داع إليه والروح عاشق عليه فاكتفى بالحب الطبيعي ولذلك قال: والذين آمنوا أشد حبا [البقرة: ١٦٥] ، وثانيها: أن قوله: فسبح أمر والأمر المطلق للوجوب عند الفقهاء، ومن قال: الأمر المطلق للندب قال: إنه هاهنا للوجوب بقرينة أنه عطف عليه الاستغفار والاستغفار واجب ومن حق العطف التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه وثالثها: أنها لو وجبت لكان العقاب الحاصل بتركها أعظم إظهارا لمزيد تعظيمها فترك الإيجاب خوفا من هذا المحذور.

المسألة الرابعة: أما الحمد فقد تقدم تفسيره، وأما تفسير قوله: فسبح بحمد ربك فذكروا فيه وجوها:

أحدها: قال صاحب «الكشاف» أي قل: سبحان الله والحمد لله متعجبا مما أراك من عجيب إنعامه أي اجمع بينهما تقول: شربت الماء باللبن إذا جمعت بينهما خلطا وشربا وثانيها: إنك إذا حمدت الله فقد سبحته لأن التسبيح داخل في الحمد لأن الثناء عليه والشكر له لا بد وأن يتضمن تنزيهه عن النقائص لأنه لا يكون مستحقا للثناء إلا إذا كان منزها عن النقص ولذلك جعل مفتاح القرآن بالحمد لله وعند فتح مكة قال: الحمد لله الذي نصر عبده،

ولم يفتتح كلامه بالتسبيح فقوله: فسبح بحمد ربك معناه سبحه بواسطة أن تحمده أي سبحه بهذا الطريق وثالثها: / أن يكون حالا، ومعناه سبح حامدا كقولك: اخرج بسلاحك أي متسلحا ورابعها: يجوز أن يكون

معناه سبح مقدرا أن تحمد بعد التسبيح كأنه يقول: لا يتأتى لك الجمع لفظا فاجمعهما نية كما أنك يوم النحر تنوي الصلاة مقدرا أن تنحر بعدها، فيجتمع لك الثوابان في تلك الساعة كذا هاهنا وخامسها: أن تكون هذه الباء هي التي في قولك: فعلت هذا بفضل الله، أي سبحه بحمد الله وإرشاده وإنعامه، لا بحمد غيره." (١)

"فقال: «العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه» .

خلق الله السماوات والأرض بالحق محقا غير قاصد به باطلا، فإن المقصود بالذات من خلقها إفادة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما أشار إليه بقوله: إن في ذلك لآية للمؤمنين لأنهم المنتفعون به.

[سورة العنكبوت (٢٩) : آية ٤٥]

اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون (٤٥)

اتل ما أوحي إليك من الكتاب تقربا إلى الله تعالى بقراءته وتحفظا لألفاظه واستكشافا لمعانيه، فإن القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له أول ما قرع سمعه. وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر بأن تكون سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها وغيرها من حيث إنها تذكر الله وتورث النفس خشية منه.

روي أن فتى من الأنصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش إلا ارتكبه، فوصف له عليه السلام فقال: «إن صلاته ستنهاه» فلم يلبث أن تاب.

ولذكر الله أكبر وللصلاة أكبر من سائر الطاعات، وإنما عبر عنها به للتعليل بأن اشتمالها على ذكره هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات، أو ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته. والله يعلم ما تصنعون منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم به أحسن المجازاة.

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٤٦ الى ٤٧]

ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون (٤٦) وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٤٣/٣٢

ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون (٤٧)
ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا بالخصلة التي هي أحسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح، وقيل هو منسوخ بآية السيف إذ لا مجادلة أشد منه وجوابه أنه آخر الدواء، وقيل المراد به ذو العهد منهم. إلا الذين ظلموا منهم بالإفراط في الاعتداء والعناد أو بإثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة أو بنبذ العهد ومنع الجزية. وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم هو من المجادلة بالتي هي أحسن.
وعن النبي صلى الله عليه وسلم «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فإن قالوا باطلا لم تصدقوهم وإن قالوا حقا لم تكذبوهم» .
وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله.
وكذلك ومثل ذلك الإنزال. أنزلنا إليك الكتاب وحيا مصدقا لسائر الكتب الإلهية وهو تحقيق لقوله: فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به هم عبد الله بن سلام وأضرابه، أو من تقدم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب. ومن هؤلاء ومن العرب أو أهل مكة أو ممن في عهد الرسول من أهل الكتابين. من يؤمن به بالقرآن. وما يجحد بآياتنا مع ظهورها وقيام الحجة عليها. إلا الكافرون إلا المتوغلون في الكفر فإن جزمهم به يمنعهم عن التأمل فيما يفيد لهم صدقها لكونها معجزة بالإضافة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم كما أشار إليه بقوله:

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٤٨ الى ٤٩]
وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون (٤٨) بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون (٤٩)
وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك فإن ظهور هذا الكتاب الجامع لأنواع العلوم." (١)
"اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون (٤٥)
﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب﴾ تقربا إلى الله تعالى بقراءة كلامه ولتقف على ما أمر به ونهى عنه ﴿وأقم

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٩٦/٤

الصلاة﴾ أي دم على إقامة الصلاة ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء﴾ الفعلة القبيحة كالزنا مثلا ﴿والمنكر﴾ هو ما ينكره الشرع والعقل قيل من كان مراعيا للصلاة جره ذلك إلى أن ينتهي عن السيئات يوما ما فقد روى أنه قيل يوما لرسول الله صلى الله عليه وسلم." (١)

"إن فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال إن صلاته لتردعه وروى أن فتى من الأنصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش إلا ركبه فوصف له فقال إن صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وقال ابن عوف إن الصلاة تنهى إذا كنت فيها فأنت في معروف وطاعة وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر وعن الحسن من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه **﴿ولذكر الله أكبر﴾** أي الصلاة أكبر من غيرها من الطاعات وإنما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كأنه قال والصلاة أكبر لأنها ذكر الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته وقال ابن عطاء ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له لأن ذكره بلا علة وذكركم مشوب بالعلل والأماني ولأن ذكره لا يفنى وذكركم لا يبقى وقال سلمان **ذكر الله أكبر** من كل شيء وأفضل فقد قال عليه السلام ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والفضة وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله وسئل أي الأعمال أفضل قال أن تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله أو **ذكر الله أكبر** من أن تحويه أفهاكم وعقولكم أو **ذكر الله أكبر** من أن تلقى معه معصية أو **ذكر الله أكبر** في النهي عن الفحشاء والمنكر من غيره ﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ من الخير والطاعة فيثيبكم

العنكبوت (٤٩ - ٤٦)

أحسن الثواب." (٢)

"قال رب انصرني على القوم المفسدين أي بتحقيق قولي إن العذاب نازل بهم. قوله عز وجل ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى أي من الله بإسحاق ويعقوب قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية أي قوم لوط والقرية سدوم إن أهلها كانوا ظالمين قال يعني إبراهيم إشفاقا على لوط وليعلم حاله إن فيها لوطا قالوا أي قالت الملائكة نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين أي من الباقين في العذاب ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم أي ظنهم من الإنس فخاف عليهم ومعناه أنه جاءه ما ساءه وضاق

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٦٧٨/٢

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٦٧٩/٢

بهم ذرعا أي عجز عن تدبير أمرهم فحزن لذلك وقالوا لا تخف أي من قومك ولا تحزن علينا إنا منجوك وأهلك أي إنا مهلكوهم ومنجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا أي عذابا من السماء قيل هو الخسف والحصب بالحجارة بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها أي من قريات لوط آية بينة أي عبرة ظاهرة لقوم يعقلون يعني أفلا يتدبرون الآيات تدبر ذوي العقول قال ابن عباس الآية البينة آثار منازلهم الخربة وقيل هي الحجارة التي أهلكوا بها أبقاها الله حتى أدركها أوائل هذه الأمة. وقيل هي ظهور الماء الأسود على وجه الأرض. قوله تعالى وإلى مدين أي وأرسلنا إلى مدين ومدين اسم رجل وقيل اسم المدينة فعلى القول الأول يكون المعنى وأرسلنا إلى ذرية مدين وأولاده وعلى القول الثاني وأرسلنا إلى أهل مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر أي افعلوا فعل من يرجوا اليوم الآخر وقيل معناه اخشوا اليوم الآخر وخافوه ولا تعثوا في الأرض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة أي الزلزلة وذلك أن جبريل صاح فرجفت الأرض رجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين أي باركين على الركب ميتين وعادا وثمود أي وأهلكنا عادا وثمود وقد تبين لكم يا أهل مكة من مساكنهم أي منازلهم بالحجر واليمن وزين لهم الشيطان أعمالهم أي عبادتهم لغير الله فصدهم عن السبيل أي عن سبيل الحق وكانوا مستبصرين أي عقلاء ذوي بصائر. وقيل كانوا معجبين في دينهم وضلالتهم يحسبون أنهم على هدى وهم على باطل وضلالة والمعنى أنهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين وقارون وفرعون وهامان أي أهلكنا هؤلاء ولقد جاءهم موسى بالبينات أي بالدلالات الواضحات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين أي فائتين من عذابنا فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا وهم قوم لوط رموا بالحصباء وهي الحصى الصغار ومنهم من أخذته الصيحة يعني ثمود ومنهم من خسفنا به الأرض يعني قارون وأصحابه ومنهم من أغرقنا يعني قوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم أي بالهلاك ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أي بالإشراك. قوله تعالى:

[سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٤١ الى ٤٥]

مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون (٤١) إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم (٤٢) وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون (٤٣) خلق الله السماوات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين

(٤٤) اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون (٤٥)." [١]

"مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء يعني الأصنام يرجون نصرها ونفعها كمثل العنكبوت اتخذت بيتا لنفسها تأوي إليه وإن بيتها في غاية الضعف والوهن لا يدفع عنها حرا ولا بردا فكذلك الأوثان لا تملك لعابدها نفعا ولا ضرا. وقيل معنى هذا المثل أن المشرك الذي يعبد الأصنام بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله مثل العنكبوت تتخذ بيتا من نسجها بالإضافة إلى رجل بنى بيتا بآجر وجص أو نحته من صخر فكما أن أوهن البيوت إذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت فكذلك أضعف الأديان إذا استقريتها دينا دينا عبادة الأوثان لأنها لا تضر ولا تنفع وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت أشار إلى ضعفه فإن الريح إذا هبت عليه أو لمسه لامس فلا يبقى له عين ولا أثر فقد صح أن أوهن البيوت لبيت العنكبوت وقد تبين أن دينهم أوهن الأديان لو كانوا يعلمون أي أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن إن الله يعلم م! يدعون من دونه من شيء هذا توكيد للمثل وزيادة عليه يعني إن الذي يدعون من دونه ليس بشيء وهو العزيز الحكيم معناه كيف يجوز للعاقل أن يترك عبادة الله العزيز الحكيم القادر على كل شيء ويشتغل بعبادة من ليس بشيء أصلا وتلك الأمثال أي الأشباه يعني أمثال القرآن التي شبه بها أحوال الكفار من هذه الأمة بأحوال كفار الأمم السابقة نضربها أي نبينها للناس أي لكفار مكة وما يعقلها إلا العالمون يعني ما يعقل الأمثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله عز وجل. روى البغوي بإسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية. وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون قال: «العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه» خلق الله السماوات والأرض بالحق أي للحق وإظهار الحق إن في ذلك لآية أي دلالة للمؤمنين على قدرته وتوحيده.

وقوله تعالى اتل ما أوحي إليك من الكتاب يعني القرآن وأقم الصلاة فإن قلت: لم أمر بهذين الشيئين تلاوة الكتاب وإقامة الصلاة فقط؟ قلت لأن العبادة المختصة بالعبد ثلاثة: قلبية وهي الاعتقاد الحق ولسانية وهي الذكر الحسن وبدنية وهي العمل الصالح، لكن الاعتقاد لا يتكرر فإن اعتقد شيئا لا يمكنه أن يعتقده مرة أخرى بل ذلك يدوم مستمرا فبقي الذكر والعبادة البدنية وهما ممكنا التكرار فلذلك أمر بهما إن الصلاة تنهى عن الفحشاء أي ما قبح من الأعمال والمنكر أي ما لا يعرف في الشرع. قال ابن مسعود وابن عباس في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله، فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم تزده

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣/٣٨٠

صلاته من الله إلا بعدا. وقال الحسن وقتادة: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وقيل من داوم على الصلاة جره ذلك إلى ترك المعاصي والسيئات كما روي عن أنس قال: «كان فتى من الأنصار يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يدع من الفواحش شيئا إلا ركبه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن صلاته ستنهاه يوما فلم يلبث أن تاب وحسنت حاله» وقيل: معنى الآية أنه ما دام في صلاته فإنها تنهاه عن الفحشاء والمنكر ومنه قوله: «إن في الصلاة لشغلا» وقيل أراد بالصلاة القرآن وفيه ضعف لتقدم ذكر القرآن وعلى هذا يكون معناه أن القرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر كما روي عن جابر قال: قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «إن رجلا يقرأ القرآن الليل كله فإذا أصبح سرق قال ستنهاه قراءته». وفي رواية «أنه قيل يا رسول الله إن فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال إن صلاته لتردعه» وعلى كل حال فإن المراعي للصلاة لا بد وأن يكون أبعد عن الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها **ولذكر الله أكبر** أي أنه أفضل الطاعات. عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا أعداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله». أخرجه الترمذي وله." (١)

"عن أبي سعيد الخدري قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال الذاكرون الله كثيرا قالوا يا رسول الله والغازي في سبيل الله؟ فقال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب في سبيل الله دما لكان الذاكرون الله كثيرا أفضل منه درجة» (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات» يروي المفردون بتشديد الراء وتخفيفها والتشديد أتم يقال فرد الرجل بتشديد الراء إذا تفقه واعتزل الناس وحده مراعيا للأمر والنهي وقيل هم المتخلفون عن الناس بذكر الله لا يخلطون به غيره (خ) عن أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده». وروي «أن أعرابيا قال يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال أن تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله» وقال ابن عباس: معنى **ولذكر الله أكبر** ذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه ويروى ذلك مرفوعا عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عطاء **ولذكر الله أكبر** أي لن تبقى معه معصية والله يعلم

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣/٣٨١

ما تصنعون يعني لا يخفى عليه شيء من أمركم. قوله عز وجل:

[سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٤٦ الى ٥٣]

ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون (٤٦) وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون (٤٧) وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون (٤٨) بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون (٤٩) وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين (٥٠)
أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون (٥١) قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السماوات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون (٥٢) ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون (٥٣)
ولا تجادلوا أهل الكتاب أي ولا تخاصموهم إلا بالتي هي أحسن أي القرآن والدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حججه وأراد بهم من قبل الجزية منهم إلا الذين ظلموا منهم يعني أبوا أن يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فافجؤوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ومعنى الآية إلا الذين ظلموكم لأن جميعهم ظالم بالكفر وقيل هم أهل الحرب ومن لا عهد له. وقيل الآية منسوخة بآية السيف وقولوا أي للذين قبلوا الجزية إذا حدثوكم بشيء مما في كتبكم آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون (خ) عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا» الآية.
قوله عز وجل وكذلك أي كما أنزلنا إليهم الكتاب أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به يعني مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه ومن هؤلاء يعني أهل مكة من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون وذلك أن اليهود عرفوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي والقرآن حق فجحدوا والجحود إنما يكون بعد المعرفة وما كنت تتلوا يا محمد من قبله من كتاب معناه من كتب أي من قبل ما أنزلنا إليك الكتاب ولا." (١)

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣٨٢/٣

"وقيل: هو على بابه ولا تعثوا في الأرض يعني نقصهم المكيال والميزان
الرجفة هي الصيحة وقد تبين لكم من مساكنهم أي آثار مساكنهم باقية تدل على ما أصابهم وكانوا مستبصرين قيل: معناه لهم بصيرة في كفرهم وإعجاب به، وقيل: لهم بصيرة في الإيمان، ولكنهم كفروا عنادا، وقيل: معنى: مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر والاستدلال، ولكنهم لم يفعلوا وما كانوا سابقين أي لم يفوتونا فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا الحاصب الحجارة، والحاصب أيضا الريح الشديدة، ويحتمل عندي أنه أراد به المعنيين، لأن قوم سيدنا لوط أهلكوا بالحجارة، وعاد أهلكوا بالريح، وإن حملناه على المعنى الواحد نقص ذكر الآخر، وقد أجاز كثير من الناس استعمال اللفظ الواحد في معنيين كقوله: «إن الله وملائكته يصلون على النبي» ويقوي ذلك هنا لأن المقصود هنا ذكر عموم أخذ أصناف الكفار ومنهم من أخذته الصيحة يعني ثمود ومدين ومنهم من خسفنا به الأرض يعني قارون ومنهم من أغرقنا يعني قوم نوح وفرعون وقومه مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا شبه الله الكافرين في عبادتهم للأصنام بالعنكبوت في بنائها بيتا ضعيفا، فكان ما اعتمدت عليه العنكبوت في بيتها ليس بشيء، فكذلك ما اعتمدت عليه الكفار من آلهتهم ليس بشيء لأنهم لا ينفعون ولا يضرون أوهن البيوت أي أضعفها لو كانوا يعلمون أي لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء ما موصولة بمعنى الذي مفعولة للفعل الذي قبلها وقيل: هي نافية، والفعل معلق عنها والمعنى على هذا: لستم تدعون من دون الله شيئا له بال، فلا يصلح أن يسمى شيئا بالحق أي بالواجب لا على وجه العبث واللعب.
إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر إذا كان المصلي خاشعا في صلاته، متذكرا لعظمة من وقف بين يديه، حمله ذلك على التوبة من الفحشاء والمنكر فكأن الصلاة ناهية عن ذلك **ولذكر الله أكبر** قيل: فيه ثلاثة معان الأول أن المعنى أن الصلاة أكبر من." (١)

"غيرها من الطاعات، وسماها بذكر الله، لأن ذكر الله أعظم ما فيها، كأنه أشار بذلك إلى تعليل نهيها عن الفحشاء والمنكر، لأن ذكر الله فيها هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر:
الثاني أن ذكر الله على الدوام أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة، لأنها في بعض الأوقات دون بعض: الثالث أن **ذكر الله أكبر** أجرا من الصلاة ومن سائر الطاعات، كما ورد في الحديث ألا أنبئكم بخير أعمالكم قالوا: بلى قال: ذكر الله «١»
ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن أي لا تجادلوا كفار أهل الكتاب إذا اختلفتم معهم في الدين

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ١٢٦/٢

إلا بالتي هي أحسن، لا بضرب ولا قتال، وكان هذا قبل أن يفرض الجهاد، ثم نسخ بالسيف، ومعنى إلا الذين ظلموا: أي ظلموكم، وصرحوا بإذاية نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل:
معنى الآية لا تجادلوا من أسلم من أهل الكتاب فيما حدثوكم به من الأخبار إلا بالتي هي أحسن، ومعنى إلا الذين ظلموا على هذا من بقي منهم على كفره، والمعنى الأول أظهر وقولوا آمنا هذا وما بعده يقتضي مواعدة ومسالمة، وهي منسوخة بالسيف، ويقتضي أيضا الأعراض عن مكالمتهم، وفي الحديث: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، فإن كان باطلا لم تصدقوهم، وإن كان حقا لم تكذبوهم «٢» .
وكذلك أنزلنا إليك الكتاب أي كما أنزلنا الكتاب على من قبلك أنزلناه عليك فالذين آتيناهم الكتاب يعني عبد الله بن سلام وأمثاله، ممن أسلم من اليهود والنصارى ومن هؤلاء من يؤمن به أراد بالذين أوتوا الكتاب أهل التوراة والإنجيل، وأراد بقوله:
من هؤلاء من يؤمن به كفار قريش، وقيل: أراد بالذين أوتوا الكتاب المتقدمين من أهل التوراة والإنجيل، وأراد بهؤلاء المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم منهم كعبد الله بن سلام وما كنت تتلوا من قبله من كتاب هذا احتجاج على أن القرآن من عند الله، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يقرأ ولا يكتب، ثم جاء بالقرآن. فإن قيل: ما فائدة قوله بيمينك؟ فالجواب أن ذلك تأكيد للكلام، وتصوير للمعنى المراد إذا لارتاب المبطلون أي لو كنت تقرأ أو تكتب لتطرق الشك إلى الكفار، فكانوا يقولون: لعله تعلم هذا الكتاب أو قرأه، وقيل: وجه الاحتجاج أن أهل الكتاب كانوا يجدون في كتبهم أن النبي صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب، فلما جعله الله

---

(١) . رواه أحمد عن أبي الدرداء ج ٦ ص ٤٤٧.
(٢) . الحديث رواه أحمد عن أبي نملة الأنصاري ج ٤ ص ١٣٦ وأوله: إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم.." (١)
"سورة العنكبوت

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ١ الى ٦٩]

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ١٢٧/٢

بسم الله الرحمن الرحيم
الم (١) أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون (٢) ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين (٣) أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون (٤) من كان يرجوا لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم (٥) ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين (٦) والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون (٧) ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون (٨) والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين (٩)
ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين (١٠) وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين (١١) وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون (١٢) وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون (١٣) ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون (١٤)
فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين (١٥) وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (١٦) إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون (١٧) وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين (١٨) أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير (١٩)
قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير (٢٠) يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون (٢١) وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير (٢٢) والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم (٢٣) فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون (٢٤)
وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين (٢٥) فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز

الحكيم (٢٦) ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين (٢٧) ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين (٢٨) أإنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين (٢٩)

قال رب انصرني على القوم المفسدين (٣٠) ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين (٣١) قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين (٣٢) ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين (٣٣) إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون (٣٤)

ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون (٣٥) وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٣٦) فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين (٣٧) وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين (٣٨) وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين (٣٩)

فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٤٠) مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون (٤١) إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم (٤٢) وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون (٤٣) خلق الله السماوات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين (٤٤)

اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون (٤٥) ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون (٤٦) وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون (٤٧) وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون (٤٨) بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون (٤٩)

وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين (٥٠) أولم يكفهم أنا أنزلنا

عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون (٥١) قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السماوات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون (٥٢) ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون (٥٣) يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين (٥٤)

يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون (٥٥) يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون (٥٦) كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون (٥٧) والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين (٥٨) الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون (٥٩)

وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم (٦٠) ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون (٦١) الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم (٦٢) ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون (٦٣) وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون (٦٤)

فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون (٦٥) ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون (٦٦) أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون (٦٧) ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين (٦٨) والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين (٦٩)." [١]

"على وجه الأرض، قاله مجاهد وقيل: أنجز ما صنع بهم. ولقوم: متعلق بتركنا، أو بينة.

وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين، فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين، وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين، وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين، فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٣٣/٨

كانوا يعلمون، إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم، وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون، خلق الله السماوات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين، اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون.

وإلى مدين: أي وإلى مدين أرسلنا، أو بعثنا، مما يتعدى بإلى. أمرهم بعبادة الله، والإيمان بالبعث واليوم الآخر. والأمر بالرجاء، أمر بفعل ما يترتب الرجاء عليه، أقام المسبب مقام السبب. والمعنى: وافعلوا ما ترجون به الثواب من الله، أو يكون أمرا بالرجاء على تقدير تحصيل شرطه، وهو الإيمان بالله. وقال أبو عبيدة: وارجوا: خافوا جزاء اليوم الآخر من انتقام الله منكم إن لم تعبدوه. وتضمن الأمر بالعبادة والرجاء أنه إن لم يفعلوا ذلك، وقع بهم العذاب كذلك جاء: فكذبوه، وجاءت ثمرة التكذيب، وهي:

فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين، وتقدم تفسير مثل هذه الجمل. وانتصب وعادا وثمود بإضمار أهلكنا، لدلالة فأخذتهم الرجفة عليه. وقيل: بالعطف على الضمير في فأخذتهم، وأبعد الكسائي في عطفه على الذين من قوله: ولقد فتنا الذين من قبلهم. وقرأ: ثمود، بغير تنوين حمزة، وشيبة، والحسن، وحفص، وباقي السبعة:

بالتنوين. وقرأ ابن وثاب: وعاد وثمود، بالخفض فيهما، والتنوين عطفا على مدين، أي وأرسلنا إلى عاد وثمود. وقد تبين لكم: أي ذلك، أي ما وصف لكم من إهلاكهم من جهة مساكنهم، إذا نظرتم إليها عند مروركم لها، وكان أهل مكة يمرون عليها في أسفارهم. وقرأ الأعمش: مساكنهم، بالرفع من غير من، فيكون فاعلا بتبين.." (١)

"وكان جهلة قريش يقولون: إن رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت، ويضحكون من ذلك، وما علموا أن الأمثال والتشبيهات طرق إلى المعاني المحتجبة، فتبرزها وتصورها للفهم، كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد.

والإشارة بقوله: وتلك الأمثال إلى هذا المثل، وما تقدم من الأمثال في السور.

وعن جابر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، تلا هذه الآية فقال: «العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه» .

خلق الله السماوات والأرض: فيه تنبيه على صغر قدر الأوثان التي عبدوها. ومعنى بالحق: بالواجب الثابت، لا بالعبث واللعب، إذ جعلها مساكن عباده، وعبرة ودلائل على عظيم قدرته وباهر حكمته. والظاهر أن

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٥٦/٨

الصلاة هي المعهودة، والمعنى: من شأنها أنها إذا أديت على ما يجب من فروضها وسننها والخشوع فيها، والتدبر لما يتلو فيها، وتقدير المثول بين يدي الله تعالى، أن تنهى عن الفحشاء والمنكر. وقال ابن عباس، والكلبي، وابن جريج، وحماد بن أبي سليمان: تنهى ما دام المصلي فيها. وقال ابن عمر:
الصلاة هنا القرآن. وقال ابن بحر: الصلاة: الدعاء، أي أقم الدعاء إلى أمر الله، وأما من تراه من المصلين يتعاطى المعاصي، فإن صلاته تلك ليست بالوصف الذي تقدم.
وفي الحديث أن فتى من الأنصار كان يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يدع شيئا من الفواحش والسرقة إلا ارتكبه، فقيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «إن صلاتها تنهاه» . فلم يلبث أن تاب وصلحت حاله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألم أقل لكم؟»
ولا يدل اللفظ على أن كل صلاة تنهى، بل المعنى، أنه يوجد ذلك فيها، ولا يكون على العموم. كما تقول: فلان يأمر بالمعروف، أي من شأنه ذلك، ولا يلزم منه أن كل معروف يأمر به. والظاهر أن أكبر أفعل تفضيل. فقال عبد الله، وسلمان، وأبو الدرداء، وابن عباس، وأبو قرة: معناه ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه. وقال قتادة، وابن زيد: أكبر من كل شيء وقيل:
ولذكر الله في الصلاة أكبر منه خارج الصلاة، أي أكبر ثوابا وقيل: أكبر من سائر أركان الصلاة وقيل: ولذكر الله نهيه أكبر من نهي الصلاة وقيل: أكبر من كل العبادة. وقال ابن عطية: وعندي أن المعنى: **ولذكر الله أكبر** على الإطلاق، أي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر، والجزء الذي منه في الصلاة ينهى، كما ينهى في غير الصلاة، لأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاكر الله مراقبه، وثواب ذلك الذاكر أن يذكره الله في ملأ خير من ملائه، والحركات التي في الصلاة لا تأثير لها في النهي، والذكر النافع هو مع العلم وإقبال القلب." (١)

"الإحسان إلى المخلوقين بالنفع المتعدي إليهم، وأولى الناس بذلك القرابات والأهلون والمماليك، ثم الأجانب، فكل من النفقات الواجبة والزكاة المفروضة داخل في قوله تعالى: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ ولهذا ثبت في الصحيحين عن ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت" (١) . والأحاديث في هذا كثيرة.
وأصل الصلاة في كلام العرب الدعاء، قال الأعشى:

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٥٩/٨

لها حارس لا يبرح الدهر بيتها ... وإن ذبحت صلى عليها وزمزما (٢)

وقال أيضا (٣) وقابلها الريح في دنها ... وصلى على دنها وارتسم (٤)

أنشدهما ابن جرير مستشهدا على ذلك.

وقال الآخر -وهو الأعشى أيضا-:

تقول بنتي وقد قربت مرتحلا ... يا رب جنب أبي الأوصاب والوجعا ...

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي ... نوما فإن لجنب المرء مضطجعا ...

يقول: عليك من الدعاء مثل الذي دعيته لي. وهذا ظاهر، ثم استعملت الصلاة في الشرع في ذات الركوع والسجود والأفعال المخصوصة في الأوقات المخصوصة، بشروطها المعروفة، وصفاتها، وأنواعها [المشروعة] (٥) المشهورة.

وقال ابن جرير: وأرى أن الصلاة المفروضة سميت صلاة؛ لأن المصلي يتعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله بعمله، مع ما يسأل ربه من (٦) حاجته (٧) .

[وقيل: هي مشتقة من الصلوين إذا تحركا في الصلاة عند (٨) الركوع، وهما عرقان يمتدان من الظهر حتى يكتنفا (٩) عجب الذنب، ومنه سمي المصلي؛ وهو الثاني للسابق في حلبة الخيل، وفيه نظر، وقيل: هي مشتقة من الصلى، وهو الملازمة للشيء من قوله: ﴿لا يصلاها﴾ أي: يلزمها ويدوم فيها ﴿إلا الأشقى﴾ [الليل: ١٥] وقيل: مشتقة من تصلية الخشبة في النار لتقوم، كما أن المصلي يقوم عوجه بالصلاة: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر**﴾ [العنكبوت: ٤٥] واشتقاقها من الدعاء أصح وأشهر، والله أعلم] (١٠) .

وأما الزكاة فسيأتي الكلام عليها في موضعه، إن شاء الله.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٨) وصحيح مسلم برقم (١٦) .

(٢) البيت في تفسير الطبري (١/٢٤٢) .

(٣) في ب: "الآخر".

(٤) البيت في تفسير الطبري (١/٢٤٢) .

(٥) زيادة من ط.

(٦) في جـ، ط، ب، أ، و: "فيها".

(٧) في أ، و: "حاجاته".

(٨) في أ: "في".

(٩) في أ: "يكشفا".

(١٠) زيادة من جـ، ط، ب، أ، و.." [١]

"[قال] (١) وروي عن الحسن البصري نحو قول عمر.

وقال ابن المبارك عن ابن لهيعة عن مالك بن دينار، عن سعيد بن جبير، قال: الصبر اعتراف العبد لله بما أصاب فيه، واحتسابه عند الله ورجاء ثوابه، وقد يجزع الرجل وهو يتجلد، لا يرى (٢) منه إلا الصبر.

وقال أبو العالية في قوله: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ على مرضاة الله، واعلموا أنها من طاعة الله.

وأما قوله: ﴿والصلاة﴾ فإن الصلاة من أكبر العون على الثبات في الأمر، كما قال تعالى: ﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر**﴾ الآية [العنكبوت: ٤٥].

وقال الإمام أحمد: حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عن عكرمة بن عمار، عن محمد بن عبد الله الدؤلي، قال: قال عبد العزيز أخو حذيفة، قال حذيفة، يعني ابن اليمان: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى. ورواه أبو داود [عن محمد بن عيسى عن يحيى بن زكريا عن عكرمة بن عمار كما سيأتي (٣)] (٤).

وقد رواه ابن جرير، من حديث ابن جريج، عن عكرمة بن عمار، عن محمد بن عبيد بن أبي قدامة، عن عبد العزيز بن اليمان، عن حذيفة، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة (٥).

[ورواه بعضهم عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة؛ ويقال: أخي حذيفة مرسلا عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ وقال محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة: حدثنا سهل بن عثمان أبو مسعود (٦) العسكري، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة قال: قال عكرمة بن عمار: قال محمد بن عبد الله الدؤلي: قال عبد العزيز: قال حذيفة: رجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب وهو مشتمل في شملة يصلي، وكان إذا حزبه أمر صلى (٧). وحدثنا عبيد الله بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق سمع حارثة بن مضرب سمع عليا يقول: لقد رأيتنا ليلة بدر وما فينا إلا نائم غير رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١/١٦٩

ويدعو حتى أصبح (٨)] (٩) .

(١) زيادة من جـ، ط، ب.

(٢) في جـ: "فلا يرى".

(٣) المسند (٣٨٨/٥) وسنن أبي داود برقم (١٣١٩) .

(٤) زيادة من جـ، ط، أ، و.

(٥) المسند (٢٦/٥) .

(٦) في ط: "ابن مسعود"، والصواب ما أثبتناه.

(٧) تعظيم قدر الصلاة برقم (٢١٢) .

(٨) تعظيم قدر الصلاة برقم (٢١٣) .

(٩) زيادة من جـ، ط، ب، أ، و.." [١]

"﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ .

وقال (١) ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن، حدثنا أبي، حدثنا ابن سنان، عن عمرو بن مرة قال: ما مررت بآية من كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنني، لأني سمعت الله تعالى يقول: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ .

﴿خلق الله السموات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين (٤٤) اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون (٤٥) ﴾ .

يقول تعالى [مخبرا] (٢) عن قدرته العظيمة: أنه خلق السموات والأرض بالحق، يعني: لا على وجه العبث واللعب، ﴿لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ [طه: ١٥] ، ﴿ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾ [النجم: ٣١] .

وقوله: ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ أي: لدلالة واضحة على أنه تعالى المتفرد بالخلق والتدبير والإلهية.

ثم قال تعالى آمرا رسوله والمؤمنين بتلاوة القرآن، وهو قراءته وإبلاغه للناس: ﴿وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر**﴾ يعني: أن الصلاة تشتمل على شيئين: على ترك الفواحش والمنكرات، أي: إن مواظبتها تحمل على ترك ذلك. وقد جاء في الحديث من رواية عمران، وابن عباس

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢٥٢/١

مرفوعا: "من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم تزده من الله إلا بعدا" (٣) .

[ذكر الآثار الواردة في ذلك] (٤) :

قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن هارون المخرمي الفلاس، حدثنا عبد الرحمن بن نافع أبو زياد، حدثنا عمر بن أبي عثمان، حدثنا الحسن، عن عمران بن حصين قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ قال: "من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، فلا صلاة له" (٥) .

(١) في ت: "رواه".

(٢) زيادة من ف، أ.

(٣) أما حديث عمران بن حصين، فقد أخرجه ابن أبي حاتم -كما سيأتي - من طريق عمر بن أبي عثمان عن الحسن عن عمران به، والحسن لم يسمع من عمران بن حصين. وأما حديث ابن عباس، فقد رواه الطبراني في المعجم الكبير (٥٤/١١) من طريق ليث عن طاوس عن ابن عباس به.

(٤) زيادة من ف، أ.

(٥) وهذا الحديث فيه علتان ذكرهما الشيخ ناصر الدين الألباني في الضعيفة وهما:

١- الانقطاع بين الحسن - وهو البصري - وعمران بن حصين، فإنهم اختلفوا في سماعه منه فإنه ثبت، فعلته عنعنته الحسن فإنه مدلس معروف بذلك.

٢- جهالة عمر بن أبي عثمان، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١٢٣/١/٣) وقال: "سمع طاوسا قوله، روى عنه يحيى بن سعيد".." (١)

"وحدثنا محمد بن موسى الحرشي (١) حدثنا زياد بن عبد الله، عن الأعمش عن أبي صالح، عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه -ولم يشك (٢) -ثم قال: وهذا الحديث قد رواه غير واحد عن الأعمش واختلفوا في إسناده، فرواه غير واحد عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أو غيره، وقال قيس عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، وقال جرير وزياد: عن عبد الله، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن جابر.

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش قال: أنبأنا أبو صالح (٣) عن أبي هريرة قال: جاء رجل

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢٨٠/٦

إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق؟ فقال: "إنه سينهاه ما يقول ". (٤) (٥)

وتشتمل الصلاة أيضا على ذكر الله تعالى، وهو المطلوب الأكبر؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ أي: أعظم من الأول، ﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ أي: يعلم جميع أقوالكم وأعمالكم.

وقال أبو العالية في قوله: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ ، قال: إن الصلاة فيها ثلاث خصال (٦) فكل صلاة لا يكون فيها شيء من هذه الخلال فليست بصلاة: الإخلاص، والخشية، وذكر الله. فالإخلاص يأمره بالمعروف، والخشية تنهاه عن المنكر، وذكر القرآن يأمره وينهاه.

وقال ابن عون الأنصاري: إذا كنت في صلاة فأنت في معروف، وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر، والذي أنت فيه من ذكر الله أكبر.

وقال حماد بن أبي سليمان: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ يعني: ما دمت فيها.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ ، يقول: ولذكر الله لعباده أكبر، إذا ذكروه من ذكرهم إياه.

وكذا روى غير واحد عن ابن عباس. وبه قال مجاهد، وغيره.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد الأحمر، عن داود بن أبي هند، عن رجل، عن ابن عباس: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ قال: ذكر الله عند طعامك وعند منامك. قلت: فإن صاحبا لي في المنزل يقول غير الذي تقول: قال: وأي شيء يقول؟ قلت: قال: يقول الله: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ [البقرة: ١٥٢] ، فلذكر الله إيانا أكبر من ذكرنا إياه. قال: صدق.

قال: وحدثنا أبي، حدثنا النفيلي، حدثنا إسماعيل، عن خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس

---

(١) في ف، أ: "الجرشي".

(٢) مسند البزار برقم (٧٢٢) "كشف الأستار".

(٣) في هـ، ت، ف: "أبو صالح أخبرنا" والمثبت من المسند.

(٤) في ف: "ستنهاه ما تقول"

(٥) المسند (٢/٤٤٧) ورواه البزار في مسنده برقم (٧٢٠) "كشف الأستار". من طريق الأعمش به، وقال

الهيثمي في المجمع (٢/٢٥٨) "رجاله رجال الصحيح".

(٦) في أ: "خلال".." (١)

"في قوله: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ قال: لها وجهان، قال: ذكر الله عندما حرمه، قال: وذكر الله إياكم أعظم من ذكركم إياه.

وقال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هشيم، أخبرنا عطاء بن السائب، عن عبد الله بن ربيعة قال: قال لي ابن عباس: هل تدري ما قوله تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ ؟ قال: قلت: نعم. قال: فما هو؟ قلت: التسبيح والتحميد والتكبير في الصلاة، وقراءة القرآن، ونحو ذلك. قال: لقد قلت قولا عجبا، وما هو كذلك، ولكنه إنما يقول: ذكر الله إياكم عندما أمر به أو نهى عنه إذا ذكرتموه، أكبر من ذكركم إياه (١) . وقد روي هذا من غير وجه عن ابن عباس. وروي أيضا عن ابن مسعود، وأبي الدرداء، وسلمان الفارسي، وغيرهم. واختاره ابن جرير.

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/٩٩) .." (٢)

"والمنكر فصلاته وبال عليه، وروي عن أنس بن مالك قال: «كان فتى من الأنصار يصلي الصلوات مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم ثم (لا) يدع شيئا من الفواحش إلا ركبه فوصف لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - حاله فقال:» إن صلاته تهاه يوما «فلم يلبث أن تاب وحسن حاله»

، وقال ابن عون: معنى الآية: إن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء وةالمنكر ما دام فيها، وقيل: المراد بالصلاة القرآن كما قال: ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت به﴾ [الإسراء: ١١٠] ، أي بقراءتك، وأراد أنه يقرأ القرآن في الصلاة، فالقرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر.

قوله: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ أي ذكر الله أفضل الصناعات، قال عليه (الصلاة و) السلام: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والفضة وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم» قالوا: ماذا يا رسول الله؟ قال: ذكر الله وسئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أيذ العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: الذاكرون الله كثيرا، قالوا يا رسول الله: ومن الغازي في سبيل الله، فقال: لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر أو يختضب دما لكان الذاكرون الله كثيرا

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٦/٢٨٢

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٦/٢٨٣

أفضل منه «وروي أبو هريرة قال:» كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يسير في طرق مكة مر على جبل يقال له: حمدان، فقال: سيروا هذا حمدان. سبق المفردون، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات «

قيل: معنى قوله: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ أي ذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه." (١)

"روي ذلك عن عبد الله، وهو قول مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ويروى مرفوعا عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقال عطاء في قوله: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر**﴾ من أن يبقى معه معصية ﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ قال عطاء: لا يخفى لعيه شيء.." (٢)

"و «أحسن» يجوز أن تكون للتفضيل على بابها، وأن لا تكون بل بمعنى «حسنة» .

كقول الفرزدق: [الكامل]

٢٥٧٢ – إن الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتا دعائمه أعز وأطول

أي: عزيزة طويلة.

فإن قيل: إنه تعالى لما تعهد بكل ما في التوراة، وجب أن يكون الكل حسنا.

وقوله: ﴿يأخذوا بأحسنها

﴾ يقتضي أن يكون فيه ما ليس بأحسن، وأنه لا يجوز لهم الأخذ به وهو متناقض.

وأجابوا بوجوه: منها: أن تلك التكاليف منها ما هو حسن، ومنها ما هو أحسن كالقصاص والعفو، والانتصار، والصبر، أي: فمرهم أن يأخذوا بالأفضل فإنه أكثر ثوابا، لقوله: ﴿واتبعوا أحسن مآ أنزل إليكم من ربكم﴾ [الزمر: ٥٥] وقوله: ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ [الزمر: ١٨] .

قالوا: فيحمل الأخذ بالأحسن على الندب.

ومنها: قال قطرب:

﴿يأخذوا بأحسنها﴾ أي: بحسنها، وكلها حسن؛ كقوله تعالى: **﴿ولذكر الله أكبر﴾** [العنكبوت: ٤٥] وأنشد بيت الفرزدق المتقدم. ومنها: أن الحسن يدخل تحته الواجب، والمندوب، والمباح وأحسن هذه

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٦٠/١٥

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٦١/١٥

الثلاثة: الواجب، والمندوب.
قوله: ﴿سأوريكم دار الفاسقين﴾ جوزوا في الرؤية هنا أن تكون بصرية، وهو الظاهر فتتعدى لاثنين، أحدهما: ضمير المخاطبين، والثاني: دار.
والثاني: أنها قلبية، وهو منقول عن ابن زيد وغيره، والمعنى: سأعلمكم سير الأولين وما حل بهم من النكال: وقيل: «دار الفاسقين» ما دار إليه أمرهم، وذلك لا يعلم إلا بالإخبار والإعلام.
قال ابءن عطية - معترضا على هذا الوجه -: ولو كان من رؤية القلب، لتعدى بالهمزة إلى ثلاثة مفاعيل. ولو قال قائلك المفعول الثالث يتضمنه المعنى، فهو مقدر أي: مذمومة أو خربة أو مسعرة - على قول من قال: إنها جهنم - قيل له: لا يجوز حذف هذا المفعول، ولا الاقتصار دونه، لأنها داخلة على الابتداء والخبر، ولو جوز لكان على قبح في اللسان، لا يليق بكتاب الله تعالى.." (١)
"مجاهد «١» : كانوا يأتون الرجال في مجالسهم وبعضهم يرى بعضا.
وقال ابن عباس «٢» : كانوا يتضارطون ويتصافعون في مجالسهم، وقيل غير هذا، وقد تقدم قصص الآية مكررا والرجز: العذاب.
وقوله تعالى: ولقد تركنا منها أي: من خبرها وما بقي من آثارها، والآية:
موضع العبرة، وعلامة القدرة، ومزدجر النفوس عن الوقوع في سخط الله تعالى.

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٣٦ الى ٤١]
وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٣٦) فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين (٣٧) وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين (٣٨) وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين (٣٩) فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا بء الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٤٠)
مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون (٤١)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٩/٣٠٨

وقوله تعالى: وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ... الآية، الرجاء في الآية: على بابه، وذهب أبو عبيدة إلى أن المعنى: وخافوا، وتعثوا معناه: تفسدوا، والسبيل: هي طريق الإيمان، ومنهج النجاة من النار، وما كانوا سابقين، أي: مفلتين أخذنا وعقابنا، وقيل: معناه: وما كانوا سابقين الأمم إلى الكفر، وباقي الآية بين.

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٤٢ الى ٤٥]

إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم (٤٢) وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون (٤٣) خلق الله السماوات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين (٤٤) اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون (٤٥)

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١٣٧) رقم (٢٧٧٥٢) ، وذكره البغوي (٣/ ٤٦٦) ، وابن عطية (٤/ ٣١٥) ، والسيوطي (٥/ ٢٧٦) ، وعزاه للفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» عن مجاهد.

(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ٣١٥) .." (١)

"وقوله تعالى: إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء، قيل: معناه: إن الله يعلم الذين تدعون من دونه من جميع الأشياء، وقيل: ما نافية وفيه نظر، وقيل: ما استفهامية، قال جابر: قال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: وما يعقلها إلا العالمون: العالم:

من عقل عن الله تعالى فعمل بطاعته وانتهى عن معصيته.

وقوله تعالى: خلق الله السماوات والأرض بالحق أي: لا للعبث واللعب بل ليدل على سلطانه وتثبيت شرائعه، ويضع الدلالة لأهلها ويعم بالمنافع إلى غير ذلك مما لا يحصى عدا. ثم أمر تعالى نبيه عليه السلام بالنفوذ لأمره وتلاوة القرآن الذي أوحي إليه، وإقامة الصلاة، أي: إدامتها والقيام بحدودها. ثم أخبر سبحانه حكما منه أن الصلاة تنهى صاحبها وممتثلها عن الفحشاء والمنكر.

قال ع «١» : وذلك عندي بأن المصلي إذا كان على الواجب من الخشوع، والإخبات «٢» وتذكر الله،

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤/٢٩٤

وتوهم الوقوف بين يديه، وإن قرب به وإخلاصه مطلع عليه مرقوب صلحت لذلك نفسه، وتذللت، وخامرها ارتقاب الله تعالى فاطرد ذلك في أقواله، وأفعاله، وانتهى عن الفحشاء والمنكر، ولم يكد يفتر من ذلك حتى تظله صلاة أخرى يرجع بها إلى أفضل حاله فهذا معنى هذا الإخبار لأن صلاة المؤمن هكذا ينبغي أن تكون، وقد روي عن بعض السلف: أنه كان إذا أقام الصلاة ارتعد، واصفر لونه، فكلم في ذلك، فقال: إني أقف بين يدي الله تعالى.

قال ع «٣» : فهذه صلاة تنهى- ولا بد- عن الفحشاء/ والمنكر، وأما من كانت ٦٢ ب صلاته دائرة حول الإجزاء، بلا تذكر ولا خشوع، ولا فضائل فتلك تترك صاحبها من منزلته حيث كان.

وقوله تعالى: **وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ** قال ابن عباس «٤» وأبو الدرداء «٥» وسلمان «٦» وابن

---

(١) ينظر: «المحرر» (٤/ ٣١٩) .

(٢) أخبت لله: خشع. وأخبت إلى ربه أي اطمأن إليه. والإخبات: الخشوع والتواضع.

ينظر: «لسان العرب» ١٠٨٧.

(٣) ينظر: «المحرر» (٤/ ٣١٩) .

(٤) أخرجه الطبري (١٠/ ١٤٦) رقم (٢٧٧٩٠) ، وذكره البغوي (٣/ ٤٦٩) ، وابن عطية (٤/ ٣٢٠) ، وابن كثير (٣/ ٤١٥) ، والسيوطي (٥/ ٢٨٠) ، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٥) أخرجه الطبري (١٠/ ١٤٧) رقم (٢٧٨٠١) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٢٠) ، وابن كثير (٣/ ٤١٥) ، والسيوطي (٥/ ٢٨١) ، بنحوه، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن جرير عن أبي الدرداء.

(٦) أخرجه الطبري (١٠/ ١٤٧) رقم (٢٧٨٠٢) ، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٢٠) ، وابن كثير (٣/ ٤١٥) .." (١)

"مسعود «١» وأبو قرة «٢» : معناه: ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه.

وقيل: معناه: **وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ** مع المداومة من الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر. وقال ابن زيد وغيره: معناه: **وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ** «٣» من كل شيء. وقيل لسلمان: أي الأعمال أفضل؟ فقال: أما تقرأ **وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ**. والأحاديث في فضل الذكر كثيرة لا تنحصر.

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤/٢٩٥

وقال ابن العربي في «أحكامه» «٤» : قوله: **ولذكر الله أكبر** فيه أربعة أقوال:

الأول: ذكر الله لكم أفضل من ذكركم له أضاف المصدر إلى الفاعل.

الثاني: ذكر الله أفضل من كل شيء.

الثالث: ذكر الله في الصلاة أفضل من ذكره في غيرها يعني: لأنهما عبادتان.

الرابع: ذكر الله في الصلاة أكبر من الصلاة وهذه الثلاثة الأخيرة من إضافة المصدر إلى المفعول، وهذه كلها صحيحة، وإن للصلاة بركة عظيمة، انتهى.

قال ع «٥» : وعندي، أن المعنى: **ولذكر الله أكبر** على الإطلاق، أي: هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر، فالجزء الذي منه في الصلاة يفعل ذلك، وكذلك يفعل في غير الصلاة، لأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاكر لله تعالى، مراقب له، وثواب ذلك الذكر أن يذكره الله تعالى، كما في الحديث الصحيح: «ومن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم» «٦» والحركات التي في الصلاة لا تأثير لها في نهي، والذكر النافع هو مع العلم وإقبال القلب وتفرغه إلا من الله تعالى. وأما ما لا يتجاوز اللسان ففي رتبة أخرى، وذكر الله تعالى للعبد هو إفاضة الهدى ونور العلم عليه وذلك ثمرة ذكر العبد ربه.

---

(١) ذكره ابن عطية (٤/ ٣٢٠) ، وابن كثير (٣/ ٤١٥) ، والسيوطي (٥/ ٢٨٠) ، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد الله بن أحمد بن حنبل في «زوائد الزهد» ، وابن جرير عن ابن مسعود.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ١٤٧) رقم (٢٧٨٠٣) ، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٢٠) ، والسيوطي (٥/ ٢٨٠) ، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير عن جابر قال: سألت أبا قرة.

(٣) ذكره ابن عطية (٤/ ٣٢٠) .

(٤) ينظر: «أحكام القرآن» (٣/ ١٤٨٧) .

(٥) ينظر: «المحرر» (٤/ ٣٢٠) . [.....]

(٦) تقدم تخريجه، وهو حديث: «أنا عند ظن عبدي بي» .." [1]

"قال الله عز وجل: فاذكروني أذكركم [البقرة: ١٥٢] .

وعبارة الشيخ ابن أبي جمرة: **ولذكر الله أكبر** معناه: ذكره لك في الأزل أن جعلك من الذاكرين له أكبر من ذكرك أنت الآن له، انتهى.

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤/٢٩٦

قال القشيري في «رسالته» : الذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه وهو العمدة في هذا الطريق ولا يصل أحد إلى الله سبحانه إلا بدوام الذكر، ثم الذكر على ضربين: ذكر باللسان، وذكر بالقلب، فذكر اللسان: به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب، والتأثير لذكر القلب، فإذا كان العبد ذاكرا بلسانه، وقلبه فهو الكامل في وصفه، سمعت أبا علي الدقاق يقول: الذكر منشور الولاية، فمن وفق للذكر فقد وفق للمنشور ومن سلب الذكر فقد عزل، والذكر بالقلب مستدام في عموم الحالات. وأسند القشيري عن المظفر الجصاص قال: كنت أنا ونصر الخراط ليلة في موضع فتذاكرنا شيئا من العلم فقال الخراط:
الذاكر لله تعالى فائدته في أول ذكره: أن يعلم أن الله ذكره فبذكر الله له ذكره، قال:
فخالفته، فقال: لو كان الخضر هاهنا لشهد لصحته، قال: فإذا نحن بشيخ يجيء بين السماء والأرض، حتى بلغ إلينا وقال: صدق الذاكر لله بفضل الله، وذكره له ذكره، فعلمنا أنه الخضر عليه السلام، انتهى.
وباقي الآية ضرب من التوعد وحث على المراقبة، قال الباجي في «سنن الصالحين» : / قال بعض العلماء: إن الله عز وجل يقول: «أيما عبد ٦٣ أاطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته، وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه» . انتهى.

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٤٦ الى ٤٩]
ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون (٤٦) وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون (٤٧) وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون (٤٨) بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون (٤٩)
وقوله تعالى: ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن هذه الآية مكية، ولم يكن يومئذ قتال، وكانت اليهود يومئذ بمكة وفيما جاورها، فربما وقع بينهم وبين بعض المؤمنين جدال واحتجاج في أمر الدين وتكذيب، فأمر الله المؤمنين ألا يجادلوهم إلا بالتي هي أحسن دعاء إلى الله تعالى وملاينة، ثم استثنى من ظلم منهم المؤمنين وحصلت منه أذية فإن هذه الصنيفة استثني لأهل الإسلام معارضتها بالتغيير عليها،." (١)

---
(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٢٩٧/٤

"السماوات والأرض بالحق) لا على وجه العبث (إن في ذلك) الخلق (لآية للمؤمنين) فإنهم يتدبرون في صنائع ملكه.

* * *

(اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون (٤٥) ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون (٤٦) وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون (٤٧) وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون (٤٨) بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون (٤٩) وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين (٥٠) أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون (٥١)

* * *

(اتل ما أوحي إليك من الكتاب) أمره بقراءة القرآن (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) أي: إن مواظبتها تحمل على ترك ذلك، وفي." [1]

"الحديث: (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا) أو مراعاتها تجره إلى الانتهاء، وفي الحديث (قيل له عليه السلام إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق قال: سينهاه ما تقول) والصلاة تنهاه عن ذلك حين الصلاة (**ولذكر الله أكبر**) وأفضل من كل شيء فالصلاة لما كانت كلها مشتملة بذكره تكون أكبر من غيرها من الطاعة، أو ذكر الله لعباده أكبر من ذكرهم إياه، وهذا هو المنقول عن كثير من السلف (والله يعلم ما تصنعون) فيجازيكم (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) إلا بطريقة هي أحسن فإن من أراد الاستبصار منهم إذا رأوا منكم لينا وسمعوا منكم حججا لاهتدوا، قال تعالى: " ادع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة " [النحل: ١٢٥] الآية، والظاهر أنها غير منسوخة بآية السيف (إلا الذين ظلموا منهم) بالإفراط في المعاداة فانتقلوا معهم من الجدال إلى الجلاد (وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم) هذا كأنه من المجادلة الحسنة (وإلهنا وإلهكم واحد)، خاصة (ونحن له مسلمون) فيه تعريض بأنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله (وكذلك) مثل ذلك الإنزال (أنزلنا

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٢٨٢/٣

إليك الكتاب) كتابا مصدقا لسائر الكتب قال ابن جرير: معناه أنزلنا إليك الكتاب يا محمد كما أنزلنا على من قبلك من الرسل (فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) كمؤمني أهل الكتاب (ومن هؤلاء) الذين بين ظهرانيك (من يؤمن به) كمؤمني العرب (وما يجحد بآياتنا) مع ظهور معجزاتها (إلا الكافرون) المتوغلون فيه (وما كنت تتلو من قبله) قبل نزول القرآن (من كتاب ولا تخطه بيمينك)." (١)

"الأعراف آية ١٤٦

أحسن من المباح وقيل المعنى بأخذوا بها وأحسن صلة قال قطرب أي بحسنها وكلها حسن كقوله تعالى **ولذكر الله أكبر** وقيل هو أن تحمل الكلمة المحتملة لمعنيين أو لمعان على أشبه محتملانها بالحق وأقربها إلى الصواب ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾ تلوين للخطاب وتوجيه له إلى قومه عليه الصلاة والسلام بطريق الالتفات حملا لهم على الجد في الامتثال بما أمروا به إما على نهج الوعيد والترهيب على أن المراد بدار الفاسقين أرض مصر وديار عاد وثمود وأضرابهم فإن رؤيتها وهي الخالية عن أهلها خاوية على عروشها موجبة للاعتبار والانزجار عن مثل أعمال أهلها كيلا يحل بهم ما حل بأولئك وإما على نهج الوعد والترغيب على أن المراد بدار الفاسقين إما أرض مصر خاصة أو مع أرض الجبابرة والعمالقة بالشام فإنها أيضا مما أتيح لبني إسرائيل وكتب لهم حسبما ينطق به قوله عز وجل يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ومعنى الإراءة الإدخال بطريق الإيراث ويؤيده قراءة من قرأ سأورثكم بالثاء المثلثة كما في قوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرىء سأوريكم ولعله من أوريت الزند أي سأبينها لكم وقوله تعالى." (٢)

"كأنه قيل وصل بهم إن الصلاة تنهاهم عن الفحشاء والمنكر ومعنى نهيها عنهما أنها سبب للانتهاء عنهما لأنها مناجاة لله تعالى فلا بد أن تكون مع إقبال تام على طاعته وإعراض كلي عن معاصيه قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله تعالى عنهما في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله تعالى فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله تعالى إلا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وروى أنس رضي الله عنه إن فتى من الأنصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش إلا ركبه فوصف له صلى الله عليه وسلم حاله فقال إن صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وحسن حاله **﴿ولذكر الله أكبر﴾** أي للصلاة أكبر

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٣/٢٨٣

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٣/٢٧١

من سائر الطاعات وإنما عبر عنها به كما في قوله تعالى فاسعوا إلى ذكر الله للإيذان بأن ما فيها من ذكر الله تعالى هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات وقيل ولذكر الله تعالى عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما أكبر في الزجر عنهما وقيل ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته ﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها أحسن المجازاة." (١)

"ذلك، فلذلك قال تعالى: وما يعقلها إلا العالمون، أي: بالله وصفاته وأسمائه، وبمواقع كلامه وحكمه، أي:

لا يعقل صحتها وحسنها، ولا يفهم حكمتها، إلا هم لأن الأمثال والتشبيهات إنما هي طرق إلى المعاني المستورة، حتى يبرزها ويصورها للأفهام، كما صور هذا التشبيه الذي بين فيه حال المشرك وحال المؤمن. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية، وقال: «العالم: من عقل عن الله، فعمل بطاعته، واجتنب سخطه» «١» ، ودلت هذه الآية على فضل العلم وأهله.

خلق الله السماوات والأرض بالحق أي: محقا، لم يخلقها عبثا، كما لم يضرب الأمثال عبثا، بل خلقها لحكمة، وهي أن تكون مساكن عباده، وعبرة للمعتبرين منهم، ودلائل على عظم قدرته، بدليل قوله: إن في ذلك لآية للمؤمنين لأنهم هم المنتفعون بها. وقيل: بالحق: العدل، وقيل: بكلامه وقدرته، وذلك هو الحق الذي خلق به الأشياء. وخص السموات والأرض لأنها المشهودات. والله تعالى أعلم.

الإشارة: من اعتمد على غير الله، أو مال بالمحبة إلى شيء سواه، كان كمن اعتمد على خيط العنكبوت، فعن قريب يذهب ويفوت، يا من تعلق بمن يموت قد تمسكت بأضعف من خيط العنكبوت.

تنبيه: الأشياء الحسية جعل الله فيها القوي والضعيف، والعزيز والذليل، والفقير والغني لحكمة، وأما أسرار المعاني القائمة بها فكلها قوية عزيزة غنية، فالأشياء، بهذا الإعتبار- أعني: النظر لحسها ومعناها- كلها قوية في ضعفها، عزيزة في ذلها، غنية في فقرها. ولذلك تجد الحق تعالى يدفع بأضعف شيء أقوى شيء، وينصر بأذل شيء على أقوى شيء. روي أنه لما نزل قوله تعالى: وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت شكى العنكبوت إلى الله تعالى، وقال: رب خلقتني ضعيفا، ووصفتني بالإهانة والضعف، فأوحى الله تعالى إليه: انكسر قلبك من قولنا، ونحن عند المنكسرة قلوبهم من أجلنا، وقد صددنا بنسجك الضعيف صناديد قريش، وأغنينا محمدا عن كل ركن كثيف، فقال: يا رب حسبي أن خلقت في ذلي عزتي، وفي إهانتي

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٤٢/٧

قوتي. هـ. ذكره في اللباب.

ثم أمره بالاشتغال بالتلاوة والصلاة تسلية وغيبة عمن آذاه، فقال:

[سورة العنكبوت (٢٩) : آية ٤٥]

اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون (٤٥)

---

(١) قال المناوى فى الفتح السماوي (٢/ ٨٩٦) : «رواه داود بن المحبر فى كتاب العقل، ومن طريقه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده، والثعلبي، والواحدي، والبغوي- فى التفسير (٦/ ٢٤٣) - من حديث جابر. وأورده ابن الجوزي فى الموضوعات، وكتاب العقل، لداود، كله موضوع، وانظر أيضا: تنزيه الشريعة، لابن عراق (١/ ٢١٤) .." [١]

"وقال ابن عطية: إذا وقعت على ما ينبغي من الخشوع، والإخبات لذكر عظمة الله، والوقوف بين يديه، انتهى عن الفحشاء والمنكر، وأما من كانت صلاته لا ذكر فيها ولا خشوع، فتلك تترك صاحبها بمنزلته حيث كان. هـ.

فائدة: ذكر في اللباب أن أول من صلى الصبح آدم عليه السلام، لأنه لم يكن رأى ظلمة قط، فلما نزل، وجنه الليل خر مغشيا، فلما أصبح ورأى النور صلى ركعتين، شكرا. وأول من صلى الظهر إبراهيم، لما فدى ولده، وقد كان نزل به أربعة أهوال، هم الذبح، وهم الولد، وهم والدته، وهم مرضاة الرب، فصلى أربع ركعات شكرا لله تعالى.

وأول من صلى العصر سليمان عليه السلام، لما رد الله عليه ملكه. وأول من صلى المغرب عيسى عليه السلام، كفارة عما اعتقد فيه من أنه ثالث ثلاثة. وأول من صلى العشاء يونس عليه السلام، ولعله هذا الوقت الذي نبذ فيه بالعراء. وأول من توضأ آدم كفارة لأكله. هـ. مختصرا بزيادة بيان. وجمعها الحق تعالى لهذه الأمة المحمدية لتحوز فضائل تلك الشرائع لأنه صلى الله عليه وسلم جامع لما افترق في غيره.

ثم قال تعالى: **ولذكر الله أكبر**، أي: ولذكر الله، على الدوام، أكبر، فى النهى عن الفحشاء والمنكر، من الصلاة لأنها في بعض الأوقات. فالجزء الذي في الصلاة ينهى عن الفحشاء الظاهرة، والباقي ينهى عن

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٣٠٥

الفحشاء الباطنة، وهو أعظم، ولأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاكر لله، مراقب له، وثواب ذلك الذكر أن يذكره الله تعالى لقوله: فاذكروني أذكركم «١» . ومن ذكره حفظه ورعاه. أو: **لذكر الله أكبر** أجرا، من الصلاة، ومن سائر الطاعات، كما في الحديث: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا اعناقكم؟ قالوا: وما ذلك يا رسول الله؟ قال: ذكر الله» «٢» . وسئل: أي الأعمال أفضل؟ قال: «أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله» «٣» .

قيل: المراد بذكر الله هو الصلاة نفسها، أي: وللصلوات أكبر من سائر الطاعات، وإنما عبر عنها بذكر الله ليشعر بالتعليل، كأنه قال: والصلاة أكبر لأنها ذكر الله. وعن ابن عباس: ولذكر الله لكم إياكم، برحمته، أكبر من ذكركم إياه بطاعته. وقال ابن عطاء: ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له لأن ذكره بلا علة، وذكركم مشوب بالعلل والأماني، ولأن ذكره لا يفنى، وذكركم يفنى. أو: **لذكر الله أكبر** من أن تفهمه أفهامكم وعقولكم. أو: **ذكر الله أكبر**

---

(١) الآية ١٥٢ من سورة البقرة.

(٢) أخرجه الترمذي فى (الدعوات، باب ٦، ٥/ ٤٢٨، ح ٣٣٧٧) ، وابن ماجة فى (الأدب، باب فضل الذك، ٢/ ١٢٤٥، ح ٣٧٩٠) ، والبيهقي فى الشعب (٥١٩) ، والحاكم وصححه فى المستدرك (١/ ٤٩٦) ، وصححه ووافقه الذهبي، من حديث أبى الدرداء.

(٣) رواه ابن حبان فى صحيحه (٨١٥) ، والبراز (كشف الأستار ح ٣٠٥9) ، من حديث معاذ بن جبل، وقال الهيثمي فى المجمع:

(١٠/ ٧٤) : وإسناده حسن. [.....]."[١]

"من أن تبقى معه معصية. والله يعلم ما تصنعون من الخير والطاعة، فيثيبكم أحسن الثواب. والله تعالى أعلم.

الإشارة: الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر المتعلقين بالجوارح الظاهرة، والذكر ينهى عن الفحشاء والمنكر المتعلقين بالعوالم الباطنة، وهي المساوئ التي تحجب العبد عن حضرة الغيوب، فإذا أكثر العبد من ذكر الله، على نعت الحضور والتفرغ من الشواغل، تنور قلبه، وتطهر سره ولبه، فاتصف بأوصاف الكمال، وزالت

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٠٧/٤

عنه جميع العلل، ولذلك جعلته الصوفية معتمدا أعمالهم، والتزموه مع مرور أوقاتهم وأنفاسهم، ولم يقتنعوا منه بقليل ولا كثير، بل قاموا فيه بالجد والتشمير، فيذكرون أولا بلسانهم وقلوبهم، ثم بقلوبهم فقط، ثم بأرواحهم وأسرارهم، فيغيبون حينئذ في شهود المذكور عن وجودهم وعن ذكرهم، وفي هذا المقام ينقطع ذكر اللسان، ويصير العبد محوا في وجود العيان، فتكون عبادتهم كلها فكرة وعبرة، وشهودا ونظرة، وهو مقام العيان في منزل الإحسان، فيكون ذكر اللسان عندهم بطالة «١» ، وفي ذلك يقول الشاعر:

ما إن ذكرتك إلا هم يلعنني ... سري وقلبي وروحي، عند ذكراك

حتى كأن رقيبا منك يهتف بي: ... إياك، ويحك، والتذكار، إياك

أما ترى الحق قد لاحت شواهده؟ ... وواصل الكل، من معناه، معناك؟!

قال القشيري: ويقال: **ذكر الله أكبر** من أن يبقى معه ذكر مخلوق أو معلوم للعبد، فضلا أن يبقى معه للفحشاء والمنكر سلطان. هـ. وقال في القوت على هذه الآية: الذكر عند الذاكرين: المشاهدة، فمشاهدة المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة. هذا أحد الوجهين في الآية. ثم قال: وروي في معنى الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إنما فرضت الصلاة، وأمر بالحج والطواف، وأشعرت المناسك، لإقامة ذكر الله- عز وجل-» قال تعالى: وأقم الصلاة لذكري «٢» ، أي: لتذكرني فيها. ثم قال: فإذا لم يكن في قلبك للمذكور، الذي هو المقصود والمبتغى، عظمة ولا هيبة، ولا إجلال مقام، ولا حلاوة فهم، فما قيمة ذكرك فإنما صلاتك كعمل من أعمال دنياك. وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم الصلاة قسما من اقسام الدنيا، إذا كان المصلي على مقام من الهوى، فقال: «حبب إلى من

---

(١) لا يكون ذكر اللسان بطالة. والنبي صلى الله عليه وسلم وقال: «لا يزال لسانك رطبا بذكر الله..» والله عز وجل يقول: «أنا مع عبدى المؤمن ما ذكرنى وتحركت بي شفتاه» فكيف يكون هذا بطالة!! مع تحقق السر بالذكر؟.

(٢) من الآية ١٤ من سورة طه.." (١)

"بعد هذه الجولة في سورة العنكبوت، والحديث عن الفتنة والابتلاء والاغراء وقصص بعض الانبياء وأممهم، والذين بهرتهم قوى المال والجاه، فظنوا انها تحميهم من الله – يضرب الله المثل لحقيقة القوى المتصارعة في هذه الميادين وانهم خاطئون بكل تقديراتهم، وان هنالك قوة واحدة هي قوة الله، وما عداها

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٣٠٨

فهو هزيل ضعيف، لن يحميهم الا كالعنكبوت الضعيفة التي اتخذت أوهن البيوت لحمايتها.

ثم زاد الله الانكار توكيدا بقوله:

﴿إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم﴾

فكيف يتسنى للعاقل ان يترك القادر الحكيمويعبد سواه!! ،

بعد ذلك بين الله فائدة ضرب الامثال للناس، وانه لا يدرك مغزاها الا ذوو الألباب الذين يعلمون ويعقلون.

إن الإله الذي يستحق العبادة هو الذي ﴿خلق الله السماوات والأرض بالحق﴾ ، لا عبثا ولا لعبا بل لحكمة يعلمها المؤمنون، وفي نظام دقيق لا يتخلف ولا يبطىء ولا يصدم بعضه بعضا. ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ الذين تتفتح قلوبهم لآيات الله الكونية وعجائب هذا الكون الكبير.

وبعد نهاية هذه الجولة العظيمة سلى رسوله الكريم بتلاوة ما أوحى اليه من الكتاب، وامره بإقامة الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، هي اكبر مطهر للانسان حين يقيمها حق الاقامة.

﴿**ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون﴾ .

فذكر الله اكبر من كل شيء، واكبر من كل تعبد وخشوع. والله يعلم ماتفعلون من خير وشر فيجازيكم عليه.

قراءات:

قرأ ابو عمرو ويعقوب عاصم: ان الله يعلم ما يدعون من دونه، بالياء، والباقون: ان الله يعلم ما تدعون من دونه، بالتاء.." (١)

"(١) قراءة عاصم وأبي عمرو، وباقي السبعة بالتاء. انظر: "التيسير" (ص: ١٧٤). (٢) "شيء مصدر" سقط من (ك)، و"مصدر" سقط من (ف). (٣) في (ف) و (م) و (ي) و (ع): "لمن". (٤) في النسخ: "قدر"، والمثبت من "تفسير البيضاوي" (٤/ ١٩٥).

الجزء: ٨ - الصفحة: ٩٧

﴿وما يعقلها﴾: وما يعقل حسنها وفائدتها ﴿إلا العالمون﴾: الواقفون على أن الأمثال والتشبيهات إنما هي الطرق إلى المعاني (١) المستورة حتى تبرزها وتصورها للأفهام.

---

(١) تيسير التفسير للقطان إبراهيم القطان ٧١/٣

* * *

(٤٤) - ﴿خلق الله السماوات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾.

﴿خلق الله السماوات والأرض بالحق﴾ محقا؛ يعني: لم يخلقهما باطلا، بل لحكمة، وهي أن تكونا (٢) مساكن عباده، وعبرة للمعتبرين منهم، ودلائل على (٣) عظم قدرته، كما أشار إليه بقوله:

﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بها.

* * *

(٤٥) - ﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون﴾.

﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب﴾ تقربا إلى الله بقراءته، وتحفظا لألفاظه، واستكشافا لمعانيه؛ فإن القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له أول ما قرع سمعه.

﴿وأقم الصلاة﴾؛ أي: دم على إقامتها.

* * *

(١) في (ك): "للمعاني". (٢) في (ف) و (ك) و (ي): "تكون". (٣) "على" سقط من (م).

الجزء: ٨ - الصفحة: ٩٨

﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ قد مر تفسيرهما، والنهي مجاز عن المنع.." [١]

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٣٩/٧

"روي: أن فتى من الأنصار كان يصلي مع رسول الله ؟ ولا يدع شيئا من الفواحش إلا ركبه، فوصف له ؟ فقال: "إن صلاته ستنهاه"، فلم يلبث أن تاب (١).

﴿ولذكر الله أكبر﴾؛ أي: والصلاة أكبر من غيرها من الطاعات، وإنما عبر عنها به لتستقل بالتعليل، كأنه قال: والصلاة أكبر لأنها ذكر الله.

أو: لذكر الله (٢) إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته.

﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ منه ومن سائر الطاعات، فيجازيكم بها أحسن المجازاة.

* * *

(٤٦) - ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾.

﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب﴾ أصل الجدال: شدة الفتل (٣).

* * *

(١) انظر: "تفسير الثعلبي" (٧/ ٢٨١)، و"الكشاف" (٣/ ٤٥٦)، و"المحرر الوجيز" (٤/ ٣٢٠)، وعزاه الثعلبي وابن عطية لرواية أنس ؟، لكن قال الحافظ في "الكاف الشاف" (ص: ١٢٨): (لم أجده). قلت: روى الإمام أحمد في "المسند" (٩٧٧٨)، وابن حبان في "صحيحه" (٢٥٦٠)، عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله، إن فلانا يصفي بالليل، فإذا أصبح سرق، قال: "سينهاه ما تقول". ورجاله رجال الصحيح كما في "مجمع الزوائد" (٢/ ٢٥٨). (٢) "ولذكر الله" زيادة من (ي). (٣) قال الخازن في "تفسيره" (١/ ٥٩٥): "لأن كل واحد من الخصمين يريد أن يفتل صاحبه عما هو عليه".

الجزء: ٨ - الصفحة: ٩٩

﴿إلا بالتي﴾: إلا بالخصلة التي ﴿هي أحسن﴾ كمعارضة الخشونة باللين، والغضب بالكظم، والمشامتة بالنصح.

﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ بالإفراط في الاعتداء والعناد، فلم ينفع فيهم الرفق.." (١)

"للبعث والحساب، كقوله: (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا) أي: خلقناهما للبعث والحساب، قال: (ذلك ظن الذين كفروا) [ص: (٢٧)] ألا يبعثوا، ولا يحاسبوا تفسير يحيى بن سلام (٢) / (٦٣١) - .

(إن في ذلك لآية للمؤمنين (٤٤))

(٥٩٩٨٧) - قال مقاتل بن سليمان: (إن في ذلك لآية للمؤمنين)، يقول: إن في خلقهما لعبرة للمصدقين بتوحيد الله تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٣٨٤) - .

(٥٩٩٨٨) - قال يحيى بن سلام في قوله: (إن في ذلك لآية) لعبرة، ويقال: لمعرفة (للمؤمنين) في خلق السموات والأرض؛ يعلمون أن الذي خلق السموات والأرض يبعث الخلق يوم القيامة تفسير يحيى بن سلام (٢) / (٦٣١) - .

(اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون (٤٥))

قراءات

(٥٩٩٨٩) - عن الربيع بن أنس، أنه كان يقرؤها: (إن الصلاة تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشآء والمنكر) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر - وهي قراءة شاذة - انظر: المحرر الوجيز (٤) / (٣١٩) - .

تفسير الآية

(اتل ما أوحي إليك من الكتاب)

(٥٩٩٩٠) - عن الحسن البصري - من طريق أسباط بن محمد - قوله: (الكتاب)، قال: القرآن أخرجه ابن أبي حاتم (٩) / (٣٠٦٥) - .

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٧/٤٠

(٥٩٩٩١) - قال مقاتل بن سليمان: قوله: (اتل ما أوحي إليك من الكتاب)، يعني:
". [١]

"(٦٠٠١٢) - عن عبد الله بن مسعود - من طريق عبد الرحمن بن يزيد - أنه قال: من لم تأمره الصلاة بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بها من الله إلا بعدا أخرجه أحمد في الزهد ص (١٥٩)، وابن جرير (١٨) / (٤٠٩)، والطبراني ((٨٥٤٣))، والبيهقي ((٣٢٦٤)) - وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر - .

(٦٠٠١٣) - عن الحسن البصري، قال: يا ابن آدم، إنما الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، فإذا لم تنهك صلاتك عن الفحشاء والمنكر فإنك لست تصلي عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - .

(٦٠٠١٤) - عن الحسن البصري=

(٦٠٠١٥) - وقتادة بن دعامة - من طريق سعيد - قالا: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فإنه لا يزداد من الله بذلك إلا بعدا أخرجه ابن جرير (١٨) / (٤١٠) - .

(٦٠٠١٦) - عن الحسن بن داود بن محمد بن المنكدر: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: من قام من الليل لم يأت فاحشة، ألا تسمع إلى قول الله: (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد وقيام الليل - موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا (١) / (٣٢٤) ((٣٨٢)) - .

(**ولذكر الله أكبر**)

(٦٠٠١٧) - عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قوله: (**ولذكر الله أكبر**)، قال: «ذكر الله على كل حال أحسن وأفضل، والذكر أن تذكره عند ما حرم؛ فتدع ما حرم، وتذكره عند ما أحل؛ فتأخذ ما أحل» أخرجه الثعلبي (٧) / (٢٨٢) من طريق جويبر، عن الضحاك، عن ابن مسعود به - في إسناده جويبر بن سعيد الأزدي البلخي؛ قال عنه ابن حجر في التقريب ((٩٨٧)): «ضعيف جدا» - والضحاك هو ابن مزاحم الخراساني، وفي سماعه من ابن مسعود نظر؛ لأنه قيل: إنه لم يسمع من أحد من الصحابة - لذا قال ابن حجر في التقريب ((٢٩٧٨)): «صدوق، كثير الإرسال» - .
". [٢]

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٢٤/٣١

(٢) موسوعة التفسير المأثور ٣٣٠/٣١

"(٦٠٠١٨) - عن عبد الله بن عمر، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، في قوله: (ولذكر الله أكبر)، قال: «ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه» أخرجه الثعلبي (٧) / (٢٨١)، وأورده الديلمي في كتاب الفردوس (٤) / (٤٠٦) ((٧١٧٨)) - .

(٦٠٠١٩) - عن معاذ بن جبل - من طريق أبي بحرية - قال: ما عمل آدمي عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله - قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع؛ لأن الله تعالى يقول في كتابه: (ولذكر الله أكبر) أخرجه أحمد في الزهد ص (١٨٤) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .

(٦٠٠٢٠) - عن عبد الله بن مسعود - من طريق شقيق - (ولذكر الله أكبر)، قال: ذكر الله العبد أكبر من ذكر العبد لله أخرجه ابن أبي شيبة (١٣) / (٢٩٨)، وعبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد الزهد ص (٢١٨)، وابن جرير (١٨) / (٤١٤) - .

(٦٠٠٢١) - عن أبي الدرداء - من طريق كثير بن مرة الحضرمي - قال: ألا أخبركم بخير أعمالكم وأحبها إلى مليككم، وأنماها في درجاتكم، وخير من أن تغزوا عدوكم؛ فيضربوا رقابكم، وتضربوا رقابهم، وخير من إعطاء الدنانير والدراهم؟ قالوا: وما هو يا أبا الدرداء؟ قال: ذكر الله، (ولذكر الله أكبر) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣) / (٣٠٨)، وابن جرير (١٨) / (٤١٣) - (٤١٤) - وهو في الأصل حديث مرفوع دون ذكر الآية أخرجه أحمد (٣٦) / (٣٣)، (٤٥) / (٥١٥)، ((٢١٧٠٢)، (٢٧٥٢٥))، والترمذي ((٣٣٧٧))، وابن ماجه ((٣٧٩٠)) - وقال محققو المسند: «إسناده صحيح» - .

(٦٠٠٢٢) - عن سلمان الفارسي - من طريق العيزار بن حريث، عن رجل - أنه سئل: أي العمل أفضل؟ قال: أما تقرأ القرآن؟! (ولذكر الله أكبر)، لا شيء أفضل من ذكر الله أخرجه ابن جرير (١٨) / (٤١٥) - .

(٦٠٠٢٣) - عن سلمان الفارسي - من طريق أبي قرة - (ولذكر الله أكبر)، قال: ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه أخرجه ابن جرير (١٨) / (٤١٤) - .

(٦٠٠٢٤) - عن عبد الله بن عباس - من طريق علي بن أبي طلحة - في قوله تعالى: ". (١)

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣١/٣٣١

"(ولذكر الله أكبر)، قال: ولذكر الله لعباده - إذا ذكروه - أكبر من ذكرهم إياه أخرجه ابن جرير (١٨) / (٤١٢) - (٤١٤)، وابن أبي حاتم (٩) / (٣٠٦٧) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .

(٦٠٠٢٥) - عن عبد الله بن ربيعة، قال: سألني ابن عباس عن قول الله: (ولذكر الله أكبر) - فقلت: ذكر الله بالتسبيح والتهليل والتكبير - قال: لا، ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه - ثم قرأ: (فاذكروني أذكركم) أخرجه ابن جرير (١٨) / (٤١١) - (٤١٢)، وابن أبي حاتم (٩) / (٣٠٦٧) بنحوه، والحاكم (٢) / (٤٠٩)، والبيهقي في شعب الإيمان ((٦٧٤)) - وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن المنذر - وأخرجه سفيان الثوري ص (٢٣٥) بلفظ: عن عطاء بن السائب، عن عبد الله بن ربيعة، قال: سألني ابن عباس في قول الله: (ولذكر الله أكبر) - فقلت: التكبير والتهليل والتحميد، فقال ابن عباس: فذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إيا ه - .

(٦٠٠٢٦) - عن عبد الله بن عباس - من طريق عكرمة - في قوله: (ولذكر الله أكبر)، قال: لها وجهان؛ ذكر الله أكبر مما سواه - وفي لفظ: ذكر الله عند ما حرمه - ، وذكر الله إياكم أعظم من ذكركم إياه أخرجه ابن جرير (١٨) / (٤١٦)، وابن أبي حاتم (٩) / (٣٠٦٨) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .

(٦٠٠٢٧) - عن عبد الله بن عباس - من طريق داود بن أبي هند، عن رجل - في قوله: (ولذكر الله أكبر)، قال: ذكر الله عند طعامك، عند منامك - قلت: فإن صاحبا لي في المنزل يقول غير الذي تقول - قال: وأي شيء يقول؟ قال: يقول: قال الله: (فاذكروني أذكركم) [البقرة: (١٥٢)]، فذكر الله إيانا أكبر من ذكرنا إياه - قال: صدق أخرجه ابن أبي حاتم (٩) / (٣٠٦٧) - .

(٦٠٠٢٨) - عن محارب بن دثار، قال: قال لي عبد الله بن عمر: كيف كان تفسير ابن عباس في هذه الآية: (ولذكر الله أكبر)؟ فقلت: كان يقول: إن ذكر الله العبد عند المعصية فيكف؛ أكبر من ذكر الله باللسان - فقال عبد الله بن عمر: إن العبد إذا ذكر الله ذكره الله، فذكر الله العبد أكبر من ذكر العبد إياه أخرجه يحيى بن سلام (٢) / (٦٣٢) - .

(٦٠٠٢٩) - عن أم الدرداء [الصغرى] - من طريق إسماعيل بن عبيد الله - قالت: (ولذكر الله أكبر) وإن صليت فهو من ذكر الله، وإن صمت فهو من ذكر الله، وكل خير تعمله فهو من ذكر الله، وكل شر تجتنبه فهو من ذكر الله، وأفضل من ذلك تسبيح الله أخرجه ابن جرير (١٨) / (٤١٥)، والبيهقي ((٦٨٦)) - .

(٦٠٠٣٠) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - (ولذكر الله أكبر)،

". (١)

"قال: لذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد ربه في الصلاة وغيرها أخرجه ابن جرير (١٨) / (٤١٣)، وابن أبي حاتم (٩) / (٣٠٦٨) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر - .

(٦٠٠٣١) - عن مجاهد بن جبر=

(٦٠٠٣٢) - وعكرمة مولى ابن عباس - من طريق جابر - قالا: ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه أخرجه ابن جرير (١٨) / (٤١٤) - .

(٦٠٠٣٣) - عن عكرمة مولى ابن عباس - من طريق داود - (ولذكر الله أكبر)، قال: ذكر الله للعبد أفضل من ذكره إياه أخرجه ابن جرير (١٨) / (٤١٢) - .

(٦٠٠٣٤) - عن أبي مالك غزوان الغفاري - من طريق السدي - (ولذكر الله أكبر)، قال: ذكر الله العبد في الصلاة أكبر من الصلاة أخرجه ابن جرير (١٨) / (٤١٦) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - .

(٦٠٠٣٥) - عن الحسن البصري، (ولذكر الله أكبر)، يقول: لذكر الله إياكم إذا ذكرتموه؛ أكبر من ذكركم إياه عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - .

(٦٠٠٣6) - عن الحسن البصري - من طريق الحسن بن دينار - في تفسير قوله : (ولذكر الله أكبر)، قال: قال الله: (فاذكروني أذكركم) [البقرة: (١٥٢)]، فإذا ذكر العبد الله ذكره الله، فذكر الله للعبد أكبر من ذكر العبد إياه أخرجه يحيى بن سلام (٢) / (٦٣٢) - .

(٦٠٠٣٧) - عن عطية العوفي - من طريق فضيل بن مرزوق - في قوله: (ولذكر الله أكبر)، قال: هو قوله: (فاذكروني أذكركم) [البقرة: (١٥٢)]، فذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه أخرجه ابن جرير (١٨) / (٤١٢)، والبيهقي ((٦٧٣)) - وعزاه السيوطي إلى ابن أبي الدنيا - .

(٦٠٠٣٨) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - في قوله: (ولذكر الله أكبر)، قال: لا شيء أكبر من ذكر الله - قال: أكبر الأشياء كلها - وقرأ: (أقم الصلاة لذكري) [طه: (١٤)]، قال: لذكر الله، وإنه لم يصفه عند القتال إلا أنه أكبر أخرجه ابن جرير (١٨) / (٤١٥) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٣٢/٣١

(٦٠٠٣٩) - عن أبي عون الأنصاري - من طريق أرطاة - قال: والذي أنت فيه من **ذكر الله أكبر** أخرجه ابن جرير (١٨) / (٤١٧)، وابن أبي حاتم (٩) / (٣٠٦٦) - .
". [١]

"(٦٠٠٤٠) - عن محمد بن السائب الكلبي - من طريق معمر - في قوله تعالى: (**ولذكر الله أكبر**)، قال: إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ما كان فيها، وذكر الله الناس أكبر من كل شيء أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢) / (٩٧) - .

(٦٠٠٤١) - قال مقاتل بن سليمان: ثم قال : (**ولذكر الله أكبر**)، يعني: إذا صليت لله تعالى فذكرته فذكرك الله بخير، وذكر الله إياك أفضل من ذكرك إياه في الصلاة تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٣٨٤) - (٣٨٥) - .

(٦٠٠٤٢) - عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: أن معناه: **ولذكر الله أكبر** مما سواه، وهو أفضل من كل شيء تفسير الثعلبي (٧) / (٢٨١) - .

(٦٠٠٤٣) - عن جابر عن عامر، قال: سألت أبا قرة [سلمة بن معاوية الكندي] عن قوله: (**ولذكر الله أكبر**) - قال: **ذكر الله أكبر** من ذكركم إياه أخرجه ابن جرير (١٨) / (٤١٤) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - اختلف السلف في تفسير قوله: (**ولذكر الله أكبر**) على أقوال: الأول: ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه - الثاني: ولذكركم الله أكبر من كل شيء - الثالث: أن الآية تحتمل الوجهين السابقين - الرابع: لذكر الله العبد في الصلاة أكبر من الصلاة - الخامس: وللصلاة التي أتيت أنت بها، وذكرك الله فيها؛ أكبر مما نهتك الصلاة من الفحشاء والمنكر - وقد رجح ابن جرير ((١٨) / (٤١٧)) مستندا إلى ظاهر الآية القول الأول، فقال: «وأشبه هذه الأقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل قول من قال: ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه» - ورجح ابن عطية ((٦) / (٦٥٠)) القول الثاني مستندا إلى دلالة العقل، فقال: «وعندي أن المعنى: **ولذكر الله أكبر** على الإطلاق، أي: هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر - فالجزء الذي منه في الصلاة يفعل ذلك، وكذلك يفعل في غير الصلاة؛ لأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاكر مراقب، وثواب ذلك الذكر أن يذكره الله تعالى كما في الحديث: «ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه» - والحركات التي في الصلاة لا تأثير لها فينهى، والذكر النافع هو مع العلم، وإقبال القلب، وتفرغه إلا من الله تعالى، وأما ما لا يتجاوز اللسان ففي رتبة أخرى» - وقد ذكر ابن عطية ((٤) / (٣٢٠) ط: الكتب

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٣٣/٣١

العلمية) قولا لم ينسبه إلى أحد من السلف أن المعنى: ولذكر الله كبير - ثم علق عليه وعلى قول سلمان الفارسي، فقال: «كأنه يحض عليه في هذين التأويلين الأخيرين» - وانتقد ابن تيمية ((٥) / (١٠٨)) مستندا إلى النص والإجماع والدلالة العقلية بعض ما يندرج تحت القول الثاني قائلا: «ومن ظن أن المعنى: **ولذكر الله أكبر** من الصلاة - فقد أخطأ؛ فإن الصلاة أفضل من الذكر المجرد بالنص والإجماع - والصلاة ذكر الله لكنها ذكر على أكمل الوجوه، فكيف يفضل ذكر الله المطلق على أفضل أنواعه؟! ومثال ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - : «عليكم بقيام الليل؛ فإنه قربة إلى ربكم، ودأب الصالحين قبلكم، ومنهاة عن الإثم، ومكفرة للسيئات، ومطردة لداعي الحسد» - فبين ما فيه من المصلحة بالقرب إلى الله، وموافقة الصالحين، ومن دفع المفسدة بالنهي عن المستقبل من السيئات، والتكفير للماضي منها، وهو نظير الآية» - .

(والله يعلم ما تصنعون (٤٥))

". (١)

"(٦٠٠٤٤) - قال عطاء، في قوله: (والله يعلم ما تصنعون): يريد: لا يخفى عليه شيء تفسير البغوي (٦) / (٢٤٧) - .

(٦٠٠٤٥) - قال مقاتل بن سليمان: (والله يعلم ما تصنعون) في صلاتكم تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٣٨٤) - (٣٨٥) - .

آثار متعلقة بالآية

(٦٠٠٤٦) - عن عبد الله بن عباس - من طريق سفيان - أنه سئل: أي العمل أفضل؟ قال: **ذكر الله أكبر**، وما قعد قوم في بيت من بيوت الله يدرسون كتاب الله، ويتعاطونه بينهم؛ إلا أظلتهم الملائكة بأجنحتها، وكانوا أضياف الله ما داموا فيه حتى يفيضوا في حديث غيره، وما سلك رجل طريقا يلتمس فيه العلم إلا سهل الله له طريقا إلى الجنة أخرجه ابن أبي شيبة (١٠) / (٥٦٤) - (٥٦٥)، (١٣) / (٣٧٠)، والبيهقي في شعب الإيمان ((٦٧١)، (٦٧٢)، (٢٠٣٠)) - وهو عند ابن أبي حاتم (٩) / (٣٠٦٨) بلفظ مقارب - وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر، والحاكم في الكنى - .

(٦٠٠٤٧) - عن الحسن البصري - من طريق أبي الأشهب - قال: الذكر ذكران، أحدهما أفضل من

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٣٤/٣١

الآخر: ذكر الله باللسان حسن، وأفضل منه ذكر الله عند ما نهاك

". (١)

"يقولون ما بال النصارى تحبهم ... وأهل النهي من عربهم الأعاجم

فقلت لهم إني لأحسب حبهم ... سرى في قلوب الخلق حتى البهائم (١)

وجميع فرق الشيعة يترضون على ابن فضلون اليهودي (٢) لقوله:

رب هب لي من المعيشة سؤلي ... واعف عني بحق آل الرسول

واسقني شربة بكف علي ... سيد (الأوصياء) بعل البتول

مع أن حب آل البيت غاية الأمر أنه عبادة، وقد اشترط لقبولها الإيمان لقوله تعالى ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له لكاتبون﴾ وأيضا إن نجاة الكفار ودخولهم الجنة عند الشيعة محال كما سبق في العقائد، وقوله تعالى ﴿ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾.

وكتعصبهم في تسمية أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - «الأمة الملعونة» (٣) ولم يلتفتوا إلى قوله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ ويلزمهم من ذلك أنهم ليسوا من أمة محمد، وإلا يلزمهم لعن أنفسهم وإخراج أهل البيت من الأمة.

وكترجيحهم لعن عمر وسائر الصحابة والعياذ بالله على ذكر الله وسائر العبادات، (٤) وقد ثبت في كتبهم أن لعن الشيخين - في كل صباح ومساء - موجب لسبعين حسنة. (٥) وقد قال تعالى **﴿ولذكر الله أكبر﴾**.

---

(١) نسبه الفتال إلى نصراني لم يصرح باسمه في روضة الواعظين: ١/ ١٦٧؛ وتبعه ابن شهرآشوب في المناقب: ٤/ ١٣٢

(٢) وابن فضلون اليهودي يعلم أن شيخه الأول ابن سبأ الذي اخترع عقيدة «لكل نبي وصي، وإن عليا وصي محمد - صلى الله عليه وسلم -»، ليبتدع في الإسلام ما ليس منه توطئة لإدخال الفساد على هذا الدين ومحاولة تغييره. ولو صدق ابن فضلون في دعواه حب علي كرم الله وجهه لدخل في الإسلام ولما بقي يهوديا، أما أن يمدح عليا ويبقى يهوديا فذلك لأنه تلميذ ابن سبأ وحامل رسالته.

(٣) أخرج الكليني وغيره عن سدير الصيرفي قال سمعت أبا عبد الله يقول: «ما تنكر هذه الأمة الملعونة

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٣٥/٣١

أن يفعل الله عز وجل بحجته في وقت من الأوقات كما فعل بيوسف ... ». الكافي: ٧/ ١؛ ابن بابويه، علل الشرائع: ١/ ٢٤٤.

(٤) ألف علي بن عبد العال الكركي – من مشاهير علمائهم مات سنة ٩٤٠هـ – كتابا في لعن الشيخين خاصة والصحابة عامة سماه (نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت)

(٥) أخرج العياشي عن زرارة عن أبي عبد الله أنه قال: «في تفسير قوله تعالى ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ قال من ذكرهما فلعنهما كل غداة كتب له سبعين حسنة ومحا عنه عشر سيئات ورفع عشر درجات». تفسير العياشي: ١/ ٣٨٧. وقد صرح المجلسي بأنها الشيخين كما في بحار الأنوار: ٣٠/ ٢٢٣.." [1]

"إن هذا الأثر لازم للعقيدة والعبادة، ولكن نقول: إن شبيه باللازم في تأكد وقوعه، ما لم توجد موانع، ولذلك يربط القرآن والسنة كثيرا بين الإيمان والعبادة، وبين الأخلاق الإسلامية، فيقول تعالى في الصلاة:

﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، **ولذكر الله أكبر**﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ومعنى ذلك أن الصلاة الحقة تطهر الإنسان من الأخلاق الذميمة، وتنمي فيه الأخلاق الحسنة، **وذكر الله أكبر** تأثيرا وتطهيرا، وسيتضح أمر الأخلاق ومعناها فيما يأتي.

وقال تعالى في الزكاة:

﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ [التوبة: ١٠٣].

فالزكاة مطهرة من الذنوب ومزكية لفاعلها بمعنى أنها تنمي في نفسه جوانب الجمال والكمال بعد أن طهرته من العيوب والذنوب والنقائص، والآيات في ذلك كثيرة بالنسبة للعبادة.

وفي العقيدة يقول تعالى:

﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات: ١٠].

ويقول تعالى:

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ [التوبة: ٧١].

﴿يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط (العدل) شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾ [النساء: ١٣٥].." [2]

---

(١) مختصر التحفة الاثني عشرية، الألوسي، محمود شكري ص/٢٨٥

(٢) تبسيط العقائد الإسلامية، حسن أيوب ص/٢٨١

"قلت: وفي «الدر المنثور» أن هؤلاء الثلاثة لا يسبحون، وروى في حديث صحيح الاستعاذة عند نهيق الحمار، فهؤلاء كالميت غافلون عن الذكر فاعتراضها حال الصلاة التي هي الذكر الأكبر عد قاطعا لها، **ولذكر الله أكبر**. ولعلك علمت من هذا البحث أن السترة يجب أن يكون واجبا وهو مذهب الشافعي رحمه الله واستحبه الحنفية.

قلت: كيف وورد الوعيد في تركها فليت الحنفية اعتبروها أزيد مما في كتبهم. ولا يخفى أن الراوي قد يتعرض إلى الخصوص لتردد فيه، فيريد أن يشهر أمره وينوه ذكره كما فعل ههنا، فلعل الناس تهاونوا فيها فأراد بتعرضه إليها أن يهتم بها الناس وهكذا فعله ابن عمر رضي الله عنهما في رفع اليدين، فتعرض في حديثه إلى الرفع في الموضعين خاصة، وتعرض إلى نفيه في السجود خاصة، وخصصه بالذكر من سائر أفعال الصلاة، فدل على أن في مض لمطمعا، والشافعية غفلوا عنه أو تغافلوا فإن الحديث يضرهم من جهة أخرى لدلالته على أن أمر الرفع صار خاملا في زمنه إلى أن احتاج إلى إثباته وتأكيده وتشهيره، وإلا فمن يتعرض إلى أمر مسلم بين الناس، فذقه أنت فإن كان الأمر كذلك فمن أخمله إلا الصحابة رضي الله عنهم، وهل كان إذ ذاك غيرهم فانظر ماذا ترى.

٤٩٥ - قوله: (الظهر ركعتين والعصر ركعتين) لا دليل فيه على الجمع أصلا، لأن الراوي جمع بينهما في الذكر فقط، كما يجمع بل أشراط الساعة، فيذكرها بالواو ويقول: يكون كذا وكذا مثلا. فيزعم الجاهل الغبي أن الوقائع كلها تترى مع أنها قد تكون بينها المئات من السنين.

اسم الكتاب: فيض الباري شرح صحيح البخاري

باب قدر كم ينبغي أن يكون بين المصلي والسترة." (١)

" ٢٨٨٦ - (ألا) قال القاضي : حرف تنبيه يؤكد بها الجملة المصدرة بها (أنبئكم بخير أعمالكم) أي أفضلها (وأزكاها عند مليككم) أي أنماها وأطهرها عند ربكم ومالككم (وأرفعها في درجاتكم) أي منازلكم في الجنة (وخير لكم من إنفاق الذهب) قال الطيبي : مجرور عطف على خير أعمالكم من حيث المعنى لأن المعنى ألا أنبئكم بما هو خير لكم من بذل أموالكم ونفوسكم (والورق) بكسر الراء الفضة (وخير لكم من أن تلقوا عدوكم) يعني الكفار (فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم) يعني تقتلوهم ويقتلونكم بسيف أو غيره (ذكر الله) لأن سائر العبادات من الإنفاق ومقاتلة العدو وسائل ووسائط يتقرب

---

(١) فيض الباري شرح البخاري، ٢/٢٤٤

بها إلى [ص ١١٦] الله تعالى والذكر هو المقصود الأسنى ورأس الذكر قول لا إله إلا الله وهي الكلمة العليا وهي القطب الذي يدور عليه رحى الإسلام والقاعدة التي بني عليها أركان الدين والشعبة التي هي أعلى شعب الإيمان بل هي الكل وليس غيره ﴿ قل إنما يوحى إلي أنما الهكم إله واحد ﴾ أي الوحي مقصور على استئثار الله بالوحدانية لأن القصد الأعظم من الوحي التوحيد ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله ﴾ ولأمر ما تجد العارفين يؤثرونها على جميع الأذكار لما فيها من الخواص التي لا طريق إلى معرفتها إلا الوجدان والذوق قالوا : وهذا محمول على أن الذكر كان أفضل للمخاطبين به ولو خوطب به شجاع باسل حصل به نفع الإسلام في القتال لقيل له الجهاد أو الغنى الذي ينتفع به الفقراء بماله قيل له الصدقة والقادر على الحج قيل له الحج أو من له أصلان قيل له برهما وبه يحصل التوفيق بين الأخبار وقال ابن حجر : المراد بالذكر هنا الذكر الكامل وهو ما اجتمع فيه ذكر اللسان والقلب بالشكر واستحضار عظمة الرب وهذا لا يعدله شيء وأفضل الجهاد وغيره إنما هي بالنسبة إلى ذكر اللسان المجرد وهذا الحديث يقتضي أن الذكر أفضل من تلاوة القرآن وقضية الحديث المار وهو قوله أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن يقتضي عكسه فوقع التعارض بينهما وجمع الغزالي بأن القرآن أفضل لعموم الخلق والذكر أفضل للذاهب إلى الله في جميع أحواله في بدايته ونهايته فإن القرآن مشتمل على صنوف المعارف والأحوال والإرشاد إلى الطريق فما دام العبد مفتقرا إلى تهذيب الأخلاق وتحصيل المعارف فالقرآن أولى له فإن جاوز ذلك واستولى الذكر على قلبه فمداومة الذكر أولى به فإن القرآن يجاذب خاطره ويسرح به في رياض الجنة والذاهب إلى الله لا ينبغي أن يلتفت إلى الجنة بل يجعل همه هما واحدا وذكره ذكرا واحدا ليدرك درجة الفناء والاستغراق ولذلك قال تعالى : ﴿ **ولذكر الله أكبر** ﴾ . [1]أخذ ابن الحاج من ذلك ترك طلب الدنيا أعظم عند الله من أخذها والتصدق بها وأيده بما في القوت عن الحسن أنه لا شيء أفضل من رفض الدنيا وبما في غيره عنه أنه سئل عن رجلين طلب أحدهما الدنيا بحلالها فأصابها فوصل بها رحمه وقدم فيها لنفسه وترك الآخر الدنيا فقال : أحبهما إلي الذي جانب الدنيا . (تنبيه آخر) قد أخذ الصوفية بقضية هذا الحديث فذهبوا أنه لا طريق إلى الوصول إلا الذكر قالوا : فالطريق في ذلك أولا أن يقطع علائق الدنيا بالكلية ويفرغ قلبه عن الأهل والمال والولد والوطن والعلم والولاية والجاه ويصير قلبه إلى حالة يستوي عنده فيها وجود ذلك وعدمه ثم يخلو بنفسه مع الاقتصار على الفرض والراتبة ويقعد فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة ولا غيرها بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى ذكر الله فلا يزال قائلا بلسانه الله الله على الدوام مع حضور قلبه

---

(١) تنبيه

إلى أن ينتهي إلى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية عليه ثم يصير إلى أن ينمحي أثره من اللسان فيصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم تنمحي صورة اللفظ ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه لا يفارقه وعند ذلك انتظار الفتح ورد عليهم النظار وذوي الاعتبار بما حاصله أن تقديم تعلم العلم أوفق وأقرب إلى الغرض ثم لا بأس أن يعقبه بالمجاهدة المذكورة

(ت) في الدعوات (هـ) في ثواب التسبيح (ك) في الدعاء والذكر (عن أبي الدرداء) عويمر قال الحاكم : صحيح وأقره الذهبي ورواه أحمد أيضا قال الهيثمي : وسنده حسن ." (١)

" ٥٤٥٠ - (علامة حب الله تعالى حب ذكر الله وعلامة بغض الله بغض ذكر الله عز و جل) أي علامة حب الله لعبده حب عبده لذكره لأنه إذا أحب عبدا ذكره وإذا ذكره حبب إليه ذكره فيذكر ربه بذكره تعالى له كما يحبه بحبه له قال تعالى ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ ﴿ **ولذكر الله أكبر** ﴾ أي ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد لله لأن ذكر الله للعبد يثير من العبد ذكره له وقد يجري على ظاهره ويكون المعنى علامة المحب لله كثرة ذكره له لأن من أحب شيئا أكثر ذكره وفي الخبر أنت مع من أحببت أي إن كنت كذلك فأنت مع من أحببت شهودا له بالقلب وذكرا له باللسان وخدمة له بالأركان فذكر الله من العبد بلسانه علامة شهوده له بجنانه كما قال : اعبد الله كأنك تراه

(هب عن أنس) بن مالك ورواه عنه الحاكم والديلمي ." (٢)

" ٦٠٦٠ - (قال الله تعالى عبدي) بحذف حرف النداء (إذا ذكرتني خاليا) عن الخلائق أو عن الالتفات لغيري وإن كنت معهم (ذكرتك خاليا) أي إن ذكرتني بالتنزيه والتقديس سرا ذكرتك بالثواب والرحمة سرا وقال ابن أبي جمرة : يحتمل كونه كقوله تعالى ﴿ اذكروني أذكركم ﴾ معناه اذكروني بالتعظيم أذكركم بالإنعام وقال تعالى ﴿ **ولذكر الله أكبر** ﴾ أي أكبر العبادات فمن ذكره وهو خائف أمنه أو مستوحش آنسه ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ (وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير منهم وأكبر) وفي رواية بدله خير من الذين ذكرتني فيهم وهذا تنويه عظيم بشرف الذكر قال بعض العارفين : الذاكر ربه حياته متصلة دائمة لا تنقطع بالموت فهو حي وإن مات بحياة هي خير وأتم من حياة المقتول في سبيل الله ومن لا يذكر الله ميت وإن كان في الدنيا بين الأحياء فإنه حي بالحياة الحيوانية وجميع العالم حي

---

(١)

(٢) فيض القدير، ٤/٣٢٠

بحياة الذكر فمثل الذاكر وغيره مثل الحي والميت وإنما كان الذاكر أفضل من الشهيد الغير الذاكر لقوله في الخبر المار ألا أخبركم بأفضل إلخ

(هب عن ابن عباس) ورواه عنه البزار قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح غير بشر بن معاذ العقدي وهو ثقة ." (١)

"٦٨٥٦ - قوله (يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي)

أي قادر على أن أعمل به ما ظن أني عامل به ، وقال الكرماني : وفي السياق إشارة إلى ترجيح جانب الرجاء على الخوف وكأنه أخذه من جهة التسوية فإن العاقل إذا سمع ذلك لا يعدل إلى ظن إيقاع الوعيد وهو جانب الخوف ؛ لأنه لا يختاره لنفسه بل يعدل إلى ظن وقوع الوعد وهو جانب الرجاء وهو كما قال أهل التحقيق مقيد بالمحتضر ويؤيد ذلك حديث " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله " وهو عند مسلم من حديث جابر . وأما قبل ذلك ففي الأول أقوال ثالثها الاعتدال وقال ابن أبي جمرة : المراد بالظن هنا العلم وهو كقوله (وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه) وقال القرطبي في المفهم قيل معنى ظن عبدي بي ظن الإجابة عند الدعاء وظن القبول عند التوبة وظن المغفرة عند الاستغفار وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسكا بصادق وعده ، وقال : ويؤيده قوله في الحديث الآخر : ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة . قال : ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقنا بأن الله يقبله ويغفر له ؛ لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها وأنها لا تنفعه فهذا هو اليأس من رحمة الله وهو من الكبائر ، ومن مات على ذلك وكل إلى ما ظن كما في بعض طرق الحديث المذكور " فليظن بي عبدي ما شاء " قال : وأما ظن المغفرة مع الإصرار فذلك محض الجهل والغرة وهو يجر إلى مذهب المرجئة .

قوله (وأنا معه إذا ذكرني)

أي بعلمي وهو كقوله (إنني معكما أسمع وأرى) والمعية المذكورة أخص من المعية التي في قوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم - إلى قوله - إلا هو معهم أينما كانوا) وقال ابن أبي جمرة معناه فأنا معه حسب ما قصد من ذكره لي قال : ثم يحتمل أن يكون الذكر باللسان فقط أو بالقلب فقط أو بهما أو بامتثال الأمر واجتناب النهي ، قال والذي يدل عليه الإخبار أن الذكر على نوعين أحدهما مقطوع لصاحبه بما تضمنه هذا الخبر والثاني على خطر ، قال : والأول يستفاد من قوله تعالى (فمن يعمل مثقال

(١) فيض القدير، ٤/٤٩٤

ذرة خيرا يره) والثاني من الحديث الذي فيه " من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا " لكن إن كان في حال المعصية يذكر الله بخوف ووجل مما هو فيه فإنه يرجى له .

قوله (فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي)

أي إن ذكرني بالتنزيه والتقديس سرا ذكرته بالثواب والرحمة سرا . وقال ابن أبي جمرة : يحتمل أن يكون مثل قوله تعالى (فاذكروني أذكركم) ومعناه اذكروني بالتعظيم أذكركم بالإنعام وقال تعالى (**ولذكر الله أكبر**) أي أكبر العبادات فمن ذكره وهو خائف آمنه أو مستوحش آنسه قال تعالى (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

قوله (وإن ذكرني في ملأ)

بفتح الميم واللام مهموز أي جماعة

(ذكرته في ملأ خير منهم)

قال بعض أهل العلم : يستفاد منه أن الذكر الخفي أفضل من الذكر الجهري والتقدير : إن ذكرني في نفسه ذكرته بثواب لا أطلع عليه أحدا وإن ذكرني جهرا ذكرته بثواب أطلع عليه الملأ الأعلى وقال ابن بطال : هذا نص في أن الملائكة أفضل من بني آدم وهو مذهب جمهور أهل العلم وعلى ذلك شواهد من القرآن مثل (إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) والخالد أفضل من الفاني فالملائكة أفضل من بني آدم وتعقب بأن المعروف عن جمهور أهل السنة أن صالحي بني آدم أفضل من سائر الأجناس والذين ذهبوا إلى تفضيل الملائكة الفلاسفة ثم المعتزلة وقليل من أهل السنة من أهل التصوف وبعض أهل الظاهر فمنهم من فاضل بين الجنسين فقالوا حقيقة الملك أفضل من حقيقة الإنسان ؛ لأنها نورانية وخيرة ولطيفة مع سعة العلم والقوة وصفاء الجوهر وهذا لا يستلزم تفضيل كل فرد على كل فرد لجواز أن يكون في بعض الأناسي ما في ذلك وزيادة ومنهم من خص الخلاف بصالحي البشر والملائكة ومنهم من خصه بالأنبياء ثم منهم من فضل الملائكة على غير الأنبياء ومنهم من فضلهم على الأنبياء أيضا إلا على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن أدلة تفضيل النبي على الملك أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم على سبيل التكريم له حتى قال إبليس (أرأيت هذا الذي كرمت علي) ومنها قوله تعالى (لما خلقت بيدي) لما فيه من الإشارة إلى العناية به ولم يثبت ذلك للملائكة ، ومنها قوله تعالى (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين) ومنها قوله تعالى (وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض) فدخل في عمومه الملائكة ، والمسخر له أفضل من المسخر ؛ ولأن طاعة الملائكة بأصل الخلقة وطاعة البشر غالبا

مع المجاهدة للنفس لما طبعت عليه من الشهوة والحرص والهوى والغضب ، فكانت عبادتهم أشق ، وأيضا فطاعة الملائكة بالأمر الوارد عليهم وطاعة البشر بالنص تارة وبالاجتهاد تارة والاستنباط تارة فكانت أشق ؛ ولأن الملائكة سلمت من وسوسة الشياطين وإلقاء الشبه والإغواء الجائزة على البشر ولأن الملائكة تشاهد حقائق الملكوت والبشر لا يعرفون ذلك إلا بالإعلام فلا يسلم منهم من إدخال الشبهة من جهة تدبير الكواكب وحركة الأفلاك إلا الثابت على دينه ولا يتم ذلك إلا بمشقة شديدة ومجاهدات كثيرة ، وأما أدلة الآخرين فقد قيل إن حديث الباب أقوى ما استدل به لذلك للتصريح بقوله فيه في ملأ خير منهم والمراد بهم الملائكة ، حتى قال بعض الغلاة في ذلك وكم من ذاكر لله في ملأ فيهم محمد صلى الله عليه وسلم ذكرهم الله في ملأ خير منهم ، وأجاب بعض أهل السنة بأن الخبر المذكور ليس نصا ولا صريحا في المراد بل يطرقه احتمال أن يكون المراد بالملأ الذين هم خير من الملأ الذاكر الأنبياء والشهداء فإنهم أحياء عند ربهم فلم ينحصر ذلك في الملائكة ، وأجاب آخر وهو أقوى من الأول بأن الخيرية إنما حصلت بالذاكر والملأ معا فالجانب الذي فيه رب العزة خير من الجانب الذي ليس هو فيه بلا ارتياب فالخيرية حصلت بالنسبة للمجموع على المجموع وهذا الجواب ظهر لي وظننت أنه مبتكر . ثم رأيته في كلام القاضي كمال الدين بن الزملكاني في الجزء الذي جمعه في الرفيق الأعلى فقال : إن الله قابل ذكر العبد في نفسه بذكره له في نفسه ، وقابل ذكر العبد في الملأ بذكره له في الملأ فإنما صار الذكر في الملإ الثاني خيرا من الذكر في الأول ؛ لأن الله وهو الذاكر فيهم والملأ الذين يذكرون والله فيهم أفضل من الملإ الذين يذكرون وليس الله فيهم ، ومن أدلة المعتزلة تقديم الملائكة في الذكر في قوله تعالى (من كان عدوا لله وملائكته ورسله – شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم – الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس) وتعقب بأن مجرد التقديم في الذكر لا يستلزم التفضيل ؛ لأنه لم ينحصر فيه بل له أسباب أخرى كالتقديم بالزمان في مثل قوله (ومنك ومن نوح وإبراهيم) فقدم نوحا على إبراهيم لتقدم زمان نوح مع أن إبراهيم أفضل ومنها قوله تعالى (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون) وبالغ الزمخشري فادعى أن دلالتها لهذا المطلوب قطعية بالنسبة لعلم المعاني فقال في قوله تعالى (ولا الملائكة المقربون) أي ولا من هو أعلى قدرا من المسيح ، وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش ، كجبريل وميكائيل وإسرافيل ، قال : ولا يقتضي علم المعاني غير هذا من حيث إن الكلام إنما سيق للرد على النصارى لغلوهم في المسيح ، فقيل لهم : لن يترفع فيه المسيح عن العبودية ولا من هو أرفع درجة منه انتهى ملخصا ، وأجيب بأن الترقي لا يستلزم التفضيل المتنازع فيه وإنما هو بحسب المقام ، وذلك أن

كلا من الملائكة والمسيح عبد من دون الله ، فرد عليهم بأن المسيح الذي تشاهدونه لم يتكبر عن عبادة الله ، وكذلك من غاب عنكم من الملائكة لا يتكبر ، والنفوس لما غاب عنها أهيب ممن تشاهده ؛ ولأن الصفات التي عبدوا المسيح لأجلها من الزهد في الدنيا والاطلاع على المغيبات وإحياء الموتى بإذن الله موجودة في الملائكة ، فإن كانت توجب عبادته فهي موجبة لعبادتهم بطريق الأولى ، وهم مع ذلك لا يستنكفون عن عبادة الله تعالى ، ولا يلزم من هذا الترقي ثبوت الأفضلية المتنازع فيها ، وقال البيضاوي احتج بهذا العطف من زعم أن الملائكة أفضل من الأنبياء ، وقال هي مساقة للرد على النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية ، وذلك يقتضي أن يكون المعطوف عليه أعلى درجة منه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه ، وجوابه أن الآية سيقت للرد على عبدة المسيح والملائكة ، فأريد بالعطف المبالغة باعتبار الكثرة دون التفضيل ، كقول القائل أصبح الأمير لا يخالفه رئيس ولا مرءوس ، وعلى تقدير إرادة التفضيل فغايته تفضيل المقربين ممن حول العرش ، بل من هو أعلى رتبة منهم على المسيح ، وذلك لا يستلزم فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقا . وقال الطيبي : لا تتم لهم الدلالة إلا إن سلم أن الآية سيقت للرد على النصارى فقط فيصح : لن يترفع المسيح عن العبودية ولا من هو أرفع منه ، والذي يدعي ذلك يحتاج إلى إثبات أن النصارى تعتقد تفضيل الملائكة على المسيح ، وهم لا يعتقدون ذلك بل يعتقدون فيه الإلهية فلا يتم استدلال من استدل به ، قال وسياقه الآية من أسلوب التتميم والمبالغة لا للترقي ، وذلك أنه قدم قوله (إنما الله إله واحد – إلى قوله – وكيلا) فقرر الوحدانية والمالكية والقدرة التامة ، ثم أتبعه بعدم الاستنكاف ، فالتقدير لا يستحق من اتصف بذلك أن يستكبر عليه الذي تتخذونه أيها النصارى إلها لاعتقادكم فيه الكمال ولا الملائكة الذين اتخذها غيركم آلهة لاعتقادهم فيهم الكمال . قلت : وقد ذكر ذلك البغوي ملخصا ، ولفظه لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام عيسى بل ردا على الذين يدعون أن الملائكة آلهة فرد عليهم كما رد على النصارى الذين يدعون التثليث ، ومنها قوله تعالى (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم إني ملك) فنفى أن يكون ملكا ، فدل على أنهم أفضل ، وتعقب بأنه إنما نفى ذلك لكونهم طلبوا منه الخزائن وعلم الغيب ؛ وأن يكون بصفة الملك من ترك الأكل والشرب والجماع ، وهو من نمط إنكارهم أن يرسل الله بشرا مثلهم فنفى عنه أنه ملك ، ولا يستلزم ذلك التفضيل ، ومنها أنه سبحانه لما وصف جبريل ومحمدا ، قال في جبريل (إنه لقول رسول كريم) وقال في حق النبي صلى الله عليه وسلم (وما صاحبكم بمجنون) وبين الوصفين بون بعيد ، وتعقب بأن ذلك إنما سيق للرد على من زعم أن الذي يأتيه شيطان فكان وصف

جبريل بذلك تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم فقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم في غير هذا الموضع بمثل ما وصف به جبريل هنا وأعظم منه ، وقد أفرط الزمخشري في سوء الأدب هنا ، وقال كلاما يستلزم تنقيص المقام المحمدي ، وبالغ الأئمة في الرد عليه في ذلك وهو من زلاته الشنيعة .

قوله (وإن تقرب إلي شبرا)

في رواية المستملي والسرخسي " بشبر " بزيادة موحدة في أوله ، وسيأتي شرحه في أواخر "كتاب التوحيد " في باب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وروايته عن ربه .." [١]

" ٤٠١ – حدثنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية عن ربيعة بن زيد عن إسماعيل بن عبيد الله عن أم الدرداء أنها قالت : **ولذكر الله أكبر** وإن صليت فهو من ذكر الله وكل خير تعمله فهو من ذكر الله وكل شر تجتنبه فهو من ذكر الله وأفضل ذلك تسبيح الله وقال موسى صلى الله عليه و سلم واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي وقال فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما إنكم تنطقون وقال أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وقال وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وقال بعضهم في قوله عز و جل يزيد في الخلق ما يشاء قال الصوت الحسن وقال عز و جل عن جبرائيل وما نتنزل إلا بأمر ربك فبين أن التنزيل غير الأمر ". [٢]

"@ ٢٢@الصاغرين﴾ [يوسف : ٣٢] . وأما النسوة فغبن عن حظوظ الغيرة وآلامهن حتى قطعن أيديهن ولم يحسسن بالألم ، وزليخا لم تمكن الحب منها قالت : ﴿الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه) ﴿يوسف : ٥١] أقرت على نفسها وشهدت له بالبراءة ، هذا ظهر دليل أن محبت النعمة محبة لذة ومطالبة حظوظ النفس فإن حملنا هذا الحديث على ظاهر اللفظ كان أمرا معلولا والمحبة نهاية الأحوال المعلوات الذين جازوا كثيرا منها فمثل هؤلاء لا يخاطبون بالمعلول من الأمر كما قال الله تعالى ، وقد قالت رابعة أو غيرها : والله لو قطعتني بالبلاد إربا إربا ازددت لك إلا حبا ، فمثل هذا لا يحمل على المحبة رؤية النعم التي هي حظوظ النفس ، ونحمل أيضا معنى الحديث إذا حمل على ما قلنا تنبيها لهم على ما من الله عليهم . . . . . أوصافهم معرضين كما نبههم الله عز وجل بقوله . ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ [الأنفال : ١٧].

| وأما قوله وأحبوا أهل بيتي لحبي أي إنما تحبونهم لأني أحببتهم ، وأحببتهم لأن الله تعالى أحبهم ،

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ٤٨١/٢٠

(٢) خلق أفعال العباد، ص/١١١

ويجوز أن يكون أمرا أن تحبونهم فيكون تصديقا لحبهم النبي صلى الله عليه وسلم ويكون معنى الحب لهم إيثارهم على غيرهم.

$حديث آخر$

حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب الحارثي الخلوتي الجيدموني قال : حدثنا عبد العزيز ابن حاتم ، قال : حدثنا الحارث بن مسلم ، قال : حدثنا زياد بن ميمون ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : علامة حب الله حب ذكر الله ، وعلامة بغض الله بغض ذكر الله.

| قال الشيخ الإمام الزاهد رحمه الله : معناه إن شاء الله علامة حب الله عبده ذكره وذلك أنه إذا أحب عبدا ذكره ، وإذا ذكر الله عبدا حبب إليه ذكره فيذكر العبد ربه لذكر ربه له كما أحب ربه لحب ربه له قال الله تعالى : ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة : ٥٤] وقال عز وجل : ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت : ٤٥] يجوز أن يكون معناه ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد الله ، لأن ذكر الله للعبد يسر من العبد ذكره لله إذ علة كل | ." (١)

"الحسنات يذهبن السيئات هود **ولذكر الله أكبر** العنكبوت فإن قيل الأعمال أعراض لا يمكن وزنها وإنما توزن الأجسام أجيب بأنه يوزن السجل الذي كتب فيه الأعمال ويختلف باختلاف الأحوال أو أن الله يجسم الأفعال والأقوال فتوزن فتثقل الطاعات وتطيش السيئات لثقل العبادة على النفس وخفة المعصية عليها ولذا ورد حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات رواه الترمذي وابن ماجه وعن عائشة رضي الله تعالى عنها إنها ذكرت أي في نفسها النار أي نار جهنم فبكت أي خوفا منها فقال رسول الله ما يبكيك أي ما سبب بكائك قالت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال رسول الله أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا أي بالخصوص وأما الشفاعة العظمى فهي عامة للخلائق كلها عند الميزان قال أهل الحق الميزان حق قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة الأنبياء يوضع ميزان يوم القيامة يوزن به الصحائف التي يكوت مكتوبا فيها أعمال العباد وله كفتان إحداهما للحسنات والأخرى للسيئات وعن الحسن له كفتان ولسان ذكره الطيبي رحمه الله حتى يعلم أي كل أحد أيخف ميزانه أم يثقل ظاهره أنه يعم كل أحد ولا يستثنى منه نبي ولا مرسل وعند الكتاب أي نطايره أو عند عطائه حين يقال أي يقول من يعطي بيمينه هاؤم أي خذوا اقرؤوا كتابيه تنازع فيه الفعلان والهاء للسكت لبيان ياء الإضافة حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله من وراه ظهره كذا في سنن أبي داود وبعض نسخ المصابيح وفي أكثرها

(١) معاني الأخبار للكلاباذي ٣٨٤، ص/٢٢

أو من وراء ظهره وفي جامع الأصول أم بدل أو والأول أولى وأوفق للجمع بين معنى الآيتين فأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه الحاقة وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا الانشقاق الكشاف قيل يغل يمناه إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره ويؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره كذا ذكره الطيبي رحمه." (١)

" "وأقم الصلاة لذكرى " [طه : ١٤] وقال "**ولذكر الله أكبر**" [العنكبوت : ٤٥] فالذكر لب العبادات. وقال في حجة الله (ج٢ص٥٤) الأفضلية تختلف بالاعتبار ولا أفضل من الذكر باعتبار تطلع النفس إلى الجبروت ولا سيما في نفوس زكية لا تحتاج إلى الرياضات وإنما تحتاج إلى مداومة التوجه هذا. وقد بسط الغزالي الكلام في ذلك في آخر الباب الأول من كتاب الأذكار من إحياء العلوم فارجع إليه (رواه مالك) في أواخر الصلاة (وأحمد) (ج٥ص١٩٥) موصولا ومنقطعا وفي (ج٦ص٤٤٧) منقطعا (والترمذي) في الدعوات (وابن ماجه) في فضل الذكر ، وأخرجه أيضا الحاكم (ج١ص٤٩٦) وابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير ، والبيهقي في شعب الإيمان وابن شاهين في الترغيب في الذكر ، وحسن إسناده المنذري والهيثمي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (إلا أن مالكا وقفه) بالتخفيف (على أبي الدرداء) يعني والباقون رفعوه إلى النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ولا يضر لأن الحكم لمن وصل لا لمن وقف لأن مع الأول زيادة العلم بالوصل وزيادة الثقة مقبولة ، ولأن هذا مما لا يقال من قبل الرأي فوقفه كرفع غيره قاله القاري. قلت : وفي سند الموطأ انقطاع أيضا فإنه رواه مالك عن زياد بن أبي زياد إنه قال قال أبوالدرداء : ألا أخبركم الخ ورواه أحمد (ج٥ص١٩٥) والترمذي وابن ماجه وغيرهم من طريق زياد ابن أبي زياد عن أبي بحرية عن أبي الدرداء ، وفي الباب عن معاذ بن جبل عند أحمد. قال المنذري : بإسناد جيد إلا أن فيه انقطاعا. وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح إلا أن زياد بن أبي زياد لم يدرك معاذا وعن ابن عمر عند البيهقي في شعب الإيمان.

". (٢)

"قال ابن عبد البر : فضائل الذكر كثيرة لا يحيط بها كتاب وحسبك بقوله تعالى : "إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر**" [العنكبوت : ٤٥] - انتهى. وزاد في رواية الطبراني في الكبير وابن أبي شيبة في المصنف. قالوا : يا رسول الله! ولا الجهاد في سبيل الله قال : ولا الجهاد في سبيل الله

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٣٢/١٦

(٢) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٨٠٩/٧

إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع قاله ثلاث مرات. (رواه مالك) في باب ما جاء في ذكر الله من كتاب الصلاة (والترمذي وابن ماجه) في فضل الذكر من الدعوات وكذا الحاكم (ج١ص٤٩٦) ومثله لا يقال من قبل الرأي فهو في حكم المرفوع قاله القاري. قلت : روي أحمد (ج٥ص٢٣٩) وابن أبي شيبة والطبراني في الكبير وابن عبد البر والبيهقي قول معاذ هذا مرفوعا. قال المنذري في الترغيب : رواه أحمد بإسناد جيد إلا أن فيه انقطاعا. وقال الهيثمي (ج١٠ص٧٣) بعد أن عزاه لأحمد : رجاله رجال الصحيح إلا أن زياد بن أبي زياد مولى ابن عياش لم يدرك معاذا – انتهى. قلت يدل على ذلك رواية أحمد حيث وقع فيها "عن زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة أنه بلغه عن معاذ بن جبل أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ والحديث ذكره الحافظ في بلوغ المرام. وقال أخرجه ابن أبي شيبة والطبراني بإسناد حسن ، وفي الباب عن جابر عند الطبراني في الأوسط والصغير. قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح. ". (١)

"٢٣١٦– قوله : (أفضل الكلام) أي كلام البشر ، أما كلام الله تعالى فهو أفضل مطلقا ، وأما الاشتغال فهو بالقرآن أفضل إلا بالذكر في وقت مخصوص فهو أفضل من الاشتغال بالقرآن ، فالكلام في مقامين نفس الكلام والاشتغال ، أي صرف الوقت. قال النووي : هذا (الحديث وما أشبهه) محمول على كلام الآدمي وإلا فالقرآن أفضل ، وكذا قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل المطلق. فأما المأثور في وقت أو حال أو نحو ذلك فالاشتغال به أفضل – انتهى. وقال القاري : أفضل الكلام أربع أي أفضل كلام البشر ، لأن الرابعة لم توجد في القرآن ولا يفضل ما ليس فيه على ما هو فيه ، ولقوله عليه الصلاة والسلام هي أفضل الكلام بعد القرآن وهي من القرآن أي غالبها يعني إن الثلاثة الأول وإن وجدت في القرآن لكن الرابعة لم توجد فيه فقوله هي من القرآن مبني على التغليب. قلت : أراد القاري بقوله عليه الصلاة والسلام ما رواه أحمد (ج٥ص٢٠) عن سمرة بلفظ : أفضل الكلام بعد القرآن أربع ، وهي من القرآن لا يضرك بأيهن بدأت – الحديث. وقيل : معنى هي من القرآن أي متفرقة فيه لا مجتمعة لورود "سبحان الله حين تمسون ولمجيء الحمد لله كثيرا" ولقوله تعالى : "فاعلم أنه لا إله إلا الله " [محمد : ١٩] وأما قوله الله أكبر فغير موجود بهذا المبنى لكنه بحسب المعنى مستفاد من قوله تعالى : "وكبره تكبيرا " [الإسراء : ١١١] ومن قوله "وربك فكبر " [المدثر : ٣] ومأخوذ من قوله "ولذكر الله أكبر " [العنكبوت : ٤٥] ومن قوله : "ورضوان من الله أكبر " [التوبة : ٧٢] والحاصل إن المجموع بهذا الترتيب ليس من القرآن

---

(١) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٨٤٠/٧

ولذا قال الجزري : أي كل منها جاءت في القرآن – انتهى. قال القاري : ويحتمل أي قوله أفضل الكلام في حديث الباب أن يتناول كلام الله أيضا فإنها موجودة فيه لفظا ، إلا الرابعة فإنها موجودة معنى وأفضليتها مطلقا لأنها." (١)

"

وقال الباجي الذكر باللسان والقلب وهو ذكره عند الأوامر بامتثالها والمعاصي باجتنابها وذكر اللسان واجب كالفاتحة في الصلاة والإحرام والسلام وشبه ذلك ومندوب وهو سائر الأذكار فالواجب يحتمل أن يفضل على سائر أعمال البر والمندوب يحتمل أن يفضل لعظم ثوابه وهداه لطريق الخير أو لكثرة تكرره انتهى

ومقتضى هذا الحديث أن الذكر أفضل من التلاوة ويعارضه خير أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن وجمع الغزالي بأن القرآن أفضل لعموم الخلق والذكر أفضل للذاهب إلى الله في جميع أحواله في بدايته ونهايته فإن القرآن مشتمل على صنوف المعارف والأحوال والإرشاد إلى الطريق فما دام العبد مفتقرا إلى تهذيب الأخلاق وتحصيل المعارف فالقرآن أولى فإن جاوز ذلك واستولى الذكر على قلبه فمداومة الذكر أولى فإن القرآن يجاذب خاطره ويسرح به في رياض الجنة والذاهب إلى الله لا ينبغي أن يلتفت إلى الجنة بل يجعل همه هما واحدا وذكره ذكرا واحدا ليدرك درجة الفناء والاستغراق

قال تعالى ﴿ **ولذكر الله أكبر** ﴾ سورة العنكبوت الآية ٤٥ وأخذ ابن الحاج من الحديث أن ترك طلب الدنيا أعظم عند الله من أخذها والتصدق بها وأيده بما في القوت عن الحسن لا شيء أفضل من رفض الدنيا وبما في غيره عنه أنه سئل عن رجلين طلب أحدهما الدنيا بحلالها فأصابها فوصل بها رحمه وقدم فيها نفسه وترك الآخر الدنيا فقال أحبهما إلي الذي جانب الدنيا

(قال زياد بن أبي زياد) ميسرة (وقال أبو عبد الرحمن) كنية (معاذ بن جبل) بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي من أعيان الصحابة شهد بدرا وما بعدها وإليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن مات بالشام سنة ثماني عشرة وهذا قد رواه أحمد وابن عبد البر والبيهقي من طرق عن معاذ عن النبي قال (ما عمل ابن آدم) وفي رواية آدمي (من عمل) وفي رواية عملا (أنجى له من عذاب الله من ذكر الله) لأن حظ الغافلين يوم القيامة من أعمارهم الأوقات والساعات التي عمروها بذكر الله وسائر ما عداه هدر كيف ونهارهم شهوة ونومهم استغراق وغفلة فيقدمون على ربهم فلا يجدون ما ينجيهم إلا ذكر الله

---

(١) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٨٩١/٧

زاد في رواية قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب بسيفك حتى ينقطع قال ابن عبد البر فضائل الذكر كثيرة لا يحيط بها كتاب وحسبك بقوله تعالى ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** ﴾ سورة العنكبوت الآية ٤٥ أي ذكر الله العبد في الصلاة أكبر من الصلاة ومعنى ذكر الله العبد مأخوذ من الحديث عن الله تعالى إن ذكرني عبدي في الصلاة في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وأكرم

". [1]

"صفحة رقم ١٠

(باب فضل ذكر الله عز وجل ومجالس الذكر

قال الله سبحانه وتعالى : (فاذكروني أذكركم ([البقرة : ١٥٢]

وقال الله عز وجل :) **ولذكر الله أكبر** ([العنكبوت : ٤٥]

قال سعيد بن جبير : الذكر : طاعة الله ، من أطاع الله ،

فقد ذكره ، ومن لم يطعه ، فليس بذاكر وإن أكثر

التسبيح وتلاوة الكتاب ".

١٢٤٠ - أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي ، أنا

أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت سنة أربعمائة ، نا أبو إسحاق

إبراهيم بن عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الهاشمي ، نا خلاد

ابن أسلم ، نا النضر ، نا شعبة

عن أبي إسحاق سمعت الأغر قال : أشهد على أبي هريرة

وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال :

" لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم

الرحمة ، وتنزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده ".." [2]

---

(١) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ٤١/٢

(٢) شرح السنة ـ للإمام البغوى متنا وشرحا، ١٠/٥

"١١٠٢٣ . (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله : وما اجتمع قوم) المراد به هنا ما يشمل الإناث، ويحتمل تخصيصه بالذكور لأنهم لكمال عقولهم بالنسبة إليهن يقومون بآداب مجلس التلاوة، ولا كذلك هن (في بيت من بيوت الله) أي المساجد، وذكرها لأنها الأعلى لا للتخصيص (يتلون كتاب الله) أي يقرءونه جملة حالية من الفاعل (ويتدارسونه بينهم) أي يتوازعون دراسته، والأولى فيها أن يقرأ الثاني ما قرأ الأول، قيل إنه هكذا كانت مدارسة النبي مع جبريل (إلا نزلت عليهم السكينة) بالتخفيف، وحكي في «النوادر» تشديدها وقال: لا نعرف في كلام العرب فعيلة مثقلة إلا هذا الحرف وهو شاذ كما في «المصباح»، قل المصنف في «شرح مسلم»: وقد قيل في معنى السكينة أشياء، المختار أنها شيء من مخلوقات الله تعالى فيه طمأنينة ورحمة ومنه الملائكة، والله أعلم (وغشيتهم) أي عمتهم (الرحمة) أي الفضل والإحسان، ويجوز أن يراد بها إرادة ذلك والتعميم باعتبار التعلق (وحفتهم) بفتح المهملة وتشديد الفاء. أي أحاطت بهم (الملائكة) تشريفا وتعظيما لهم لما تلبسوا به من التلاوة (وذكرهم الله فيمن عنده) من الملائكة، والعندية عندية مكانة لا عندية مكان تعالى الله عن ذلك، والظاهر أن كل جملة من العطايا فوق ما قبلها فيكون فيه كالترقي، وذلك لأن ذكر الله أعلى المقامات كما قال تعالى: ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾ (العنكبوت:٤٥) ويليه إحاطة الملائكة بهم، ويليها عموم الرحمة لهم الشاملة لتنزل السكينة إذ هو منها، والله أعلم (رواه مسلم).

١٨٥ ـ باب فضل الوضوء

بضم الواو من الوضاءة: وهي الحسن والنظافة. وشرعا: استعمال الماء في أعضاء مخصوصة فمتتحا بنية، وفرض مع فرضية الصلاة ليلة الإسراء.." [١]

"وقيل: اذكروني بالتوبة أذكركم بغفران الحوبة، اذكروني بالدعاء أذكركم بالعطاء، اذكروني بالسؤال أذكركم بالنوال، اذكروني بلا غفلة أذكركم بلا مهلة، اذكروني بالندم أذكركم بالكرم، اذكروني بالمعذرة أذكركم بالمغفرة، اذكروني بالإرادة أذكركم بالإفادة، اذكروني بالتنصل أذكركم بالتفضل، اذكروني بالإخلاص أذكركم بالخلاص، اذكروني بالقلوب أذكركم بكشف الكروب، اذكروني بلا نسيان أذكركم بالإيمان، اذكروني بالافتقار أذكركم بالاقتدار، اذكروني بالاعتذار والاستغفار أذكركم بالرحمة والاغتفار، اذكروني بالإيمان أذكركم بالجنان، اذكروني بالإسلام أذكركم بالإكرام، اذكروني بالقلب أذكركم بكشف الحجب، اذكروني ذكرا فانيا

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٣٤٨/٦

أذكركم ذكرا باقيا، اذكروني بالابتهال أذكركم بالإفضال، اذكروني بالتذلل أذكركم بمغفرة الزلل، اذكروني بالاعتراف أذكركم بمحو الاقتراف، اذكروني بصفاء السر أذكركم بخالص البر، اذكروني بالصدق أذكركم بالرفق، اذكروني بالصفو أذكركم بالعفو، اذكروني بالتعظيم أذكركم بالتكريم، اذكروني بالتكبير أذكركم بالنجاة من السعير، اذكروني بترك الجفاء أذكركم بحفظ الوفاء، اذكروني بترك الخطأ أذكركم بأنواع العطاء، اذكروني بالجهد في الخدمة أذكركم بإتمام النعمة، اذكروني من حيث أنتم أذكركم من حيث أنا ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾ [العنكبوت: ٥٤] أفاد ذلك الشيخ عبد القادر.

(قال رسول الله: ذكر الله علم الإيمان) أي لواؤه (وبراءة من النفاق) لدلالة حال الذاكر على أنه إنما ذكر الله إيمانا بالله وتصديقا به (وحصن من الشيطان وحرز) أي احتراس (من النيران) وقيل إذا تمكن الذكر من القلب فإذا دنا منه الشيطان صرع كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسه الإنس كذا أفاد سيدي الشيخ عبد القادر.

.)"[١]

"عليم) (المجادلة : ٧) وقال بن أبي جمرة معناه فانا معه حسب ما قصد من ذكره لي قال ثم يحتمل ان يكون الذكر باللسان فقط أو بالقلب فقط أو بهما أو بامتثال الأمر واجتناب النهي قال والذي يدل عليه الاخبار ان الذكر على نوعين أحدهما مقطوع لصاحبه بما تضمنه هذا الخبر والثاني على خطر قال والأول يستفاد من قوله تعالى ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ﴾والثاني من الحديث الذي فيه من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا لكن ان كان في حال المعصية يذكر الله بخوف ووجل مما هو فيه يرجى له قوله فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي أي ان ذكرني بالتنزيه والتقديس سرا ذكرته بالثواب والرحمة سرا وقال بن أبي جمرة يحتمل ان يكون مثل قوله تعالى ﴿اذكروني أذكركم﴾ ومعناه اذكروني بالتعظيم أذكركم بالانعام وقال تعالى﴿ **ولذكر الله أكبر** ﴾أي أكبر العبادات فمن ذكره وهو خائف آمنه أو مستوحش آنسه قال تعالى ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾قوله وان ذكرني في ملأ بفتح الميم واللام مهموز أي جماعة ذكرته في ملأ خير منهم بعض أهل العلم يستفاد منه ان الذكر الخفي أفضل من الذكر الجهري والتقدير ان ذكرني في نفسه ذكرته بثواب لا أطلع عليه أحدا وان ذكرني جهرا ذكرته بثواب أطلع عليه الملأ الأعلى وقال بن بطال هذا نص في ان الملائكة أفضل من بني آدم وهو مذهب جمهور أهل العلم وعلى ذلك شواهد من القرآن مثل الا ان تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين والخالد أفضل من

---

(١) تنقيح القول الحثيث في شرح لباب الحديث، ص/٩٤

الفاني فالملائكة أفضل من بني آدم وتعقب بأن المعروف عن جمهور أهل السنة ان صالحي بني آدم أفضل من سائر الأجناس والذين ذهبوا الى تفضيل الملائكة الفلاسفة ثم المعتزلة وقليل من أهل السنة من أهل التصوف وبعض أهل الظاهر فمنهم من فاضل بين الجنسين فقالوا حقيقة الملك أفضل من حقيقة الإنسان لأنها نورانية وخيرة ولطيفة مع سعة العلم والقوة وصفاء الجوهر وهذا لا يستلزم تفضيل كل فرد على كل فرد لجواز." (١)

" ابن داود ولذي القرنين وأبي بكر وعمر ومن كان على مثالهم ممن بسط له فلم يبغ

وإذا انفرد الكافر وقع عليه اسم البغي في قوله لقارون فبغى عليهم ٧٦ القصص نمرود بن كنعان حين آتاه الله الملك فحاج في ربه وفرعون حين قال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ٨٨ يونس فلما اجتمعوا في الاسم الواحد فجرى عليهم اسم البغي كان الكفار أولى به كما أن المؤمن أولى بالمدح فلما قال الله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث فجمع بين ذكرين ذكر الله وذكر نبيه فأما ذكر الله إذا انفرد لم يجر عليه اسم الحدث ألم نسمع إلى قوله **ولذكر الله أكبر** ٤٥ العنكبوت هذا ذكر مبارك ٥٠ الأنبياء وإذا انفرد ذكر النبي صلى الله عليه و سلم فإنه جرى عليه اسم الحدث ألم تسمع إلى قوله والله خلقكم وما تعملون ٩٦ الصافات فذكر النبي صلى الله عليه و سلم له عمل والله له خالق محدث والدلالة على أنه جمع بين ذكرين لقوله ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث فأوقع عليه الحدث عند إتيانه إيانا وأنت تعلم أنه لا يأتينا بالأنبياء إلا مبلغ ومذكر وقال الله وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ٥٥ الذاريات فذكر إن نفعت الذكرى ٩ الأعلى إنما أنت مذكر ٢١ الغاشية

فلما اجتمعوا في اسم الذكر جرى عليهم جرى عليهم اسم الحدث وذكر النبي إذا انفرد وقع عليه اسم الخلق وكان أولى بالحدث من ذكر الله الذي إذا انفرد لم يقع عليه اسم خلق ولا حدث فوجدنا دلالة من قول الله ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلى النبي صلى الله عليه و سلم لإن النبي صلى الله عليه و سلم كان لا يعلم فعلمه الله فلما علمه الله كان ذلك محدثا إلى النبي صلى الله عليه و سلم

الرد على من احتج بما ذكر في عيسى عليه السلام

ثم إن الجهم ادعى أمرا آخر فقال إنا وجدنا آية في كتاب الله تدل على أن القرآن مخلوق فقلنا أي آية فقال قول الله إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله ." (٢)

---

(١) الجواهر الهريرية، ٤٢٦/١

(٢) الرد على الزنادقة والجهمية، ص/٣١

"ذكر معرفة اسم الله الأكبر الذي تسمى به وشرفه على الأذكار كلها فقال D : **ولذكر الله أكبر** (١) ، وقال لنبيه A : فاعلم أنه لا إله إلا الله (٢) ، وقال : ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها (٣) ، وقال : يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤) ، فاسمه الله معرفة ذاته ، منع الله D خلقه أن يتسمى به أحد من خلقه ، أو يدعى باسمه إله من دونه ، جعله أول الإيمان ، وعمود الإسلام ، وكلمة الحق والإخلاص ، ومخالفة الأضداد والإشراك فيه ، يحتجز القاتل من القتل ، وبه يفتتح الفرائض ، وتنعقد الأيمان ، ويستعاذ من الشيطان ، وباسمه يفتتح ويختم الأشياء ، تبارك اسمه ولا إله غيره

---

(١) سورة : العنكبوت آية رقم : ٤٥

(٢) سورة : محمد آية رقم : ١٩

(٣) سورة : الأعراف آية رقم : ١٨٠

(٤) سورة : الأحزاب آية رقم : ٤١." (١)

"وهي ثانية في حساب العبد يوم القيامة كما في قوله صلى الله عليه وسلم: ((أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة صلاته فإن قبلت منه تقبل منه سائر عمله وإن ردت عليه رد عليه سائر عمله)) (١). ومعنى قوله ((أول ما يسأل عنه العبد)) أي بعد التوحيد.

وهي ثانية فيما يذكر المجرمون أنهم عوقبوا به كما في قوله تعالى في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين [المدثر: ٤٠ - ٤٣] الآيات والنصوص في شأنها كثيرة لا تحصى وهي متنوعة فمنها ما فيه الأمر بها حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين [البقرة: ٢٣٨] وقوله اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون [العنكبوت: ٤٥] وقوله: أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا [الإسراء: ٧٨] وما في معناها.

ومنها ما فيه بيان محلها من الدين كالنصوص السابقة وكقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ ((رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله)) (٢).

ومنها في ثواب أهلها كقوله تعالى: والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون [المؤمنون: ٩ - ١١].

---

(١) التوحيد لابن منده، ص/٢٠٣

ومنها ما فيه نجاتهم من النار كقوله صلى الله عليه وسلم في عصاة الموحدين ((فيعرفونهم بآثار السجود تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود)) (٣).

ومنها ما في عقاب تاركها كقوله تعالى فويل للمصلين۝ الذين هم عن صلاتهم ساهون [الماعون: ٤ – ٥] وقوله تعالى: فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا إلا من تاب [مريم: ٥٩ – ٦٠] الآية، وقوله تعالى: يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون [القلم: ٤٢ – ٤٣].

---

(١) ((المصنف)) (٢/ ١٧١) (٧٧٧٢) لابن أبي شيبة وروي بألفاظ مقاربة، قال الهيثمي في ((المجمع)) (١/ ٢٩٢) رواه الطبراني في الاوسط وفيه القسم بن عثمان قال البخاري له أحاديث لا يتابع عليها وذكره ابن حبان في الثقات وقال ربما أخطأ، وصححه الألباني في ((الصحيحة)) (١٣٥٨)

(٢) رواه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٥/ ٢٣١) (٢٢٠٦٩)، و الحاكم (٢/ ٤٤٧). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وقال الألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)): صحيح.

(٣) رواه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.." [١]

"الفطرة في كلام ابن تيمية

قال: [قال تعالى في حق يوسف عليه السلام: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ [يوسف:٢٤]، فالله يصرف عن عبده ما يسوؤه من الميل إلى الصور والتعلق بها، ويصرف عنه الفحشاء بإخلاصه لله، ولهذا يكون قبل أن يذوق حلاوة العبودية لله والإخلاص له تغلبه نفسه على اتباع هواها، فإذا ذاق طعم الإخلاص وقوي في قلبه انقهر له هواه بلا علاج، قال الله تعالى: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر**﴾ [العنكبوت:٤٥]؛ فإن الصلاة فيها دفع للمكروه وهو الفحشاء والمنكر، وفيها تحصيل المحبوب وهو ذكر الله سبحانه وتعالى، وحصول هذا المحبوب أكبر من دفع ذلك المكروه، فإن ذكر الله عبادة لله، وعبادة القلب لله مقصودة لذاتها، وأما اندفاع الشر عنه فهو مقصود لغيره على سبيل التبع].

يقصد ابن تيمية بكلامه: الفطرة، فإن الله عز وجل يقول: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٦/١٠٢

الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [الروم:٣٠].
ويقول عليه الصلاة والسلام: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء، حتى تكونوا أنتم تجدعونها) ثم قرأ أبو هريرة الآية السابقة في سورة الروم.." [١]

"إجماع أهل السنة على أن الإيمان يزيد وينقص

قال الشارح رحمه الله: [قوله: ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾ [الأنفال:٢]: استدل الصحابة والتابعون ومن تبعهم من أهل السنة بهذه الآية ونظائرها على زيادة الإيمان ونقصانه.
قال عمير بن حبيب الصحابي: إن الإيمان يزيد وينقص، فقيل له: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله وخشيناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه.
رواه ابن سعد].
يعني: أن الإيمان يزيد بالعمل، ولهذا قال أهل السنة في تعريف الإيمان: هو قول واعتقاد وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فجعلوا الزيادة والنقص من تمام التعريف؛ لأن أهل البدع، -مثل المعتزلة والخوارج- وإن وافقوا أهل السنة أول التعريف، إلا أنهم خالفوهم فيما يتعلق بالزيادة والنقصان، فالإيمان عند الخوارج والمعتزلة هو فعل الطاعات وعقيدة القلب -يعني: تصديقه- وكذلك عمل الأركان: القول والعمل، فلو كان يأتي بجميع الواجبات مصدقا عاملا بها ثم ترك واجبا فإنه يكون خارجا من الإيمان عند الخوارج وعند المعتزلة، إلا أنه عند الخوارج يصير كافرا وعند المعتزلة يبقى في منزلة بين الكفر والإيمان، فلا يكون كافرا ولا مؤمنا، وإنما يكون قد خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر! وهذه من بدعهم التي انفردوا بها، ولم يقل بها أحد غيرهم.
ثم إنهم وافقوا الخوارج في حكم الآخرة وقالوا: إذا مات على ذلك صار في النار، أما أهل السنة فزادوا في تعريفهم للإيمان: قول واعتقاد وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فقولهم: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، من تمام التعريف وهو لمخالفة المبتدعة، أما غيرهم من أهل البدع فيجعلونه: قولا، وبعضهم يجعله تصديقا، وجعله قولا هذا من أغرب ما يكون؛ لأنه يلزم منه أن الإنسان إذا قال بلسانه فهو مؤمن وإن كان كافرا بقلبه.
وعلى كل حال فكل من خالف ما جاء في كتاب الله وما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلابد

(١) شرح رسالة العبودية لابن تيمية - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٦/١٠

أن يقع في الأخطاء الفضيعة الواضحة.

قال الشارح رحمه الله: [وقال مجاهد: الإيمان يزيد وينقص وهو قول وعمل.

رواه ابن أبي حاتم].

يدخل في القول: قول اللسان وقول القلب مثل الخوف والخشية والوجل والإنابة والمحبة والرضا هذا كله من قول القلب؛ لأن القول ينقسم إلى قسمين عند أهل السنة: قول يكون باللسان، وقول يكون بالقلب وهو: عقيدته وعمله.

قال الشارح رحمه الله: [وحكى الإجماع على ذلك الشافعي وأحمد وأبو عبيد وغيرهم رحمهم الله تعالى.

وقوله: ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ [الأنفال:٢]، أي: يعتمدون عليه بقلوبهم، مفوضين إليه أمورهم فلا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك وحده والمعبود وحده لا شريك له.

وفي الآية وصف المؤمنين حقا بثلاثة مقامات من مقامات الإحسان وهي: الخوف، وزيادة الإيمان، والتوكل على الله وحده].

بل خمس مقامات؛ لأن تمام الآية: ﴿الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ [الأنفال:٣]، فهي خمس مقامات واضحة.

قال الشارح رحمه الله: وهذه المقامات تقتضي كمال الإيمان وحصول أعماله الباطنة والظاهرة، مثال ذلك: الصلاة، فمن أقام الصلاة وحافظ عليها وأدى الزكاة كما أمره الله استلزم ذلك العمل بما يقدر عليه من الواجبات، وترك جميع المحرمات كما قال تعالى: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر**﴾ [العنكبوت:٤٥]].." [1]

"وعمر، ومن كان على مثالهم ممن بسط له فلم يبغ.

وإذا انفرد الكافر وقع عليه اسم البغي في قوله لقارون: ﴿فبغى عليهم﴾ [القصص: ٧٦] . ونمرود بن كنعان حين آتاه الله الملك فحاج في ربه، وفرعون حين قال موسى: ﴿ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا﴾ [يونس: ٨٨] .

فلما اجتمعوا في الاسم الواحد فجرى عليهم اسم البغي كان الكفار أولى به، كما أن المؤمن أولى بالمدح.

فلما قال الله تعالى: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ [الأنبياء: ٢] .

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ١١/٩٠

فجمع بين ذكرين: ذكر الله، وذكر نبيه، فأما ذكر الله إذا انفرد لم يجر عليه اسم الحدث، ألم تسمع إلى قوله: ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾ [العنكبوت: ٤٥] . ﴿وهذا ذكر مبارك﴾ [الأنبياء: ٥٠] .

وإذا انفرد ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- فإنه جرى عليه اسم الحدث، ألم تسمع إلى قوله: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات: ٩٦] .

فذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- له عمل، والله له خالق محدث، والدلالة على أنه جمع بين ذكرين لقوله: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ [الأنبياء: ٢] . فأوقع عليه الحدث عنه إتيانه إيانا، وأنت تعلم أنه لا يأتينا بالأنباء إلا مبلغ ومذكر، وقال الله: ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ [الذاريات: ٥٥] . ﴿فذكر إن نفعت الذكرى﴾ [الأعلى: ٩] ، ﴿إنما أنت مذكر﴾ [الغاشية: ٢١] .

فلما اجتمعوا في اسم الذكر، جرى عليهم اسم الحدث، وذكر النبي إذا انفرد وقع عليه اسم الخلق وكان أولى بالحدث من ذكر الله الذي إذا انفرد لم يقع عليه اسم خلق، ولا حدث، فوجدنا دلالة من قول الله: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ [الأنبياء: ٢] إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان لا يعلم فعلمه الله، فلما علمه الله كان ذلك محدثا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.." (١)

"إذ لا يواصل الحق بها ولا يفاصل ولا يعتمد عليها اعتماد معول ولا يتركها ترك معاند بل يقيم وظائف الحق رقا وعبودية ويكون الاعتماد على ما في الازل

يريد باستحلاء الطاعة رؤيتها من نفسك دون مشاهدة فضل الله عليك في التوفيق في قول الله تعالى ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾ قال أكبر من أن تبلغه أفهامكم وتحويه عقولكم ويجري على ألسنتكم

وحقيقة الذكر هو نسيان ما سواه فيه لقوله عز وجل ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ وفي قوله تعالى ﴿كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ أي الخالية عن ذكر الله لتعلموا أنكم بفضله نلتم لا بأعمالكم

قال أبو بكر القحطبي نفوس الموحدين نفوس سئمت من جميع ما ظهر من نعوتها وصفاتها واستقبحت كل باد بدا منها وانقطعت عن الشواهد والعوائد والفوائد وعجزت عن إظهار الدعوى بين يديه لما سمعت قوله عز وجل ﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾

الشواهد الخلق والعوائد الاعواض والفوائد الاعراض

قال أبو بكر الواسطي معنى التكبير في الصلاة كأنك تقول جللت عن أن تواصل بها أو تفاصل بتركها إذ

(١) الرد على الجهمية والزنادقة أحمد بن حنبل ص/١٢٤

الفصل والوصل ليس بحركات بل هو بما سبق في الازل

قال الجنيد لا يكونن همك في صلاتك إقامتها دون الفرح والسرور بالاتصال بمن لا وسيلة إليه إلا به

قال ابن عطاء لا يكونن همك في صلاتك إقامتها دون الهيبة والاجلال لمن رآك فيها." (١)

"وقد روي ذلك مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم

أخبرنا يحيى بن يوسف قال حدثنا يوسف بن يعقوب قال حدثنا أبو ذر محمد بن إبراهيم قال حدثنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا الحسين بن حريث قال حدثنا الفضل بن موسى عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن زياد مولى بن عياش عن أبي بحرية عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وذكر الحديث على ما في الموطأ

قال وقال أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل ما عمل بن آدم من عمل أنجى له مِن عذاب الله من ذكر الله حدثنا سعيد وعبد الوارث قالا حدثنا قاسم قال حدثنا محمد قال حدثنا أبو بكر قال حدثنا أبو خالد الأحمر قال حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري عن أبي الزبير عن طاوس عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما عمل بن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكره قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب بسيفك حتى ينقطع

قال أبو عمر صدر مالك (رحمه الله) هذا الباب بالأحاديث المرفوعة ليعرف بِهَا الناظر في كتابه ما الذكر ثم أتبعها بفضائل الذكر وفضائل الذكر كثيرة جدا لا يحيط بها كتاب وحسبك أنه أكبر من الصلاة قال الله عز وجل (إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر**) العنكبوت ٤٥

روى إسرائيل عن الثوري عن أبي مالك في قوله (**ولذكر الله أكبر**) قال ذكر الله العبد في الصلاة أكبر من الصلاة ومعنى ذكر الله العبد مأخوذ من النبي (عليه السلام) حاكيا عن الله تعالى إن ذكرني وحده العبد ذكرته وحدي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وأكرم

ذكر سنيد عن جرير عن عطاء بن السائِب عن عبد الله بن ربيعة عن بن عباس قال ذكر الله إياكم إذا ذكرتموه أكبر من ذكركم إياه

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف أبو بكر الكلاباذي ص/١٤٢

قال سنيد وحدثني أبو شميلة عن جابر عن أبي حمزة عن عامر الشعبي عن أبي قرة عن سلمان مثله قال وحدثنا جرير عن منصور عن هلال بن يساف عن أبي عبيدة قال." (١)

"الذكر لتبين للناس﴾ ١، وقال: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر﴾ ٢، وقال ﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه﴾ ٣، فذكر الذكر في هذه الآية منكرا٤ إلا أنه مدحه بالبركة ووصفه بأنه منزل ليدل على أنه القرآن.

وفي هذه الآية التي استدلوا بها ذكر منكر ولم يمدحه إلا وصفه بأنه منزل ليدل على أنه غير القرآن فيحمل على أحد معنيين: إما على النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله سماه ذكرا بقوله تعالى: ﴿قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم﴾ ٥، ويدل على هذا التأويل أنه قال: ﴿ما يأتيهم من ذكر﴾ فذكر أن الذكر يأتيهم، والذي يأتيهم بنفسه هو النبي صلى الله عليه وسلم في المواعظ والتخويف من كلامه لا من كلام الله٦، ويدل على هذا أن قريشا كانوا إذا سمعوا القرآن

---

١ النحل آية (٤٤) .

٢ القلم آية ٥١.

٣ الأنبياء آية (٥٠.

٤ في - ح- (متكررا) .

٥ الطلاق آية (١٠) .

٦ ذكر الإمام أحمد في الرد على الجهمية استدلال الجهمية بهذه الآية ورد عليهم بإجابة مطولة مما جاء فيها (أن الشيئين إذا اجتمعا في اسم مدح كان أعلاهما أولى بالمدح وأغلب عليه، وإن جرى عليهما اسم ذم فأدناهما أولى به فضرب الأمثلة لذلك ثم قال: فلما قال الله تعالى: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ فجمع بين ذكرين ذكر الله وذكر نبيه، فأما ذكر الله إذا انفرد لم يجر عليه اسم الحدث ألم تسمع إلى قوله ﴿ولذكر الله أكبر﴾ ﴿وهذا ذكر مبارك﴾ وإذا انفرد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فإنه جرى عليه اسم الحدث ألم تسمع إلى قوله: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ فذكر النبي صلى الله عليه وسلم له عمل والله له خالق ومحدث والدلالة على أنه جمع بين ذكرين لقوله: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ ، فأوقع عليه الحدث عند إتيانه إيانا، وأنت تعلم أنه لا يأتينا بالأنبياء إلا مبلغ ومذكر وقال الله:

---

(١) الاستذكار ابن عبد البر ٥١٧/٢

﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ ﴿إنما أنت مذكر﴾ فلما اجتمعوا في اسم الذكر جرى اسم الحدث، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم إذا انفرد وقع عليه اسم الخلق وكان أولى بالحدث من ذكر الله الذي انفرد لم يقع عليه اسم خلق ولا حدث، فوجدنا دلالة من قول الله: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ أي النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم فعلمه الله، فلما علمه الله كان ذلك محدثا إلى النبي صلى الله عليه وسلم) انتهى.

الرد على الجهمي ص٨٠ – ٨٢ ضمن عقائد السلف. كما ذكر هذين الوجهين في الآية ابن حجر عن ابن بطال. انظر: فتح الباري ١٣/٤٩٧.." (١)

"وتعالى- في هذه الآية رفع الإشكال، وبين أن الكتابة هي الغاية القصوى في الاحتراز من الشك والبعد من الريب، ونص على أنها أقسط وأقوم، وجاء بأفعل التفضيل، وحذف المفضل عليه تعميما لتفضيل الكتابة على سائر الوجوه المبعدة من الريب، المقربة من اليقين، كما في قوله تعالى: **﴿ولذكر الله أكبر﴾** [العنكبوت: ٤٥] وفي قول المصلي.

وهذا في الشهادة المبنية على العلم، فكيف في الاجتهاد المبني على الظن، وهذا في حقوق المخلوقين المبنية على المبالغة في الاحتراز بحيث إنه لا يقبل فيها قول العدل الواحد، ولا قول جماعة العدول فيما يدعونه لنفوسهم ونحو ذلك من الخصائص، فكيف في حقوق الله التي لم يشترط فيها شيء من ذلك. وهذه الآية حجة لمن يجيز الشهادة على الخط المعروف، وهي على أصله أظهر في المقصود هنا، وإن كانت حجة على كلا المذهبين. لأن من لا يجيز الشهادة على الخط يتأولها بأن الخط مذكر لمن نسي تذكيرا يعود معه العلم الضروري، فثبت أن الشاهد لا يجب أن يكون حافظا حتى يشهد، ويجوز أن ينسى، ثم يتذكر، فالمجتهد أولى بذلك.

الحجة الثامنة: أن الجماهير قد أجازوا رواية لفظ النبي – صلى الله عليه وسلم – بالمعنى، ولم يوجبوا حفظه بلفظه، واحتجوا على ذلك بحجج أقواها رواية الحديث للعجم بلسان العجم، ومنها إجماع الصحابة على جوازه حيث يروون الحديث الواحد في الواقعة الواحدة بألفاظ مختلفة من غير مناكرة بينهم. فإذا تقرر هذا الذي ذهب إليه الجمهور، والذي قامت عليه الأدلة أنه لا يجب حفظ لفظ حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على من سمعه منه -عليه السلام- بغير واسطة، فكيف يجب على من بلغه حديث." (٢)

---

(١) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار العمراني ٢/٥٧٦

(٢) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ١/٢٥٤

"٢٨٨٦ - (ألا) قال القاضي: حرف تنبيه يؤكد بها الجملة المصدرة بها (أنبئكم بخير أعمالكم) أي أفضلها (وأزكاها عند مليككم) أي أنماها وأطهرها عند ربكم ومالككم (وأرفعها في درجاتكم) أي منازلكم في الجنة (وخير لكم من إنفاق الذهب) قال الطيبي: مجرور عطف على خير أعمالكم من حيث المعنى لأن المعنى ألا أنبئكم بما هو خير لكم من بذل أموالكم ونفوسكم (والورق) بكسر الراء الفضة (وخير لكم من أن تلقوا عدوكم) يعني الكفار (فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم) يعني تقتلوهم ويقتلونكم بسيف أو غيره (ذكر الله) لأن سائر العبادات من الإنفاق ومقاتلة العدو وسائل ووسائط يتقرب بها إلى -[١١٦]- الله تعالى والذكر هو المقصود الأسنى ورأس الذكر قول لا إله إلا الله وهي الكلمة العليا وهي القطب الذي يدور عليه رحى الإسلام والقاعدة التي بني عليها أركان الدين والشعبة التي هي أعلى شعب الإيمان بل هي الكل وليس غيره ﴿قل إنما يوحى إلي أنما الهكم إله واحد﴾ أي الوحي مقصور على استئثار الله بالوحدانية لأن القصد الأعظم من الوحي التوحيد ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله﴾ ولأمر ما تجد العارفين يؤثرونها على جميع الأذكار لما فيها من الخواص التي لا طريق إلى معرفتها إلا الوجدان والذوق قالوا: وهذا محمول على أن الذكر كان أفضل للمخاطبين به ولو خوطب به شجاع باسل حصل به نفع الإسلام في القتال لقيل له الجهاد أو الغنى الذي ينتفع به الفقراء بماله قيل له الصدقة والقادر على الحج قيل له الحج أو من له أصلان قيل له برهما وبه يحصل التوفيق بين الأخبار وقال ابن حجر: المراد بالذكر هنا الذكر الكامل وهو ما اجتمع فيه ذكر اللسان والقلب بالشكر واستحضار عظمة الرب وهذا لا يعدله شيء وأفضل الجهاد وغيره إنما هي بالنسبة إلى ذكر اللسان المجرد وهذا الحديث يقتضي أن الذكر أفضل من تلاوة القرآن وقضية الحديث المار وهو قوله أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن يقتضي عكسه فوقع التعارض بينهما وجمع الغزالي بأن القرآن أفضل لعموم الخلق والذكر أفضل للذاهب إلى الله في جميع أحواله في بدايته ونهايته فإن القرآن مشتمل على صنوف المعارف والأحوال والإرشاد إلى الطريق فما دام العبد مفتقرا إلى تهذيب الأخلاق وتحصيل المعارف فالقرآن أولى له فإن جاوز ذلك واستولى الذكر على قلبه فمداومة الذكر أولى به فإن القرآن يجاذب خاطره ويسرح به في رياض الجنة والذاهب إلى الله لا ينبغي أن يلتفت إلى الجنة بل يجعل همه هما واحدا وذكره ذكرا واحدا ليدرك درجة الفناء والاستغراق ولذلك قال تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ . [(١)]أخذ ابن الحاج من ذلك ترك طلب الدنيا أعظم عند الله من أخذها والتصدق بها وأيده بما في القوت عن الحسن أنه لا شيء أفضل من رفض الدنيا وبما في غيره عنه أنه سئل عن رجلين طلب أحدهما الدنيا

---

(١) تنبيه

بحلالها فأصابها فوصل بها رحمه وقدم فيها لنفسه وترك الآخر الدنيا فقال: أحبهما إلي الذي جانب الدنيا. (تنبيه آخر) قد أخذ الصوفية بقضية هذا الحديث فذهبوا أنه لا طريق إلى الوصول إلا الذكر قالوا: فالطريق في ذلك أولا أن يقطع علائق الدنيا بالكلية ويفرغ قلبه عن الأهل والمال والولد والوطن والعلم والولاية والجاه ويصير قلبه إلى حالة يستوي عنده فيها وجود ذلك وعدمه ثم يخلو بنفسه مع الاقتصار على الفرض والراتبة ويقعد فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة ولا غيرها بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى ذكر الله فلا يزال قائلا بلسانه الله الله على الدوام مع حضور قلبه إلى أن ينتهي إلى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية عليه ثم يصير إلى أن ينمحي أثره من اللسان فيصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم تنمحي صورة اللفظ ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه لا يفارقه وعند ذلك انتظار الفتح ورد عليهم النظار وذوي الاعتبار بما حاصله أن تقديم تعلم العلم أوفق وأقرب إلى الغرض ثم لا بأس أن يعقبه بالمجاهدة المذكورة

(ت) في الدعوات (هـ) في ثواب التسبيح (ك) في الدعاء والذكر (عن أبي الدرداء) عويمر قال الحاكم: صحيح وأقره الذهبي ورواه أحمد أيضا قال الهيثمي: وسنده حسن." (١)

"٥٤٥٠ - (علامة حب الله تعالى حب ذكر الله وعلامة بغض الله بغض ذكر الله عز وجل) أي علامة حب الله لعبده حب عبده لذكره لأنه إذا أحب عبدا ذكره وإذا ذكره حبب إليه ذكره فيذكر ربه بذكره تعالى له كما يحبه بحبه له قال تعالى ﴿يحبهم ويحبونه﴾ ﴿ولذكر الله أكبر﴾ أي ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد لله لأن ذكر الله للعبد يثير من العبد ذكره له وقد يجري على ظاهره ويكون المعنى علامة المحب لله كثرة ذكره له لأن من أحب شيئا أكثر ذكره وفي الخبر أنت مع من أحببت أي إن كنت كذلك فأنت مع من أحببت شهودا له بالقلب وذكرا له باللسان وخدمة له بالأركان فذكر الله من العبد بلسانه علامة شهوده له بجنانه كما قال: اعبد الله كأنك تراه

(هب عن أنس) بن مالك ورواه عنه الحاكم والديلمي." (٢)

"٦٠٦٠ - (قال الله تعالى عبدي) بحذف حرف النداء (إذا ذكرتني خاليا) عن الخلائق أو عن الالتفات لغيري وإن كنت معهم (ذكرتك خاليا) أي إن ذكرتني بالتنزيه والتقديس سرا ذكرتك بالثواب والرحمة سرا وقال ابن أبي جمرة: يحتمل كونه كقوله تعالى ﴿اذكروني أذكركم﴾ معناه اذكروني بالتعظيم أذكركم

---

(١) فيض القدير المناوي ١١٥/٣

(٢) فيض القدير المناوي ٣٢٠/٤

بالإنعام وقال تعالى ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾ أي أكبر العبادات فمن ذكره وهو خائف أمنه أو مستوحش آنسه ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير منهم وأكبر) وفي رواية بدله خير من الذين ذكرتني فيهم وهذا تنويه عظيم بشرف الذكر قال بعض العارفين: الذاكر ربه حياته متصلة دائمة لا تنقطع بالموت فهو حي وإن مات بحياة هي خير وأتم من حياة المقتول في سبيل الله ومن لا يذكر الله ميت وإن كان في الدنيا بين الأحياء فإنه حي بالحياة الحيوانية وجميع العالم حي بحياة الذكر فمثل الذاكر وغيره مثل الحي والميت وإنما كان الذاكر أفضل من الشهيد الغير الذاكر لقوله في الخبر المار ألا أخبركم بأفضل إلخ

(هب عن ابن عباس) ورواه عنه البزار قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح غير بشر بن معاذ العقدي وهو ثقة." (١)

"عن أسماء بنت يزيد) بن السكن الأنصارية // (بإسناد حسن أو صحيح) //

(ألا أنبئكم بخير أعمالكم) أي أفضلها (وأزكاها عند مليككم) أي أنماها وأطهرها عند ربكم (وأرفعها في درجاتكم) أي منازلكم في الجنة (وخير لكم من إنفاق الذهب والورق) بكسر الراء الفضة (وخير لكم من أن تلقوا عدوكم) يعني الكفار (فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم) يعني تقتلوهم ويقتلوكم بسيف أو غيره قالوا وما ذاك قال (ذكر الله) لأن جميع العبادات من الإنفاق ومقاتلة العدو وغيرهما وسائل ووسايط يتقرب بها إلى الله والذكر هو المقصود الأعظم والقلب الذي تدور عليه رحا جميع الأديان وهذا الحديث يقتضي أن الذكر أفضل من تلاوة القرآن وقضية الحديث المار و ه ِو قوله أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن يقتضي عكسه فوقع التعارض بينهما وجمع الغزالي بأن القراءة أفضل لعموم الخلق والذكر أفضل للذاهب إلى الله في جميع أحواله في بدايته ونهايته فإن القرآن مشتمل على صنوف المعارف والأحوال والإرشاد إلي الطريق فما دام العبد مفتقرا إلى تهذيب الأخلاق وتحصيل المعارف فالقرآن أولى به فإن جاوز ذلك واستولى الذكر على قلبه فمداومة الذكر أولى فإن القرآن يجاذب خاطره ويسرح به في رياض الجنة والذاهب إلى الله لا ينبغي أن يلتفت إلى الجنة بل يجعل همه هما واحدا وذكره ذكرا واحدا ليدرك درجة الفناء والإستغراق ولذلك قال تعالى **ولذكر الله أكبر** (ت هـ ك عن أبي الدرداء) عويمر قال الحاكم // (صحيح وأقروه) //

(ألا يا رب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا) أي مشغولة بلذات المطاعم والملابس غافلة عن الآخرة (جائعة عارية) بالرفع خبر المبتدأ أي هي لأنه إخبار عن حالها (يوم القيامة) أي تحشر وهي جائعة عارية يوم

---

(١) فيض القدير المناوي ٤/٤٩٤

الموقف الأعظم (ألا يا رب نفس جائعة عارية في الدنيا طاعمة) من طعام دار الرضا (ناعمة يوم القيامة) بطاعتها لمولاها وعدم رضاها بما رضي به الكفار في الدنيا (ألا يا رب مكرم لنفسه) بمتابعته هواها وتبليغها مناها (وهولها مهين) فإن ذلك يبعده عن الله ويوجب حرمانه (ألا يا رب مهين لنفسه) بمخالفتها وإذلالها وإلزامها للعبودية (وهو لها مكرم (يوم العرض الأكبر لسعية فيما يوصلها إلى العز الأبدي والسعادة السرمدية ولله در الأستاذ أبي إسحق الشيرازي حيث يقول

(صبرت على بعض الأذى خوف كله ... وألزمت نفسي صبرها فاستقرت)

(وجرعتها المكروه حتى تدربت ... ولو حملته جملة لأشمأزت)

(فيا رب عز جر للنفس ذلة ... ويا رب نفس بالتذلل عزت)

(وما العز إلا خيفة الله وحده ... ومن خاف منه خافه ما أقلت)

(ألا يا رب منخوص ومتنعم فيما أفاء الله على رسوله ماله عند الله من خلاق) أي نصيب

(ألا وإن عمل أهل الجنة) أي العمل الذي يقرب منها ويوصل إليها (حزن) ضد السهل (بربوة) بضم الراء وتفتح مكان مرتفع (ألا وإن عمل أهل النار سهل بسهوة) بسين مهملة أرض لينة التربة شبه المعصية في سهولتها على مرتكبها بأرض سهلة لا حزونة فيها (ألا يا رب شهوة ساعة) واحدة كشهوة نظر إلى مستحسن محرم (أورثت حزنا طويلا) في الدنيا والآخرة (ابن سعد) في الطبقات (هب عن أبي البجير) بالجيم صحابي له رواية وحديث

(إياك) منصوب بفعل مضمر لا يجوز إظهاره وتقديره هنا باعد وانق (وكل أمر يعتذر منه) أي احذر أن تتكلم بما يحتاج أن تعتذر." [١]

"يتقرب بها إلى الله تعالى، والذكر هو المقصود الأسمى، ورأسه لا إله إلا الله، وهي الكلمة العليا والقطب الذي تدور عليه رحى الإسلام والقاعدة التي بني عليها أركانه والشعبة التي هي أعلى شعب الإيمان، بل هي الكل وليس غيره ﴿قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾ [الأنبياء: ١٠٨] (سورة الأنبياء: الآية ١٠٨) أي الوحي مقصور على التوحيد ؛ لأنه القصد الأعظم من الوحي، ووقع غيره تبعا ولذا آثرها العارفون على جميع الأذكار لما فيها من الخواص التي لا تعرف إلا بالوجدان والذوق، قالوا: وهذا محمول على

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٤٠١/١

أن الذكر كان أفضل للمخاطبين به، ولو خوطب شجاع باسل يحصل به نفع الإسلام في القتال لقيل له الجهاد، أو غني ينتفع الفقراء بماله لقيل الصدقة، أو القادر على الحج لقيل له الحج، أو من له أبوان قيل برهما، وبه يحصل التوفيق بين الأخبار.

وقال الحافظ: المراد بالذكر هنا الذكر الكامل، وهو ما اجتمع فيه ذكر اللسان والقلب بالشكر واستحضار عظمة الرب، وهذا لا يعدله شيء، وفضل الجهاد وغيره إنما هو بالنسبة إلى ذكر اللسان المجرد. وقال الباجي: الذكر باللسان والقلب، وهو ذكره عند الأوامر بامتثالها والمعاصي باجتنابها، وذكر اللسان واجب كالفاتحة في الصلاة والإحرام والسلام وشبه ذلك، ومندوب وهو سائر الأذكار، فالواجب يحتمل أن يفضل على سائر أعمال البر، والمندوب يحتمل أن يفضل لعظم ثوابه وهداه لطريق الخير أو لكثرة تكرره، انتهى.

ومقتضى هذا الحديث أن الذكر أفضل من التلاوة، ويعارضه خبر: " «أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن» " وجمع الغزالي بأن القرآن أفضل لعموم الخلق، والذكر أفضل للذاهب إلى الله في جميع أحواله في بدايته ونهايته، فإن القرآن مشتمل على صنوف المعارف والأحوال والإرشاد إلى الطريق، فما دام العبد مفتقرا إلى تهذيب الأخلاق وتحصيل المعارف فالقرآن أولى، فإن جاوز ذلك واستولى الذكر على قلبه فمداومة الذكر أولى، فإن القرآن يجاذب خاطره ويسرح به في رياض الجنة، والذاهب إلى الله لا ينبغي أن يلتفت إلى الجنة بل يجعل همه هما واحدا وذكره ذكرا واحدا ليدرك درجة الفناء والاستغراق.

قال تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] (سورة العنكبوت: الآية ٤٥) وأخذ ابن الحاج من الحديث أن ترك طلب الدنيا أعظم عند الله من أخذها والتصدق بها، وأيده بما في القوت عن الحسن: لا شيء أفضل من رفض الدنيا، وبما في غيره عنه: أنه سئل عن رجلين طلب أحدهما الدنيا بحلالها فأصابها فوصل بها رحمه وقدم فيها نفسه، وترك الآخر الدنيا. فقال: أحبهما إلي الذي جانب الدنيا. (قال زياد بن أبي زياد) ميسرة (وقال أبو عبد الرحمن) كنية (معاذ بن جبل) ابن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، من أعيان الصحابة، شهد بدرا وما بعدها، وإليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن، مات بالشام سنة ثماني عشرة، وهذا قد رواه أحمد وابن عبد البر والبيهقي من طرق، عن معاذ، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (ما عمل ابن آدم) وفي رواية آدمي (من." [(١)]

"عمل) وفي رواية عملا (أنجى له من عذاب الله من ذكر الله) ؛ لأن حظ الغافلين يوم القيامة من أعمارهم الأوقات والساعات التي عمروها بذكر الله، وسائر ما عداه هدر. كيف ونهارهم شهوة ونومهم

(١) شرح الزرقاني على الموطأ الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣٧/٢

استغراق وغفلة، فيقدمون على ربهم فلا يجدون ما ينجيهم إلا ذكر الله.

زاد في رواية: " قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع، ثم تضرب بسيفك حتى ينقطع، ثم تضرب بسيفك حتى ينقطع " قال ابن عبد البر: فضائل الذكر كثيرة لا يحيط بها كتاب وحسبك بقوله تعالى: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر**﴾ [العنكبوت: ٤٥] (سورة العنكبوت: الآية ٤٥) أي ذكر الله العبد في الصلاة أكبر من الصلاة، ومعنى ذكر الله العبد مأخوذ من الحديث عن الله تعالى: " إن «ذكرني عبدي في الصلاة في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وأكرم» ".." [1]

"ومن قطعني قطعه الله ". وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ميمونة " قالت يا رسول الله: أشعرت أني أعتقت وليدتي قال: وفعلت؟ قالت: نعم. قال أما أنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك " وأخرج النسائي من حديث سلمان ابن عامر قال: " قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وآله وسلم: الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان، صدقة وصلة ".

(ج) التقرب بالأذكار:

ترغيب الكتاب، والسنة فيها:

وأما نوافل الأذكار فقد ورد في الترغيب فيها وعظيم أجرها الكتاب والسنة. أما الكتاب فمن ذلك قوله عز وجل: ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾ أي أكبر مما سواه من الأعمال الصالحة. وقال سبحانه: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ وقال سبحانه: ﴿واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ وقال: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ وقال عز وجل: ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾ .

وفي السنة الكثير الطيب، فمن ذلك حديث أبي هريرة قال: قال النبي." [2]

"ولا يؤدون زكاة أموالهم، فأخبر الله أنهم ليسوا بمؤمنين، ثم وصف المؤمنين فقال: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ ، فأدوا فرائضه" ١. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم. ووجل القلب من الله يستلزم القيام بفعل ما أمر به وترك ما نهى

---

(١) شرح الزرقاني على الموطأ الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣٨/٢

(٢) قطر الولي على حديث الولي = ولاية الله والطريق إليها الشوكاني ص/٣٧٧

وقوله: ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ ٢.

عنه. قال السدي: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ ٣ هو الرجل يريد أن يظلم، أو قال: يهم بمعصية، فيقال له: اتق الله، اتق الله، فيجل قلبه٤. رواه ابن أبي شيبة وابن جرير.

قوله: ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾ ٥. استدل الصحابة -رضي الله عنهم- والتابعون، ومن تبعهم من أهل السنة بهذه الآية ونظائرها على زيادة الإيمان ونقصانه.

قال عمير بن حبيب الصحابي: " إن الإيمان يزيد وينقص، فقيل له: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله وخشيناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه ". رواه ابن سعد.

وقال مجاهد: "الإيمان يزيد وينقص وهو قول وعمل". رواه ابن أبي حاتم. وحكى الإجماع على ذلك الشافعي وأحمد وأبو عبيد وغيرهم رحمهم الله تعالى.

قوله: ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ أي يعتمدون عليه بقلوبهم مفوضين إليه أمورهم، فلا يرجون سواه ولا يقصدون إلا إياه، ولا يرغبون إلا إليه، يعلمون أن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك وحده، والمعبود وحده لا شريك له. وفي الآية وصف المؤمنين حقا بثلاث مقامات من مقامات الإحسان، وهي: الخوف، وزيادة الإيمان، والتوكل على الله وحده. وهذه المقامات تقتضي كمال الإيمان وحصول أعماله الباطنة والظاهرة. مثال ذلك الصلاة، فمن أقام الصلاة وحافظ عليها وأدى الزكاة كما أمره الله استلزم ذلك العمل بما يقدر عليه من الواجبات وترك جميع المحرمات، كما قال تعالى: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر**﴾ ٦.

قال: وقوله: ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ . قال ابن القيم "-

---

١ تمامه عند ابن جرير: "وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا. يقول: تصديقا. وعلى ربهم يتوكلون. يقول: لا يرجون غيره".

٢ سورة الأنفال آية: ٦٤.

٣ سورة الأنفال آية: ٢.

٤ عند ابن جرير: هو الرجل يريد أن يظلم أو يهم بمعصية، أحسبه قال: فينزع عنه.

٥ سورة الأنفال آية: ٢.

٦ سورة العنكبوت آية: ٤٥.." [1]

"المرء بسياج من العصمة، ويقيه نزعات الشيطان. ويباعد بينه وبين المعاصي إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** «١» .

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث صيغة من صيغ الذكر لا مشقة في حفظها ولا صعوبة في استيعابها، وهي مع ذلك عظيمة الأثر كبيرة الجدوى «٢» ، تغدق على المؤمن من فيض الله الخير الكثير، والأجر الوفير، تثقل من الطيبات حسناته، وتمحو من أوزاره وسيئاته، ولئن كانت سائر التكاليف شاقة على النفس. فإن الذكر بها هين سهل لا يستعدي قوة ولا استعدادا وإنما يوجب إخلاصا وتفريغا للنفس من شواغل الدنيا وهواجس «٣» القلب.

وليس بكثير على الله الذي وسعت رحمته كل شيء أن يجزل الثواب العظيم على العمل القليل. لما في هذه الصيغة من تنزيه الله عن الشريك والنظير، وتحميده على سوابغ النعم وجزيل الفضل. وتعظيمه بما هو أهله.

وأنت خبير أن هذه الفضائل إنما هي لمن أخلصوا في دعائهم. وكملوا في إيمانهم، وتجنبوا المعاصي والحرام، ونأوا عما يغضب الله من الآثام. ولا تظن أن من أدمن «٤» الذكر. وأصر على ما شاء من شهواته وانتهك حمى الله يلتحق بالمقدسين الطاهرين ويبلغ منازلهم بكلمات يجريها على لسانه. لا يتجاوز أثرها فمه.

يرشدك هذا الحديث إلى أن للأعمال والأقوال ثقلا وخفة يثقل منها ما كان خالصا لله ويخف ما شابه الرياء والغافلة. ولم يكن في حضور القلب وانتباهه. وإن الأعمال صور ماثلة وأرواحها وجود الإخلاص فيها ولقد قال الله تعالى: فاذكروني أذكركم «٥» ، وقال صلى الله عليه وسلم: «من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» «٦» .

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٢) الجدوى: العطية.

(٣) هواجس: ج الهاجس: الخاطر.

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٣٥٤

(٤) أدمن: دوام عليه.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٥٢١.

(٦) رواه البخاري في كتاب: الدعوات، باب: فضل التسبيح (٦٤٠٥) . ورواه مسلم في كتاب: الدعوات، الذكر والدعاء، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء-." [1]

"والسجود - من أسباب زيادة الإيمان ونموه.

وتقدم: أن الله سمى الصلاة إيمانا، بقوله: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ [سورة البقرة: ١٤٣] وقوله: ﴿وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر**﴾ [سورة العنكبوت: ٤٥] . فهي أكبر ناه عن كل فحشاء ومنكر ينافي الإيمان، كما أنها تحتوي على ذكر الله الذي يغذي الإيمان وينميه لقوله: ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾ .

والزكاة كذلك تنمي الإيمان وتزيده، وهي فرضها ونفلها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «والصدقة برهان» أي: على إيمان صاحبها. فهي دليل الإيمان، وتغذيه وتنميه.

والإعراض عن اللغو الذي هو كل كلام لا خير فيه، وكل فعل لا خير فيه - بل يقولون الخير ويفعلونه، ويتركون الشر قولا وفعلا - لا شك أنه من الإيمان ويزداد به الإيمان، ويثمر الإيمان.

ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم، إذا وجدوا غفلة أو تشعث إيمانهم، يقول بعضهم لبعض: " اجلس بنا نؤمن ساعة " فيذكرون الله، ويذكرون نعمه الدينية والدنيوية. فيتجدد بذلك إيمانهم.

وكذلك العفة عن الفواحش خصوصا فاحشة الزنا، لا ريب أن هذا من أكبر علامات الإيمان ومنمياته. فالمؤمن لخوفه مقامه بين يدي ربه، ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ إجابة لداعي الإيمان، وتغذية لما معه من الإيمان.

ورعاية الأمانات والعهود وحفظها من علائم الإيمان. وفي الحديث: «لا»." [2]

"وهي ثانية فيما يذكر المجرمون أنهم عوقبوا به، كما في قوله تعالى: ﴿في جنات يتساءلون، عن المجرمين، ما سلككم في سقر، قالوا لم نك من المصلين﴾ [المدثر: ٤٠-٤٣] الآيات. والنصوص في شأنها كثيرة لا تحصى وهي متنوعة، فمنها ما فيه الأمر بها كقوله: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾ [البقرة: ٢٣٨] وقوله: ﴿وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله**

(١) الأدب النبوي محمد عبد العزيز الخولي ص/٢٠٥

(٢) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان عبد الرحمن السعدي ص/٨٠

أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] وقوله: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾ [الإسراء: ٨٧] وما في معناها.

ومنها ما فيه بيان محلها من الدين، كالنصوص السابقة وكقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ: "رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله " ١.

ومنها ما في ثواب أهلها، كقوله عز وجل: ﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون، أولئك هم الوارثون، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ [المؤمنون: ٩-١١] .

ومنها ما فيه ذكر نجاتهم من النار، كقوله صلى الله عليه وسلم في عصاة الموحدين: "فيعرفونهم بآثار السجود، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود" ٢.

ومنها ما في عقاب تاركها، كقوله عز وجل: ﴿فويل للمصلين، الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ [الماعون: ٤، ٥] وقوله تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا، إلا من تاب﴾ [مريم: ٥٩،

---

١ رواه أحمد "٥/ ٢٣١ و٢٣٧" والترمذي "٥/ ١١، ١٢/ ح٢٦١٦" في الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه "٢/ ١٣١٤/ ح٣٩٧٣" في الفتن، باب كف اللسان عن الفتنة من حديث معاذ.

٢ رواه البخاري "١٣/ ٤١٩" في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة﴾ ، ومسلم "١/ ١٦٣/ ح١٨٢" في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية.." [(١)]

"مسائل على الباب

- المسألة الأولى) احتج الزاهدون في تعلم التوحيد اليوم بالحديث الذي في مسلم عن جابر مرفوعا (إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون؛ ولكن في التحريش بينهم)! (١) رواه مسلم (٢). فما الجواب عنه؟

الجواب من أوجه:

١) أن هذا اليأس هو بحسب ظن الشيطان نفسه، فهو لا يعلم الغيب، وليس في الحديث أن الله تعالى أيسه من ذلك، وقد حصل ذلك من الشيطان لكثرة ما رأى من انتشار الإسلام. (٣)

٢) أن الحديث ذكر وصف هؤلاء بأنهم - المصلون - وهو وصف أخص من عموم المسلمين، فتكون

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول حافظ بن أحمد حكمي ٤٢٦/٢

للعهد. والعهد هنا هو على أحد معنيين:

أ) أنهم الصحابة الذين هم أول مقصود عند ذكر الحديث، وعليه فما يؤمن عليهم من الفتنة لا يؤمن على غيرهم ممن بعد عهده عن الوحي والرسالة وأصول الإسلام.

ب) المصلون الصلاة التامة العالمون بحقيقتها ومعانيها، فهم الموحدون حقيقة، وانظر استثناء الله تعالى لهم بقوله ﴿إلا المصلين﴾ (المعارج:٢٢). (٤)

٣) أنه يئس من جهة إطباق أهل الأرض على الشرك، لأن الله تعالى امتن على المسلمين بوجود الطائفة المنصورة الباقية على الحق. (٥)

٤) بقي أن يقال - وهي قاصمة ظهر الزاهدين في تعلم التوحيد - بأن الحديث إن حمل على ظاهره مطلقا! فنقول إنه يئس من وقوع الشرك في جزيرة العرب فقط، فهو دليل قوة الإسلام هناك وانتشاره فيه ورسوخ قدم علمائه، بخلاف غيرها من البلدان. (٦)

---

(١) وقريب منه في الاستدلال من يحتج بقوله صلى الله عليه وسلم (وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا؛ ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها). البخاري (٣١٥٨)، ومسلم (٢٩٦١) عن عمرو بن عوف مرفوعا.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في كتابه (فتح الباري) (٣ /٢١١): (أي: على مجموعكم، لأن ذلك قد وقع من البعض؛ أعاذنا الله تعالى).

(٢) مسلم (٢٨١٢).

(٣) وأما حديث أبي بن كعب؛ قال: يا رسول الله - والذي بعثك بالحق - إنه ليعترض في صدري الشيء؛ وودت أن أكون حمما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الحمد لله الذي قد يئس الشيطان أن يعبد بأرضكم هذه مرة أخرى، ولكنه قد رضي بالمحقرات من أعمالكم). فهو منقطع. أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠ /١٧٢). انظر كتاب (المطالب العالية) (١٢ /٥٥٣) للحافظ العسقلاني رحمه الله.

(٤) وتأمل قوله تعالى ﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون﴾ (العنكبوت:٤٥).

وفي الحديث (منكم من يصلي الصلاة كاملة، ومنكم من يصلي النصف والثلث والربع والخمس - حتى بلغ - العشر). حسن. النسائي في الكبرى (٦١٦) عن أبي اليسر مرفوعا. صحيح الترغيب والترهيب

.(٥٣٨)

(٥) كما في حديث ابن عباس مرفوعا (لما افتتح صلى الله عليه وسلم مكة؛ رن إبليس رنة اجتمعت إليه جنوده، فقال: إيأسوا أن نرى أمة محمد على الشرك بعد يومكم هذا! ولكن افتنوهم في دينهم، وأفشوا فيهم النوح). صحيح. الطبراني في الكبير (١١/ ١٢). الصحيحة (٣٤٦٧). فالكلام إذا هو باعتبار الأمة كلها.

(٦) وقد يشهد لهذا ما رواه أحمد (٨٨١٠) في مسنده عن أبي هريرة مرفوعا (إن الشيطان قد أيس أن يعبد بأرضكم هذه ولكنه قد رضي منكم بما تحقرون). صحيح. الصحيحة (٢٦٣٥). وهذا الوجه الأخير - عندي - هو من باب إلزام الخصم بلازم باطله، وإلا فالأولى هو ما ذكر سابقا. والله تعالى أعلم.." (١)

"الصلاة التي آن أوان الكلام على أثرها في ذلك.

أثر الصلاة في تخليص القلب من حب الفاحشة:

للصلاة أثر عظيم في صلة العبد بربه، لما فيها من إظهار العبودية، والخضوع، والافتقار، والذكر، والدعاء، والاستغفار الذي هو أعظم الأسباب مع التوحيد لنيل ولاية الله تعالى، كما أن للصلاة أثرا في تطهير القلب من ران الذنوب ودرنها -كما تقدم ذكره١- مما يجلب للمصلي طمأنينة قلبه، وسكون نفسه وراحتها.

وقد أخبر سبحانه أن لها أثرا في تطهير العبد من محبة الفاحشة والمنكر، تلك المحبة الدافعة إلى طلبها وسلوك طريقها، فالصلاة سبب لتقوية وازع الخير، وإضعاف الدافع إلى الشر والفواحش، قال تعالى مشيرا إلى هذا الأثر: ﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون﴾ [العنكبوت:٤٥] .

قال ابن كثير رحمه الله حول هذه الآية: "يعني أن الصلاة تشتمل على شيئين، على ترك الفواحش، أي مواظبتها تحمل على ترك ذلك ... وتشتمل الصلاة أيضا على ذكر الله تعالى وهو المطلوب الأكبر، ولذلك

---

١ تقدم في المبحث الثاني من هذا الفصل.." (٢)

"قال: ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾ أي أعظم من الأول"١.

وروى ابن جرير عن قتادة والحسن٢ رضي الله عنهم: "من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، فإنه لا

---

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد خلدون نغوي ١٩٢/١

(٢) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ٤١٦/١

يزداد من الله إلا بعدا"٣.

وبين ذلك أبو العالية رحمه الله بقوله: "إن الصلاة فيها ثلاث خصال، فكل صلاة لا يكون فيها شيء من هذه الخلال فليست بصلاة: الإخلاص والخشية، وذكر الله، فإخلاص يأمره بالمعروف، والخشية تنهاه عن المنكر، وذكر الله القرآن يأمره وينهاه"٤.

وكثيرا ما استخدم شياطين الإنس والجن النساء في تحقيق أغراضهم الخسيسة في نشر الفساد، وإغواء العباد والترويج للأفكار الهدامة.

ومعلوم أنه لا تحصل الفتنة بهن إلا بعد إغوائهن وإفساد قلوبهن ففساد القلب دافع إلى قبول الشر والرذيلة.

لذلك اهتم الإسلام بصلاح قلوب النساء وسلامتها من محبة الفاحشة، وأرشدهن إلى ما له أثر في قطع ذلك.

---

١ تفسير القرآن العظيم ط الشعب ٦/٢٩٨٤، ٢٩١.

٢ الإمام الفقيه الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، روى عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة، وابن عباس وغيرهم، توفي سنة ١٢٠هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٤/٥٦٣، والبداية والنهاية ٩/٢٧٨.

٣ جامع البيان ٢٠/١٥٥.

٤ تفسير القرآن العظيم ٦/٢٩١.." (١)

"هم الوارثون* الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ ١.

فهذه الصفات الثمان، كل واحدة منها تثمر الإيمان وتنميه، كما أنها من صفات الإيمان وداخلة في تفسيره.

فحضور القلب في الصلاة، وكون المصلى يجاهد نفسه في استحضار ما يقوله ويفعله من القراءة والذكر والدعاء فيها، ومن القيام والقعود، والركوع والسجود من أسباب زيادة الإيمان ونموه.

وقد سمى الله الصلاة إيمانا بقوله: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ ٢ وقوله: ﴿وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر﴾** ٣ فهي أكبرناه عن كل فحشاء ومنكر ينافى الإيمان، كما أنها تحتوي على ذكر الله الذي يغذي الإيمان وينميه، لقوله: **﴿ولذكر الله أكبر﴾** .

والزكاة كذلك تنمى الإيمان وتزيده، وهي فرضها ونفلها، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:"والصدقة

---

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ١/٤١٧

برهان" ٤ أي: على إيمان صاحبها، فهي دليل الإيمان وتغذيه وتنميه.

والإعراض عن اللغو الذي هو كل كلام لا خير فيه، وكل فعل لا خير فيه، بل يقولون الخير ويفعلونه، ويتركون الشر قولا وفعلا، لا شك أنه من الإيمان ويزداد به الإيمان، ويثمر الإيمان.

---

١ سورة المؤمنون، الآيات: ١- ١١.

٢ سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

٣ سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

٤ جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٠٣/١) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.." [1]

"وقلت: هذا شئ لا أستطيع أنا أتكلم به في الناس. فقال أبو جعفر: وهل الناس إلا شيعتنا؟ فمن لم يعرف الصلاة فقد أنكر حقنا. ثم قال يا سعد أسمعك كلام القرآن؟ قال سعد: فقلت: بلى صلى الله عليك فقال: إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** " فالنهى كلام، والفحشاء والمنكر رجال ونحن ذكر الله، ونحن أكبر " (١) .

وعن أبى عبد الله قال: " لا والله لا يرجع الأمر والخلافة إلى آل أبى بكر وعمر أبدا، ولا إلى بنى أمية أبدا، ولا في ولد طلحة والزبير أبدا، وذلك أنهم نبذوا القرآن وأبطلوا السنن، وعطلوا الأحكام. وما عدل أحد عن القرآن إلا إلى النار " (٢) .

ويروى الكلينى عن أبى عبد الله أيضا: " إن القرآن نزل أربعة أرباع: ربع حلال، وربع حرام، وربع سنن وأحكام، وربع خبر ما كان قبلكم ونبأ ما يكون بعدكم وفصل ما بينكم " (٣) .

إلا أنه يروى عن أبى جعفر: " نزل القرآن أربعة أرباع: ربـع فينا، وربع في عدونا، وربع سنن وأمثال، وربع فرائض وأحكام " (٤) .

ويروى عن أمير المؤمنين: " نزل القرآن أثلاثا: ثلث فينا وفى عدونا، وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام " (٥) .

---

(١) ص ٥٩٨ وانظر الخبر من بدايته ص ٥٩٦.

---

(١) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٢٢٤

(٢) ص ٦٠٠ -٦٠١.

(٣) ص ٦٢٧.

(٤) ص ٦٢٨.

(٥) ص ٦٢٧.." [١]

"﴿وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون﴾ (العنكبوت: ٤٥).

وكذلك الصوم يدعو إلى تقوى الله ومكارم الأخلاق، وعفة اللسان، يقول -صلى الله عليه وسلم: ((الصوم جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يفسق، ولا يرفث، ولا يصخب، وإن سابه أحد أو شاتمه، فليقل: إني امرؤ صائم، إني امرؤ صائم))، ويقول -صلى الله عليه وسلم: ((من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)).

والزكاة تدعو إلى مكارم الأخلاق؛ فالمسلم يخرج زكاته ولا يمن على الفقير والمسكين؛ فتبطل زكاته، وتضيع صدقته قال تعالى: ﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم * يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين * ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير﴾ (البقرة: ٢٦٣: ٢٦٥).

والحج يدعو إلى مكارم الأخلاق كسائر عبادات الإسلام، فالحج لا رفث فيه، ولا فسوق، ولا جدال، فالذي يقبل حجة والذي تظهر عليه أخلاق الحجيج قال تعالى: ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب﴾ (البقرة: ١٩٧)، وقال -صلى الله عليه وسلم: ((من حج فلم يرفث ولم يفسق؛ رجع كيوم ولدته أمه)) رواه أحمد، والبخاري، والنسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة.." [٢]

"وتعكف على بابي القلوب والأرواح، ويسري سر إرشادي في الجبال والأودية والبطاح، ولم يمسس شأن نهجي المبارك غبار دنيوي، ولم يرجع منه حرف إلى قصد نفساني، بل كله لله، على منهاج رسول

---

(١) مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع علي السالوس ص/٧٦٩

(٢) الحديث الموضوعي - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٢١٥

الله، عليه صلوات الله، لا يعبأ معناه بحال من أحوال هذه الدنيا الدنية، ولا يلتفت قائد حاله إلى مظاهرها الزائلة المطوية، وقد تفرغ رجال وراثتي حال النبي في الأمة، وتقوم بأطوار السادة القادة الأئمة، ومن رجالي وجه مولاي علي أمير المؤمنين، صهر النبي الأمين، الأسد البطين، ليث العرين، ولي هذا الخط الذي سيبرز، وكأني أراه على يد عبد يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، من البيت الفاطمي، والفرع الأمدي، خزامي الفصيلة، خالدي القبيلة، يجدد المجد العلوي، ويرفع قواعد البيت الرفاعي، ويمهد فخار العنصر الصيادي، ينبلج شارق طالعه قرب متكين، فيقوم كما أنا حيرة للمفتونين، وجاذبة للموفقين، ويترعرع مجده في ساحة الظهور، فيرتقي إلى الشهباء، ثم إلى فروق، وبها تظهره لوامع بروق، وفي بحبوحة تلك الترقيات، وسمو هاتيك المنصات، فالمفتون قادح، والمأمون مادح ونور الله ساطع، وفي فضاء الوجودات لامع، وما النصر إلا من عند الله، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله، ويقبل عليه من ارتضيناه وأعناه، وأسعفناه بمدد واجتذبناه، ولا يزال الأمر منبلج المظهر، **ولذكر الله أكبر** " ا. هـ. منه بلفظه.

ولا يخفى على القارئ اللبيب كلمات هذا الصيادي أن وارثه سيجدد المجد العلوي، وأنه من البيت الفاطمي.

. فكلها عبارات تنبئ عن المقصد والمعتقد.

* ولعلنا لا نستغرب بعد ذلك ممن ترجم لهذا الصيادي الرفاعي بعد موته فقال عنه:

" قام السيد أبو الهدىرحمه الله مدة حياته الكريمة بأعمال جليلة نافعة ومآثر حميدة طيبة تبقى شافعة له عند ربه يوم اللقاء، وأعماله كانت منصبة على تعمير الأضرحة لآل البيت الكرام " (المجموعة النادرة ص٣٧، ٣٨) ".. [١]

"البحر : – (هذه نفحة عنبر ** عن شذاها لا يعبر) (يا مريض النفس عنك العارف ** النحرير أخبر) (إن ترم داءك يبرا ** فاشرب الماء المدبر) ٤ (لتقيء الكون والكون ** وكسر البعد يجبر) ٥ (قام في الصدر خطيب ** وله قلبك منبر) ٦ (فاستمع وانصت ولا تلغو ** قتيلا كن مصبر) ٧ (وبه لا بك فاذكر ** **ولذكر الله أكبر**)

". [٢]

---

(١) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة عبد الرحمن بن عبد الخالق ص/٣٨٩

(٢) ديوان عبد الغني النابلسي، ص/٦٣٨

"""""""" صفحة رقم ٣٢ """"""""

' أقم الصلوة لدلوك الشمس إلى غسق اليل وقرءان الفجر إن قرءان الفجر كان مشهودا ' . ' وكان يأمر أهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا . ' فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوت فسوف يلقون غيا ' . ' وأمر أهلك بالصولة واصطبر عليها ' . ' فأقيموا الصلوة وءاتوا الزكوة واعتصموا بالله هو مولكم فنعم المولى ونعم النصير ' . ' قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خشعون ' . ' والذين هم على صلوتهم يحافظون ' . ' رجال لا تلهيهم تجرة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلوة ' . ' وأقيموا الصلوة وءاتوا الزكوة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ' . ' هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون ' . ' اتل ما أوحى إليك من الكتب وأقم الصلوة إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون ' . ' وأقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين ' . ' إن الذين يتلون كتب الله وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقنهم سرا وعلانية يرجون تجرة لن تبور ' . ' والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلوة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقنهم ينفقون ' .." (١)

"اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون

قصائد في مديح رسول الله

جديد الموقع: حلقات جديدة من برنامج قصص القرآن للدكتور محمد هداية - حلقات جديدة من برنامج لمسات بيانية مع الدكتور حسام النعيمي في صفحة لمسات الدكتور حسام النعيمي - محاضرات جديدة في صفحة محاضرات - حلقات جديدة من الكلمة وأخواتها للدكتور أحمد الكبيسي - حلقات جديدة من طريق الهداية - قصائد جديدة في صفحة قصائد شعرية وقصائد الشاعر حسن إبراهيم

مرة أخرى

٢٠٠٦/٢/٢٢

---

(١) نثر الدر - موافق للمطبوع، ٣٢/١

أتأتى بالفصيح من الفصيح

رجعنا مرة أخرى إليها

محمد خير خلق الله إنى

وهل من كان مثلك مستحقا

بعدلك تضرب الأمثال فينا

وقلبك كان دنيا من حنان

تطهر قلبكم من كل رجس

تخير لك الإله لنا رسولا

رحيما يا رؤوفا فى عباد

أحن إليك ما جنت ليالى

وجئت إليك أبكى من جديد

فما عادت لنا سير الأو الى

سألت الله فى قومى رضاء

فقد عادوا كما كانوا صغارا

تجمع حوله من كل شر

ويقصر عننا هدف نبيل

بسنتكم بقرآن كريم

سألت الله غفرانا لذنبى

وأبكى ما الدموع لنا شفاء

طموحى أن أراك ولو مناما

فحقق يا إله العرش ظنى

وجنبنى من النيران إنى

وحاشا أن ترد لنا رجاء

بحق محمد المختار كن لى

أتاك أبى وأخواتى وأمى

فعاملهم بإحسان جميل

وأنت لقادر تمحو خطايا

تقبلنى إلهى يوم موتى

فذاك اليوم عبدك فى جزوع

ولا حول لنا إن جاء موت

وأنت لقادر إن شئت تعفو

بأمر منك يأخذنى ملاك

بشاشته تبدل خوف نفسى

وتنظم ما يريح من المريح

تداوى سيرة المختار روحى

بكم ألقى مشاعر مستريح

وهل من جاء بعدك للمديح

تعلم كل ذى فهم وضوح

وإحسان وإشفاق صريح

ومن حقد ستور أو فضوح

وسيرتكم لتشفي من قروحى

أقاموا للقساوة من صروح

بروحى من تحن إليه روحى

وأحكيكم من الألم البريح

وكم يندى جبين من قبيح." (١)

"و بالجملة، ففي كل كلام ينطق به اللسان شعرا أو نثرا، إنشاء أو حكاية، فوائد وآفات فصلها علماء الشعر وحرروها، فمن ظفر بالفائدة وسلم عن الآفات فهو الذي ينبغي له أن يتكلم إما وجوبا أو ندبا بحسب الفائدة؛ ومن لم يظفر بالفائدة ووقع في الآفة أو توقعها فهو الذي لا ينبغي له أن يتكلم إما تحريما أو كراهة

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٥٣٦

بحسب الآفة. ومن تعرضتا عنده فهو الذي ينبغي له أن يرجح أحد الجانبين وإلا كف، فإن درء المفسدة أهم، ومن عدمهما معا فهو الذي يباح له الكلام، **ولذكر الله أكبر**، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الفصل الرابع:

الأمثال الشعرية

اعلم أنا لما ذكرنا حكم الشعر عموما كما مر، أردنا أن نردفه بما كان منه مثلا خصوصا. وهذا النوع داخل فيما للذي قبله وداخل أيضا فيما للمثل مطلقا، وقد فرغنا قبل من شرحه وفضله؛ غير أن هذا النوع له خصوصية كلام وبيان تعلق الغرض بذكره، وجعلنا الكلام في هذا الفصل في أربعة أمور بها يتم الغرض إن شاء الله تعالى : الأول في التمثل بالشعر وما ورد فيه يقال: تمثل بالبيت إذا أنشده وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بقول طرفة: ويأتيك بالأخبار من لم تزود؛ إلى إنه يقول ويأتيك من لم تزوده بالأخبار. ولذلك قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : أشد أنك رسول الله، لقوله تعالى: وما علمناه الشعر. وأما غير النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة والتابعين فتمثلهم بالشعر شائع ذائع لا يحصى، وهو دليل ما تقدم في الفصل قبل هذا . ومما تمثل به أبو بكر رضي الله عنه وهو على المنبر قول الغنوى:

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت ... بنا رجلنا في الواطئين وزلت

أبو أن يملونا وأو أن آمنا ... تلاقي الذي يلقون منا لملت

هم أنزلونا في ظلال بيوتهم ... ظلال بيوت أدفأت وأكنت

و أراد بذلك ما فعل بهم الأنصار من الإحسان. وأما عمر رضي الله عنه فكان لا ينزل به أمر ألا تمثل فيه بشعر، وكذا عائشة رضي الله عنها ومما تمثلت به قول لبيد:

ذهب اللذين يعاش في أكنافهم ... و بقيت في خلف كجلد الأجرب

و رأت النبي صلى الله عليه وسلم يوما يعرق جبينه وهو في عمل، وجعل عرقه يتلألأ نورا، فقالت له: لو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره فقال لها: وما يقول يا عائشة أبو كبير؟ قالت: يقول :

ومبرأ من كل غير حيضة ... و فساد مرضعة وداء مغيل

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه ... برقت كبرق العارض المتهلهل

فوضع صلى الله عليه وسلم ما كان في يده وقام إليها فقبل ما بين عينيها وقال : جزاك الله يا عائشة خيرا. ما سررت بشيء كسروري بك! ومما تمثلت به فاطمة رضي الله عنها يوم توفي أبوها عليه الصلاة والسلام قول فاطمة

قد كنت لي جبلا ألوذ بظله ... فتركتني أضحى بأجرد ضاح

قد كنت ذات حمية ما عشت لي ... أمشي البيرار وكنت أنت جناحي

فاليوم أخضع للذليل وأتقي ... منه وأدفع ظالمي بالراح

وإذا دعت قمرية شجنا لها ... يوما على فنن دعوت صباح

وأغض من بصري وأعلم إنه ... قد بان حد فوارسي ورماحي

و مما تمثل به علي كرم الله وجهه وهو على المنبر، معنفا للقوم في تقديمهم أبا موسى الأشعري في التحكيم بعد ما حذرهم منه قول دريد بن الصمة:

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى ... فلم يستبينوا الرشد إلى ضحى الغد

و مما تمثل به معاوية رضي الله عنه قول قيس بن زهير:

أظن الحلم دل علي قومي ... و قد يستجهل الرجل الحليم

على لمحة قبيلة يزداد بها الناظر بصيرة على ما ذكرنا في المثل الأول. ولو تتبعنا ما تمثل به الصحابة في الوقائع، والتابعون وهلم جرا لكان وحده موضوعا.

الثاني في المثل الشعري وأقسامه. اعلم إن المثل معروف الحقيقة مما قدمنا فيه، وهو يكون نثرا تارة، وذلك أكثره، وقد يكون نظما. فان المثل، وإن كان سائرا، لكنه إذا نظم كان أسير له وأسهل على اللسان وأحسن، ثم إنه قد يقع بيت ، كاملا، وقد يقع نصف بيت أو ربعه أو نحو ذلك من الأجزاء. وسئل حماد الراوية بأي شيء فضل النابغة، فقال: إن النابغة إن تمثلت ببيت من شعره اكتفيت، مثل قوله:

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة ... و ليس وراء الله للمرء مطلب." (١)

"يكثف العقل عن لطافتها

فلهذا حارت بها الفكر

العصر الأندلسي >> عبد الغني النابلسي >> هذه نفحة عنبر

هذه نفحة عنبر

رقم القصيدة : ٥٦٦٦٤

هذه نفحة عنبر

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم، ص/٢١

عن شذاها لا يعبر

يا مريض النفس عنك العارف

النحرير أخبر

إن ترم داءك يبرا

فاشرب الماء المدبر

لتقيء الكون والكون

وكسر البعد يجبر

قام في الصدر خطيب

وله قلبك منبر

فاستمع وانصت ولا تلغو

قتيلا كن مصبر

وبه لا بك فاذكر

ولذكر الله أكبر

العصر الأندلسي >> عبد الغني النابلسي >> أنت في بالك خاطر

أنت في بالك خاطر

رقم القصيدة : ٥٦٦٦٥

أنت في بالك خاطر

فانمح عنك وخاطر

وصل الجزء بكل

ثم كن للكل فاطر

وانتشق زهر رياضي

فبطيبي الكون عاطر

وانتهض وارفع كفوفا

فسحاب الجود ماطر

وإذا بان همام

لك من ذانك شاطر

عدا عن سلسلة النفس

وأغلال الخواطر

وتيقن أن سري

حارس فيك وناظر

العصر الأندلسي >> عبد الغني النابلسي >> يا طلعة الشمس أو يا طلعة القمر

يا طلعة الشمس أو يا طلعة القمر

رقم القصيدة : ٥٦٦٦٦

يا طلعة الشمس أو يا طلعة القمر

يختال في حلل الأشباح والصور

في القلب أنت وما في القلب أنت كما

إن أنت في بصري ما أنت في بصري

أنا وأنت كلانا واحد ظهرا

على البرية في بدو وفي حضر

وأنت أنت على ما أنت فيه كذا

أنا أنا مثل حالي أول العمر

هيهات ابن الثريا والثرى ولقد

لاح المؤثر لي من كوة الأثر

ونحن يا معشر العشاق عادتنا

طورا وطورا وليس الخبر كالخبر

شدوا المناطق تعظيما لخدمته

مزنرين على الأوساط بالأزر

يستنشقون رياح الموت قد ركبوا

خيل الردى أسرجت بالبؤس والضرر

باعوا الشفاء بسقم والهنا بعنا

والعز بالذل والإغفاء بالسهر

وإن صفا الماء أبدى ما يقابله

ولا حلول ولا تغيير فاعتبر

يا ذا الذي لا مني جهلا رويدك بي

فأنت عندي محسوب من البقر

أمري عظيم وشأني لا تحيط به." (١)

"١(كل شيء لك شاهد ** أنك الفرد المهيب)(دور **)(ذكرك المحبوب يتلى ** وعلى العشاق يملى)٤ (أبد الآباد يجلى ** نور مجلاك العجيب)٥ (دور **)٦ (رحت بالتعظيم تذكر ** ولذكر الله أكبر)٧ (لك جل الله مظهر ** سر سر غريب)٨ (دور **)٩ (إسمك المأمون وردا ** قد تخذناه وسعدا)٠ (فلك التسليم يهدى ** من قريب ومجيب)

". (٢)

"قال أبو العباس المبرد: وهذا خطأ لأن قوله: أول هو موقع لما بعده وذلك أن تأتي بعده بما شئت، ولا يكون آخر إلا لشيء قبله غيره، وإنما هو مأخوذ من آخره. وقيل: لما كان لا أول له. قال المبرد: ولا يجوز هذا إلا في صفة القديم تعالى، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن. وقال الفقهاء: إذا قال الرجل: أول عبد أملكه فهو حر، فملك عبدين جميعا معا لم يعتق واحد منهما، وإن ملك بعد ذلك عبدا آخر لم يعتق أيضا لأنه ليس بأول، ولو قال: أول عبد أملكه فهو حر، فملك عبدا ونصف عبد عتق العبد ولم يعتق النصف لأن هذا أول عبد ملكه، والنصف لا يسمى عبدا واحدا، ولو قال آخر: امرأة أتزوجها من النساء فهي طالق، فتزوج امرأة، ثم تزوج أخرى، ثم طلق الأولى، ثم تزوجها، ثم مات فإن الطلاق يقع على الثانية التي تزوجها وما يقع على التي تزوجها أول مرة وليست بآخر، والتزوج بها ثانيا لا يخرجها من كونها أول امرأة.

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٣٣٨/٨٥

(٢) ديوان أبي الهدى الصيادي، ص/٣٥١

ألا ترى أنه لو نظر إلى امرأتين، فقال: آخر امرأة أتزوجها منكما فهي طالق، فتزوج إحداهما، ثم تزوج الأخرى طلقت الثانية حين يتزوجها لأنها آخر امرأة تزوجها منهما ولو تزوج الأولى بعد الثانية لم تطلق، وكان المبرد إنما قال: لا يجوز هذا إلا في صفة القديم لمكان الآخر لأنه لم يزل ولا يزال، أولا وآخرا، والواحد منا ليس كذلك فاعلمه.

ومنه قوله تعالى: وأقم الصلاة لذكري

[سورة طه، الآية: ١٤] وفي موضع آخر أقم الصلاة لدلوك الشمس

[سورة الإسراء، الآية: ٧٨] إلى مقاما محمودا

، وقوله تعالى:

وأقم الصلاة

يريد أدمها واثبت عليها فلان لا يقوم لكذا، وهذا يقوم علي بكذا، فله تصرف في الأمر واسع. قوله تعالى:

وأقم الصلاة لذكري

يحتمل وجهين: أحدهما أقم الصلاة لتذكرني بها أي الصلاة ذكرى لقوله تعالى: إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر**

[سورة العنكبوت، الآية: ٤٥] وقوله تعالى: وأقم الصلاة لذكري

أي إذا ذكرتني، فأقم الصلاة كأنه يرجع النسيان كالذكر في الوجه الأول تسبيح الله وتمجيده بصفاته الكريمة، وفي الوجه الثاني الرجوع إليه بعد ذهول يسبق ونسيان يلحق، واللام من قوله:

لذكري أي عند ذكري، وكذلك قوله تعالى: أقم الصلاة لدلوك الشمس

أي عنده ولام الإضافة يدخل في الكلام لوجوه.

أ- التمليك: كقوله تعالى: ولله ما في السماوات وما في الأرض*

[سورة النجم، الآية: ٣١] وكقوله تعالى: وأن المساجد لله

[سورة الجن، الآية: ١٨] .

ب- أن يكون الشيء سببا لغيره، وعلة له مثل قوله تعالى: إنما نطعمكم لوجه الله

[سورة الإنسان، الآية: ٩] .

ج- أن يكون دخوله لمعنى الإرادة كقولك: قمت لأضرب زيدا أي قمت إرادة." (١)

---

(١) الأزمنة والأمكنة المرزوقي ص/٤٧

"" أقم الصلوة لدلوك الشمس إلى غسق اليل وقرءان الفجر إن قرءان الفجر كان مشهودا ". " وكان يأمر أهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا. " فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوت فسوف يلقون غيا ". " وأمر أهلك بالصولة واصطبر عليها ". " فأقيموا الصلوة وءاتوا الزكوة واعتصموا بالله هو مولكم فنعم المولى ونعم النصير ". " قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خشعون ". " والذين هم على صلوتهم يحافظون ". " رجال لا تلهيهم تجرة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلوة ". " وأقيموا الصلوة وءاتوا الزكوة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ". " هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون ". " اتل ما أوحى إليك من الكتب وأقم الصلوة إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر **ولذكر الله أكبر** والله يعلم ما تصنعون ". " وأقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين ". " إن الذين يتلون كتب الله وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقنهم سرا وعلانية يرجون تجرة لن تبور ". " والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلوة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقنهم ينفقون ".." (١)

"هذا، مع أن الشعر قد حسنت فيه أشياء لم تجسم في النثر، وذلك مما يفضله به الأدباء؛ منها الكذب الذي وقع الإجماع على حرمته فانه جائز في الشعر، إلى إن في المبالغة والإيغال تفصيلا مذكورا في علم الأدب. وافضل الأمور الصدق ومما قرب منه؛ ومنها تزكية الإنسان نفسه ومدحه إياها، ومدح الإنسان بحضرته، ومدح المحرمات من الخمر والنساء الأجانب ونحو ذلك، ومنها خطاب الممدوح مثلا باسمه وبكاف الخطاب مما يكون في النثر استنقاصا، ونحو هذا. وقصيدة كعب بن زهير رضي الله عنه اللامية متكفلة بأكثرها، وقد أنشدها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه، بل أثابه بردته فاشتراها منه معاوية بثلاثين أو عشرين ألف درهم، وبقيت يتوارثها الخلفاء ويلبسونها في الجمع والأعياد تبركا بها. وقيل إنه أعطاه مع البردة مائة من الإبل ويحكى إن الأحوص قال يخاطب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إذ توقف عن إعطاء الشعراء:

وقبلك ما أعطى هنيدة جبلة ... على الشعر كعبا من سديس وبازل

رسول الإله المستضاء بنوره ... عليه السلام بالضحى والاصائل

وبالجملة، ففي كل كلام ينطق به اللسان شعرا أو نثرا، إنشاء أو حكاية، فوائد وآفات فصلها علماء الشعر وحرروها، فمن ظفر بالفائدة وسلم عن الآفات فهو الذي ينبغي له أن يتكلم إما وجوبا أو ندبا بحسب الفائدة؛ ومن لم يظفر بالفائدة ووقع في الآفة أو توقعها فهو الذي لا ينبغي له أن يتكلم إما تحريما أو كراهة

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٣٢/١

بحسب الآفة. ومن تعرضتا عنده فهو الذي ينبغي له أن يرجح أحد الجانبين وإلا كف، فإن درء المفسدة أهم، ومن عدمهما معا فهو الذي يباح له الكلام، **ولذكر الله أكبر**، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.." (١)

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ٤٩/١